وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

# تأويل المتشابه عند المفسرين

اطروحة تقدم بها
إلى مجلس كلية الفقه في جامعةالكوفة

محمد عباس نعمان الجبوري

وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه في الشريعة والعلوم الإسلامية

باشراف

ا . م . د . صباح عباس عنوز

( ذو الحجة ) ١٤٢٩هـ                كانون الأول ٢٠٠٨م

**بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**( هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)** آل عمران / ٧

**صدق الله العلي العظيم**

**الإهداء**

**إلى رمز الأحرار وقائد كتيبة الإيمان الذي صدع بالأمر مجاهدا الطغاة ، فكان الثمن رأسه الشريف ليستمر دين جدّه ( صلوات الله عليه وآله وسلم ) ما بقي الدهر . الإمام السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين ( عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام ) . أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع .**


**الشكر والتقدير**

اتوجه بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان إلى الأساتذة الأفاضل ، كل من :

ـ أستاذي الدكتور : صباح عباس عنوز المشرف على هذه الأطروحة الذي تعجز كلماتي عن وصف ما بذله معي في رفد الأطروحة بتوجيهاته السديدة ووقفاته الصادقة على البحث ، مبحثا مبحثا ، وفصلا فصلا ، حتى استوى البحث على ما هو عليه . أسأل الله العلي القدير أن يجزل له ثواب العلماء العاملين .

ـ والـى أسـتاذ الجيـل ، الأسـتاذ الأول المتمـرس شيخنا الدكتور محمد حسين علـي الصغير لفضل تلمذتي على يديـه وأشرافه علـى رسـالة الماجستير . أعزه الله ومد في عمره خدمة لمريديه وتلامذته .

ـ والى عمادة كلية الفقه وافر العرفان والاحترام أخص بالذكر معـاونـي الكليـة العلمـي والأداري ولا يفـوتنـي الـشكر والتقـدير إلـى الاسـاتذة رؤسـاء الاقـسام فـي الكليـة المحترمين .

ـ والى اساتذتي الأجلاء جميعا في السنة التحضيرية ، الذين أغترفنا من وافر علمهم وأفدنا من أعدادهم لنا فجزاهم الله عني الجزاء الحسن وأبقاهم منارا لأجيال القرآن الكريم ودراساته .

ـ والى العاملين جميعا في المكتبات ، أخص منهم : العاملين في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام ، ومكتبة الإمام الحكيم ( قدس سره ) ، والمكتبة الحيدرية فـي الـصحن الـشريف ، ومكتبـة كليـة الفقـه ، ومكتبـة الدراسـات الإنـسانية الجامعـة ، والمكتبـة المركزية في جامعة بابل ، ومكتبة جامعة أهل البيت في كربلاء .

ـ و إلى كل من كانت له يد كريمـة علـى البحث والباحث ، أخص : الاستاذ المساعد الدكتور حكمة عبيد الخفاجي .

# قرار لجنة المناقشة

نشهد إننا أعضاء لجنة المناقشة ، قد اطلعنا على اطروحة الدكتوراه الموسومة :بـ

( تأويل المتشابه عند المفسرين – دراسة مقارنة- ) المقدمـــــة من طالـــب الدكتوراه

( محمد عباس نعمان) وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها . ونعتقد بأنها

جديرة بالقبول بتقدير( جيد جداً ) لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة والعلوم الإسلامية

التوقيع
الأستاذ الأول المتمرس
الدكتور محمد حسين علي الصغير
رئيسا

التوقيع
الأستاذ المساعد الدكتور
مؤيد فيصل الساعدي
عضوا

٨/٣/٢٠٠٩

التوقيع
الأستاذ المساعد الدكتور
موسى حسين مشهد
عضوا

التوقيع
الأستاذ المساعد الدكتور
حكمت عبيد الخفاجي
عضوا

التوقيع
الأستاذ المساعد الدكتور
ابتسام عبد الكريم المدني
عضوا

التوقيع
الأستاذ المساعد الدكتور
صباح عباس عنوز
عضوا(المشرف)

تمت مصادقة مجلس كلية الفقه / جامعة الكوفة على قرار اللجنة

التوقيع
الأستاذ المساعد الدكتور
صباح عباس عنوز
عميد كلية الفقه
التاريخ: / / ٢٠٠٩
/ /١٤٣٠هـ

السيد عميد كلية الفقه المحترم

م/ ترشيح رسالة للطبع

نظـــــــراً لإنجــــــاز مباحــــــث الاطروحــــــــه الموســــــــومة بـــــــــ ( تأويل المتشابه عند المفسرين ) وفصولها وما يتعلّق بها لطالـــــب الدكتوراه ( محمد عباس نعمان ) فأني أرشحها للطبع .

التوقيع :

المشرف:ا.م.د. صباح عباس عنوز

التاريخ : ٥/١٢/٢٠٠٨

# أقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (تأويل المتشابه عند المفسرين ) المقدمة من الطالب (محمد عباس نعمان) جرى تحت إشرافي في جامعة الكوفة / كلية الفقه وهي جزء من متطلبات شهادة الدكتوراه في (الشريعة والعلوم الإسلامية)

التوقيع :

المشرف: الأستاذ المساعد

الدكتور صباح عباس عنوز

التاريخ : ١٥ /٢/ ٢٠٠٨

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الاطروحة للمناقشة

الأستاذ المساعد

الدكتور صباح عباس عنوز

رئيس لجنة الدراسات العليا

٨ / ٧ / ٢٠٠٨

# المحتويات

# المقدمة

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ، وأحكم كتابه وجعله متشابها مثاني هدى ورحمة للمتقين ،واحتج على عباده برسله وأوصيائهم ليخرجوهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الهداية والإيمان ، وأصلي وأسلم على سيدنا ونبينا محمد ( صلى الله عليه وآله ) . الذي نور الله به صدور أنبيائه وأصفيائه بلوامع العرفان وعلى أخيه ووصيه ووارث علمه وآيته العظمى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) وعلى الأئمة المعصومين من ذريته ( عليهم السلام ) .

أما بعد :

فإن موضوع المتشابه في القرآن الكريم ، وآليات تأويله من المواضيع التي احتدم حولها النقاش ، واختلفت فيها مقالات العلماء ، شرحا وتنقيرا ، تأويلا وتفسيرا ، الأمر الذي أوجب على الباحث جمع ما تناثر من أقوالهم تحقيقا وموازنة والتوفيق بين الأقوال ما أمكن بالصورة التي تجلّي هذا الموضوع وتزيل ما فيه من غموض أحيانا.

ولما كان موضوع المحكم وثيق الصلة بالمتشابه من زاوية العلاقة بينهما في التقابل الدلالي بالمعنى العام والخاص فقد عكف الباحث على جلاء هذه العلاقة وصورها بقدر صلة هذين الموضوعين بشروط البحث من حيث نمط العلاقة التقابلية وتعريفات العلماء لها وآراء المفسرين فيها .

وبعد مرحلة جمع المادة من المضان المختلفة أطمأن الباحث على سلامة المنهج وتوافر أسسه الأكاديمية ، ليكون عنوان الأطروحة ( **تأويل المتشابه عند المفسرين** ) بإشراف أستاذي الدكتور صباح عباس عنوز ، ولما كان لكل بحث أكاديمي صعوباته المحتملة ، فإن ما واجهني من هذه الصعوبات حقا هو كثرة مصادر ومراجع كل مبحث فيها ، وتناثر أقوال العلماء على اختلاف مراتبهم وتخصصاتهم ، مما رتّب على الباحث الموازنة والتوفيق بين الآراء وصولا إلى غايات البحث وسبل نجاحه ذلك أن مباحث هذا الموضوع متشعبة ، تتفق أحيانا وتختلف أو تتعارض أحيانا أخرى ، وهذا ــ في الواقع ــ من سنن البحث العلمي ومقاصده لاختلاف الرأي من مفسر لآخر ، وبالجملة كان على الباحث أن يشتغل على مبدأ القاسم المشترك بين هذه الآراء وبما يخدم الحقيقة المتوخاة من سلامة البحث في المنهج والأداة .

اقتضى المنهج العلمي إن تشتمل خطة البحث على تمهيد وثلاثة فصول تعقبها خاتمة تلخص النتائج التي توصل إليها الباحث جاء التمهيد بعنوان : التأويل والتشابه من منظور تاريخي :

درس الباحث : التأويل لغة واصطلاحا عند المفسرين ــ قديما وحديثا ليكون هذا المبحث تمهيدا يتسق مع عنوان الأطروحة والمباحث اللاحقة ، فاشتمل التمهيد على لمحة عامة عن المتشابه من خلال معناه اللغوي والقرآني والاصطلاحي ، لغرض الدخول إلى مباحث تأويل المتشابه .

ــ وجاء الفصل الأول ، بعنوان : المتشابه في القرآن الكريم ، وضمّ أربعة مباحث : عالج المبحث الأول : قسميْ المتشابه في القرآن الكريم ، وهما : الحقيقي والنسبي ، القائمان على أسس ظهور المعنى وخفائه .

ــ المبحث الثاني : تناول : أسباب التشابه في القرآن الكريم والاتجاهات الرئيسية فيه ، وبحث : ا ــ أسباب التشابه في القرآن الكريم :

١ ــ من جهة اللفظ ( الشكل ) .

٢ ــ من جهة المعنى ( المضمون ) .

٣ ــ من جهة اللفظ والمعنى ( الشكل والمضمون ) .

ب ــ الاتجاهات الرئيسة للمتشابه وفيها آراء المفسرين .

وجاء المبحث الثالث لدراسة العلاقة بين المتشابه والمحكم في المعنى العام والمعنى الخاص ودرس المبحث الرابع موضوع الحكمة من وجود المتشابه في القرآن .

ــ أما الفصل الثاني ، فتناول نظرية التأويل في القرآن الكريم ، وتضمن المباحث الآتية :

ــ المبحث الأول : معنى التأويل وأقوال العلماء فيه ، ودرس : فهم التاويل من مقولة المعنى ، والفهم من الأمور العينية .

ــ ودرس المبحث الثاني : اتجاهات فهم التأويل لدى العلماء .

ــ وجاء المبحث الثالث : للوقوف على التأويل وآلياته ، وفيه : آليات التأويل ، والتأويل والمجاز ، وقد ضم : التعريف بالمجاز لغة واصطلاحا ، والمجاز بين منكريه ومثبتيه .

وجاء الفصل الأخير ــ وهو خاتمة فصول الاطروحة مخصصا لدراسة مرجعيات تأويل المتشابه ، ومستويات فهمه ، وتضمن مبحثين :

المبحث الأول : خصص للوقوف على مرجعيات تأويل المتشابه ، وهي : الباري ــ سبحانه وتعالى ، والقرآن الكريم ( الآيات المحكمة ) ثم : الراسخون في العلم ( أهل البيت ــ عليهم السلام ــ خاصة ، والعلماء عامة ) .

أما المبحث الثاني : فتناول : مستويات فهم المتشابه ، ووقف على : المستوى البلاغي ، والمستوى اللغوي ، والمستوى الروائي ، الذي تضمن روايات أهل البيت (عليهم السلام ) وروايات الصحابة .

أما المصادر والمراجع التي عوّلت عليها في البحث ، فهي كثيرة ومتنوعة بتنوع فصول هذه الأطروحة ، فقد أعتمدت على كتب التفسير ، والأصول ، وكتب الحديث ، والعقائد ، وعلم الكلام والفلسفة ، وكتب اللغة والنحو والبلاغة ، ومعاجم اللغة ، فضلا عن المراجع المعتمدة ، والبحوث العلمية .

لقد بذل الباحث جهدا ما وسعه المقام ، واخلص النية في البحث والتقصي مستنيرا بتوجيهات استاذه المشرف الدكتور صباح عباس عنوز الذي لم يدّخر جهدا ولا مشورة في تقويم مباحث الاطروحة والتنبيه على شطط القلم حينا ، وسهو الباحث حينا آخر حتى استوى البحث على سوقه ، فجزاه الله عني أحسن الجزاء وأجزل له ثواب العلماء العاملين . وفي الختام فهذا جهد المقل إن فاته التوفيق في العمل لم يفته صدق النية فيه .

أسأل الله تعالى السداد والتوفيق وحسبي أنني بذلت فإن أصبت فذلك توفيق منه تعالى وإن أخطأت فذلك مني وكل ابن آدم خطّاء إلا من عصمه الله .

والحمد لله في الأولى والآخرة هو مولانا وإليه ننيب

**الباحث**

# التمهيد

# التأويل والمتشابه من منظور تاريخي

**أولا : التأويل : لمحة عامة .**

**ثانيا : المتشابه : لمحة عامة .**

## المبحث الأول : التأويل ، لمحة عامة :

تعد مسألة التأويل من أهم المباحث التي عُني بها الفكر الإسلامي عموما ، وأصبح التأويل علما من أهم علوم القرآن والمعارف القرآنية خصوصا ، وبسط آثاره في الفكر والتشريع والكلام ، والفلسفة ، والعرفان ، والفقه ، وأصوله .

قال تعالى : (**ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**()) [1] ، وقوله سبحانه: (**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**()) [2] ، وقال جل جلاله : (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ**() ) [3] .

ومن هيمنة لفظة « التأويل » وثقلها في الآيات موضع البحث ندرك أن العقل البشري قد أستعمل التأويل لتوضيح غوامض اللفظ أو الحدث ، أو الرمز ، لأن كثيرا

---

١ ـ الإسراء / ٣٥ .
٢ ـ آل عمران / ٧ .
٣ ـ الأعراف / ٥٣ .

من الناس أرادوا أن يوضحوا عمّا يريدون توضيحه ، وفك غوامض كثير من الألفاظ فلا يجدون طريقا يكشف عن ذلك إلا بواسطة التأويل .

وهذه المهمة الجليلة بها حاجة إلى أياد أمينة ، وفكر أخاذ يحسن استخدامه وتطبيقه بعيدا عمّا حذّر منه القرآن الكريم بقوله ( ابتغاء الفتنة ) .

و التأويل في دقة البحث والتثبت ينطوي على معنيين ، هما : المعنى اللغوي ، والمعنى الاصطلاحي ، وهذا الأخير له في كل حقل من حقول المعرفة معنى مغاير عن الحقول الأخرى ، لتشعب البحث فيه ، وتداعي معانيه . ولمّا كان الأمر كذلك ، وقع الخلط لدى بعض المتصدين للبحث في جملة من الاشتباهات ، والانحرافات في فهم تفسير النصوص الدينية عموما ، والنص القرآني خاصة .

ومن أجل جلاء الصورة سنحاول الوقوف على المعنى اللغوي للتأويل ونخص المعنى الاصطلاحي في دائرة النص القرآني بوقفة مماثلة .

**١ ـ التأويل في ( اللغة ) :**

قال الفراهيدي : آلَ بمعنى رجع [١] ، والآلّ بالتشديد هو« كل ماله حرمة وحق ... كالقرابة ، والرحم ، والجوار ، والعهد ... » [٢] ، و « أوّل ، ابتداء الأمر وانتهاؤه ، أما الأوّل ، فالأوّلُ ، وهو مبتدأ الشيء ... ومن هذا الباب تأويل الكلام ، وهو عاقبته وما يؤول إليه وذلك قوله تعالى : (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ**() ) [٣] . يقول : ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم » [٤] .

قال ابن منظور : « وأول الكلام تأوّله : دبّره وقدّره ، وأوّله وتأوّله : فسّره ، وقوله عز وجل : (**وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**() ) [٥] ، أي : لم يكن معهم علم تأويله . وقيل

---

١ ـ العين ، الخليل بن أحمد ٨ / ٣٦٩ ، وظ المصباح المنير ، الفيومي (مادة أول).
٢ ـ تاج العروس ، الزبيدي ٣١٣ .
٣ ـ الأعراف / ٥٣ .
٤ ـ معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ١ / ١٦٠ .
٥ ـ يونس / ٣٩ .

معناه ، لم يأتهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة ، ودليل هذا قوله تعالى : (**كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**()) [١]، وقال الراغب : « التأويل من الأول ، أي الرجوع إلى الأصل ، ومنه الموئل للموضع الذي يُرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا . و الأوْل : السياسة التي تراعي مآلها » [٢] . والتأويل « تفسير ما يؤول إليه الشيء ، وقد أوّلته بمعنى » [٣] .

و « أولته تأويلا : إذا صيّرته إليه ، وأوّل الكلام تأويلا ، وتأوّله » [٤].

ويسمى التفسير تأويلا ، إذا « صيّرته إليه وذلك إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعنى » [٥].

والتأويل عند الطبري ، من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه ورجع : يؤول أوّلا ، وأولته ، إذا صيرته إليه [٦].

ونلحظ من جملة آراء أهل اللغة والتفسير أنها موافقة لما ذهب إليه الطبرسي ( ت ٥٤٨ هـ ) من أن التأويل « انتهاء الشيء ومصيره ، وما يؤول إليه أمره » [٧]

ويقرر الزركشي ، أن التأويل على علاقة وطيدة بالاستنباط وكلٌّ ما ينسجم مع المعنى اللغوي وهو الاخذ من الأول [٨].

## ب ـ التأويل في ( الاصطلاح ) :

---

٦ ـ يونس / ٣٩ .
٧ ـ المفردات في غريب القرآن ، ص ٣١ مادة ( أوّل ) .
٨ ـ تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، مادة ( أوّل ) ٤ / ١٦٢٧ .
١ ـ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ٣ / ٣٣١ .
٢ ـ المعجم في فهم القرآن وسر بلاغته ، محمد واعظ الخراساني ٤ / ٢٣٨ .
٣ ـ ظ : جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد جرير الطبري ٦ / ١٩٠ .
٤ ـ مجمع البيان ، الطبرسي ١ / ٢٩ .
٥ ـ ظ : البرهان ٢ / ١٥٠ . وظ: الاتقان ، السيوطي ٤ / ١٦٨ . وظ : المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، الصغير ٢٢ .

لأهمية التأويل وأثره في الفكر الإسلامي ، فقد حظي بالدراسة والمناقشة من العلماء المختصين بعلوم القرآن ، فاهتموا به ودققوا في تعريفه . فعرف بعضهم التأويل بالتفسير ولم يفرق بينهما ، في حين رأى آخرون أن من لم يميز بين التفسير و التأويل لم يعرف من علوم القرآن شيئا ، ليس هذا فحسب ، بل واختلفت عباراتهم في تعريف التأويل وتحديد حقيقته .

وسيشمل هذا المبحث التأويل اصطلاحا لدى كل من القدماء والمحدثين وعلى الوجه الآتي :

**١ ـ عند القدامى :**

جاء عن الخليل الفراهيدي : « تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه ، والمراد بالتأويل ، نقل ظاهر اللفظ من وضعه إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ » [١].

نجد أن الخليل ــ رحمه الله ــ يفرّق بين التأويل والتفسير من خلال إيضاح مدلولات كليهما ، أي أن التفسير غير التأويل لحاجة التأويل إلى دليل .

في حين يذهب ابن جرير الطبري [٢] إلى أن المراد بالتأويل اجتهاد المفسر في ترجيح المقصود من المعاني المختلفة التي يحتملها اللفظ فكأن التأويل ، إخبار عن حقيقة المراد ، من مثل قوله تعالى : (**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**) [٣]، وتأويل الآية عنده : التحذير من التهاون بأمر الله ، والوعيد لمن يخالف أمر الله بينما تفسير ⁽⁽ لبالمرصاد ⁾⁾ أنه من الرصد ، يقال : ارصدته ، أي : رقبته .

---

١ ــ العين ٨ / ٣٦٩ .

٢ ــ ظ : جامع البيان في تأويل آي القرآن ١ / ١١ .

٣ ــ الفجر / ١٤ .

ويعلق ابن كثير على رأي الطبري المتقدم ، أن التأويل في الاصطلاح تفسير الكلام ، وبيان معناه ، سواء أوافق ظاهره أم خالفه ، وقال : هذا ما يعنيه ابن جرير الطبري ، بقوله « القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا » (1).

و التأويل هو التفسير عند الطوسي ( ت ٤٦٠ هـ ) وهو المرجع والمصير (2)، وبتعريفه هذا فانه يجمع بين دلالتي اللفظ والمعنى ، ويجد مصداق ذلك لدى تفسيره قوله تعالى : (**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**()) (3)، يقول « معناه : ما يؤول أمره إليه وهو عاقبته ، ومعناه : متأوله من الثواب والعقاب » (4).

والتفسير عند الراغب ( ت ٥٠٢ هـ ) أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ بينما يكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا وأكثر ما يستعمل في الكتب الالهية (5) .

وقال البغوي ( ت ٥١٦ هـ ) « التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط » (6).

ويرى الطبرسي أن التأويل « ... رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر » (7)، ثم قال : « وقيل : التفسير كشف المغطى والتأويل انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول إليه أمره ، والمعنى مأخوذ من قولهم : عنيت فلانا ، أي قصدته » (8).

---

٤ ــ تفسير القرآن العظيم ، أبن كثير ١ / ١٥ ،وظ: جامع البيان في تأويل آي القرآن ١ / ١١ .
٥ ــ ظ : التبيان في تفسير القرآن ٢ / ٣٩٩ .
١ ــ يونس / ٣٩ .
٢ ــ التبيان في تفسير القرآن ٥ / ٣٨٠ .
٣ ــ ظ: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ / ١٤٩ ،وظ: علوم القرآن ، محمد باقرالحكيم ٧٨ ، وظ المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، د. محمد حسين علي الصغير ص ٢٠.
٤ ــ تفسير البغوي ١ / ١٨ .
٥ ــ مجمع البيان ١ / ٨٠ .
٦ ــ المصدر نفسه ١ / ٨٠ .

وفي تحديد المعنى الاصطلاحي للفظ التأويل ، يذهب ابن رشد ( ت ٥٩٥ هـ ) إلى المعنى البياني في تعريف المصطلح ، فيرى أن « إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان أهل العرب في التجوّز من تسمية الشيء بشبيهه ، أو بسببه ، أو لاحقه ، أو مقارنه ، أو غير ذلك من الأشياء التي عُدّت في تعريف أصناف الكلام المجازي » [١] .

والذي نلحظه هنا أن ابن رشد لا يستند إلى الأصل اللغوي في تحديد المعنى الاصطلاحي للتأويل ،وأن كان تحديده له بدلالة اللفظ المنقول من الحقيقة إلى المجاز.

ويرى العلامة الحلي ( ت ٧٢٦ هـ ) التأويل بأنه « احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من الذي دلّ الظاهر عليه » [٢].

ويجمع الثعالبي في معرض رأيه بين قول أهل السلف والمتأخرين من الأصوليين والكلاميين وغيرهم لدى تفسيره للفظ التأويل ، فهو يرى أن التأويل عند السلف له معنيان أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه ، وبذلك يكون التأويل والتفسير مترادفين ومآلهما إلى معنى واحد .

والمعنى الثاني : أن التأويل هو المراد بالكلام ، فأن كان الكلام طلبا كان تأويله الفعل المطلوب نفسه ، وإن كان خبرا ، كان تأويله الشيء المخبر به وعليه نفسه : فالتأويل هنا ، بمعنى الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أم مستقبلية ، فإذا قيل : طلعت الشمس ، فتأويل هذا هو طلوعها نفسه وهذا في نظر ابن تيمية هو لغة القرآن التي نزل بها ـ وعلى هذا فيمكن إرجاع ما جاء في القرآن الكريم من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثاني .

وقد عرض الثعالبي أيضا لقول المتأخرين من الأصوليين والكلاميين في لفظ ( التأويل) بالقول أن التأويل،صرف اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح

---

٧ ــ فصل المقال ، ابن رشد ٣٢ .
١ ــ مبادئ الوصول إلى علم الأصول ، ١٥٥ .

لدليل يقترن به [1] .ويرى السيوطي (ت ٩١١ هـ)أن التأويل « هو ما ترك ظاهره لدليل » [2] ، ثم قال : « و التأويل إنما يقبل إذا قام عليه دليل وكان قريبا » [3] « أما البعيد فلا كتأويل الحنفية قوله تعالى : ( فإطعام ستين مسكينا ) مدّا على أن يقدّر مضاف ... ووجهه البعيد اعتبار ما لم يذكر ، وهو المضاف وإلغاء ما ذكر وهو العدد » [4].

**٢ ـ عند المحدثين :**

جاء في مجمع البحرين : التأويل « إرجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهري إلى معنى أخص منه ، مأخوذ من آل، يؤول ، إذا رجع وصار إليه » [5]، ويؤكد الطريحي أن معنى التأويل هو كشف ما خفي من معاني الآيات لفئة معينة من الناس واعتقد أنه قصد بهم ( الراسخون في العلم ) .

وقال الذهبي « وأما التأويل ، فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل ، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب ، واستعمالها بحسب السياق ، ومعرفة الأساليب العربية ، واستنباط المعاني من كل ذلك » [6]. قال الزركشي : « وكان السبب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل : التمييز بين المنقول والمستنبط ليحيل على الاعتماد في المنقول ، وعلى النظر في المستنبط » [7] .

أما العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره فقد عرفه بقوله :«إنه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة ، وانه

---

٢ ـ ظ : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي ١ / ٤٤ .
٣ ـ التحبير في علم التفسير ١١٠ .
٤ ـ المصدر نفسه ١١٠ .
٥ ـ التحبير في علم التفسير ١١٠ .
١ ـ مجمع البحرين ، الطريحي ٥ / ٣١١ ـ ٣١٤ .
٢ ـ التفسير والمفسرون ، الذهبي ١ / ٢٣ .
٣ ـ الاتقان ، السيوطي ٢ / ١٨٣ .

موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ ، بل هو من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ وإنما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب ، فهي كالأمثال تضرب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع ، كما قال تعالى : **(وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ() إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ() وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ() )** [1]» [2].

ثم عرفه بقوله : « ... إن المراد بتأويل الآية ليس مفهوما من المفاهيم تدل عليه الآية سواء كان مخالفا لظاهرها أو موافقا ، بل هو من قبيل الأمور الخارجية ، ولا كل أمر خارجي حتى يكون المصداق الخارجي للخبر تأويلا له بل أمر خارجي مخصوص نسبته إلى الكلام نسبة الممثل إلى المثل والباطن إلى الظاهر»[3] .

والتأويل عند الشهيد الصدر ليس بمعنى التفسير ، قال : « التأويل جاء في القرآن الكريم بمعنى ما يؤول إليه الشيء لا بمعنى التفسير وقد استُخدم بهذا المعنى للدلالة على تفسير المعنى لا تفسير اللفظ ، أي : على تجسيد المعنى العام في صورة ذهنية معينة » [4].

والذي يميل إليه العلامة الصغير في كتابه : ( المبادئ العامة لتفسير القرآن ) قوله : « وأما التأويل ، فهو ما لم يكن مقطوعا به وكان مرددا بين عدة وجوه محتملة

---

١ ــ الزخرف / ٢ ، ٣ ، ٤ .
٢ ــ الميزان ٣ / ٤٩ .
٣ ــ المصدر نفسه ٣ / ٤٦ .
٤ ــ علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ٢٥٣ .
٥ ــ المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، ص ٢٣ .

، فيؤخذ بأقواها حجة ، ابرمها دليلا ، فيوجه عليّه المعنى على أساس الفهم واللغة وإعمال الفكر »[1].

وفي ضوء هذا فإن التأويل عنده يسيغ توجيه اللفظ إلى معنى مردد بين عدة معان مختلفة يستنبط أحدها بما توافر فيه من الأدلة ، قد يدل على المراد من قوله تعالى ، وقد لا يبدل ، ولكنه أمر محتمل ، ثم ينتهي الدكتور الصغير إلى تأكيد المآل النهائي للتأويل بأن دلالته ظنية ، وتكون هذه الدلالة قطعية في حال صدورها عن المعصوم [2] ، وهذا من باب التباين التام بين التفسير والتأويل « لان التفسير جزء من علم النص والتأويل جزء من الحكمة العقلية لوقوف الأول على الظاهر المتبادر ولوقوف الثاني على الباطن ، ولأن التفسير قطعي ، والتأويل اجتهاد لأنه ترجيح لأحدى المحتملات دون القطع » [3]، ولأن التأويل لا يعني مجرد الكشف والإبانة عن المعنى بل يعني شيئا آخر وهو ما يؤول إليه الشيء [4] .

فالتأويل « يصبح مهيمنة لا مناص منها ، لأنه يبتغي المعنى في النص والنص يؤسسه أسلوب قائم أساسه على المتحول ، وأن ثمة علاقة بين صور المعاني وذلك التحول »[5].

ويدعو أحد الباحثين إلى « تكوين إطار معين للتأويل الذي يرتكز على إخراج اللفظ من حقيقته الموضوعة له في أصل اللغة إلى خصيصة التعبير التي تنطوي تحتها دوال المعنى ما دام الهدف منها المعنى المبتغى الذي يرومه المتكلم وأن طريقة الوصول إلى أي معنى مبتغى ستكون حاضرة في اللغة على وفق قدرة المبدع في

---

١ ـ ظ: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ص ٢٣ .
٢ ـ التأويل وتفسير النص ، د . عبد الأمير زاهد ص ٦ .
٣ ـ ظ : المصدر نفسه ص ٦ .
٤ ـ البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التاويلية ، د . صباح عباس عنوز ، بحث .

اختيار طرائق الإبداع والانتقال من واحدة إلى أخرى » [1]، فالتأويل « يتصل بأشكال التعبير الظاهرة وردها إلى مستوى أصلي لينكشف المعنى بالدلالة الوضعية ، وبيان أن الخروج عن مألوف العبارة لا يبدل من ذات المعنى وإنما هو معنى إضافي يتركب على المعنى الأصلي » [2].

ويتضح هنا من أن التأويل « استخراج مجهول من معلوم يستوجب الانطلاق من مقدمات تصون التأويل عن الزلل وتقنع بسلامة النتيجة واستقامة الاستنتاج » [3].

من قراءة التعاريف نستخلص الآتي :

أن التأويل هو عبارة عن بيان الحقيقة الخارجية للشيء كبيان المقصود بقوله تعالى : (**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**()) [4] بأن الكرسي كناية عن الملك والسلطان ، فالحقيقة الخارجية للكرسي في هذه الآية ، هو الملك والسلطان وليست الكرسي المادي المألوف في عالم الإنسان ، فهو تعبير مجاز وليس تعبير حقيقة ، وبهذا نجد أن المعنى الاصطلاحي للتأويل لم يتعد كثيرا عن معناه اللغوي الذي ورد بمعنى ( الأوّل ) أي الرجوع ، أي إذا رجع إلى الأدلة العقلية في عملية الكشف وإظهار مضمون النص .

وليست بنا حاجة للغوص بعيدا في العمق التاريخي لمصطلح ( التأويل ) فالمسألة واضحة في قِدم المصطلح التاريخي ، إذ أرجعه بعض الباحثين إلى أيام أفلاطون ، الذي دعا إلى توحيد التأويل بين الدلالات الخارجية للنص مع الحقيقة وعلى هذا صار التأويل جزءا من الفكر يلزم أن يتحدد بمنهج يفصله عن الواقع [5] .

---

٥ ـ النص الأدبي من التكوين الشعري إلى أنماط الصورة البيانية وهيمنة التكوين الشعوري ، د . صباح عنوز ص ٢ .
٦ ـ الفكر البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره ، حمادي حمود ص ٣٢٩ .
١ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٩ .
٢ ـ البقرة / ٢٥٥ .
٣ ـ ظ : التأويل وتفسير النص ـ مقاربة في الإشكالية ـ د . عبد الأمير زاهد ، ص ٨ .

من هنا نجد التأويل يرتكز أساسا على الأنظمة الدلالية التي يتأسس عليها النص ، وبذلك سيكون النص رهين العلاقات سواءا كانت بين الدال والمدلول على المستوى اللفظي أ م بهيمنة السياق أو ما يذهب إليه البعد الدلالي للغة وما تحدثه البلاغة عبر دلالات الحضور والغياب ( الحذف ) أو أساليب البيان المختلفة علما أن التأويل وسيلة المفسر للنص في الوقت الذي يتطلب المؤدي أن يكون بهِ وعي دائم وغير منكفئ ذهنيا عن متطلبات الحوار الفكري ــ الذهني الذي يعود له الفضل في التزام التأويل بوصفه مفهوما موصلا إلى القناعة التفسيرية .

## المبحث الثاني : المتشابه لمحة عامة:

**معاني المتشابه :**

**١ـ المعنى اللغوي :** التشابه في اللغة ، كلمة تدل على المماثلة والمشاكلة بين الشيئين ، يقال : تشابها ، واشتبها : إذا أشبه كل واحد منهما الآخر ، حتى التبسا ، والشُّبهةُ ، بالضم : الالتباس ويقال : شبِّهَ عليه الأمر تشبيها : إذا لـُبِّسَ عليه حتى لا يستطيع أن يميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه ، عينا كان أو معنى ، قال تعالى **(وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ())** [١]. وقال تعالى **(وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ())** [٢] . أي يشبه بعضه بعضا لونا وشكلا ، لا طعما وحقيقة ، ومنه ، قوله تعالى ، حكاية عن بني إسرائيل : **(إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ())** [٣] . أي تماثل والتبس ، فلا ندري أي بقرة نذبح ، وقوله تعالى : **(تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ())** [٤] . أي : في الغي والجهالة واشتبه الأمر عليه: اختلط . والمتشابه :النص القرآني يحتمل عدة معان [٥] .

---

١ ـ النساء / ١٥٧ .

٢ ـ البقرة / ٢٥ .

٣ ـ البقرة / ٧٠ .

٤ ـ البقرة / ١١٨ .

٥ ـ ظ : لسان العرب ، مادة (شبّه) ٥٠٣/١٣ ، ومعجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ٢٤٣/٣ ، والقاموس المحيط ، الفيروز آبادي ٣ /١٧٠ ، والمفردات في غريب القرآن ، للراغب ٢٥ـــ٢٥٨ وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروز آبادي ٢٩٣/٣ ، والمعجم الوسيط ٤٧١/١ ، والموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـــ الكويت ٩٢/٣٦ .

وقال صاحب المنار : « والمتشابه في اللغة ، يُطلق على ما له أفراد أو أجزاء يُشبه بعضها بعضا ، وعلى ما يُشبهُ من الأمر ، أي : يلتبس » [١] .

والمتشابه من مادة التشابه التي تدل على المشاركة ، والمماثلة ، والمشاكلة المؤدية إلى معنى الالتباس ، ومنه قوله تعالى : (**إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا** ()) [٢] . بمعنى : التبس واختلط علينا ، وقوله تعالى ، في وصف ثمر الجنة : (**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ()) [٣] . بمعنى : متفق المناظر ، مختلف الطعوم [٤] .

٢ ـ **المعنى القرآني :** وقد اقتضت طبيعة المبحث أن يُقسم على قسمين :

**القسم الأول** : التشابه ، بمعنى التماثل والتقارب :

والتشابه قد وقع وصفا للكتاب كله لما ورد في قوله تعالى : (**كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ** ()) [٥] ، وما أراده الله في هذه الآية كون آيات الكتاب ذا نسق واحد من حيث جزالة النظم وإتقان الأسلوب ، وبيان الحقائق ، والحكم والهداية إلى صريح الحق ، فهذا التشابه وصف لجميع الكتاب [٦]. قال الرازي « وأما ما دلّ على أنه بكليته متشابه فهو قوله تعالى : (**كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ** ()) [٧] ، والمعنى : أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدّق بعضه بعضا » [٨] ، وأقوال هذا التشابه يحصل في أمور :أحدها : إن الكاتب البليغ إذا كتب كتابا طويلا فانه يكون

---

٦ ـ تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٦٣ .
١ ـ البقرة / ٧٠ .
٢ ـ البقرة / ٢٥ .
٣ ـ ظ : البرهان ، الزركشي ٢ / ٦٩ ، ومناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٦٦ .
٤ ـ الزمر / ٢٣ .
٥ ـ ظ : الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٢١ .
٦ ـ الزمر / ٢٣ .
٧ ـ مفاتيح الغيب ، الرازي ٧ / ١٨٠ .

بعض كلماته فصيحا ، ويكون بعضه غير فصيح ، والقرآن يخالف ذلك فانه فصيح كامل الفصاحة بجميع أجزائه .

ثانيها : إن كل ما فيه من الآيات ، والبيانات فانه يقوي بعضه بعضا ، ويؤكد بعضه بعضا .

وثالثها : إن هذه الأنواع الكثيرة من العلوم التي عددناها متشابهة متشاركة في أن المقصود منها بأسرها ، الدعوة إلى الدين ، وتقرير عظمة الله ، ولذلك فانك لا ترى قصة من القصص إلا ويكون محصلها المقصود الذي ذكرناه ، فهذا هو المراد من كونه متشابها [١].

« ومعنى : كتابا متشابها ، أي : يشبه بعضه بعضا ، ويصدّق بعضه بعضا » [٢]. و« كونه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والإعجاز عندما وصف القرآن » [٣] و « معناه : انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ » [٤]، « والمراد أنه يشبه بعضه بعضا من الحسن والإعجاز والبراءة من التناقض » [٥]،« أي يشبه بعضه بعضا في هدايته وبلاغته وسلامته من التناقض والتفاوت والاختلاف » [٦].

وصف القرآن آياته كلها بالمتشابه ، جاء ذلك في قوله تعالى : (**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا**()) [٧]، وقصد بالتشابه هنا :« التماثل والإتقان والبلاغة

---

١ ـ ظ : مفاتيح الغيب ، الرازي ٧ / ١٨٠ .
٢ ـ الجامع لأحكام القرآني ، القرطبي ٨ / ٤ .
٣ ـ الاتقان ، السيوطي ٢ / ٢ .
٤ ـ حاشية الشيخ محيي الدين زاده على تفسير القاضي البيضاوي ٣ / ١٢ .
٥ ـ غرائب القرآن ، العلامة نظام الدين الحسن القمي ٢ / ١٠٤ .
٦ ـ المنار ، محمد رشيد رضا ١٦٣ .
٧ ـ الزمر / ٢٣ .

والأهداف والاتساق حتى أنك لا تستطيع أن تفاضل بين كلماته وآياته في هذا الحسن والأحكام والإعجاز ، كأنه حلقة مفرغة لا يدري أين طرفاها » [١] .

قال الشيخ محمد جواد مغنية في تفسير المتشابه « إن بعضه يُشبه بعضه في البلاغة والهداية » [٢].

وطبقا لما تأسس أنفا فان العلماء قد اتفقوا على كون القرآن كله محكما ، وكله متشابها ، ولا تعارض في ذلك ، لأن المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرق النقض والاختلاف إليه ، أي : يشبه بعضه بعضا في الكمال ، والجودة ، والحسن ، والصدق ، والحق ، والهدى ، والنفع ، ويصدق بعضه بعضا في المعنى ، ويماثله ، فهذا معنى التشابه العام الذي وصف الله به كتابه في قوله تعالى : (**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ**()) [٣].

**القسم الثاني : التشابه : مايقابل الإحكام :**

وصف القرآن الكريم آياته بأن فيها المحكم والمتشابه ، أي : فيه ما يدل على أن بعضه محكم ، وبعضه الآخر متشابه ، جاء هذا الوصف في قوله تعالى : (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**()) [٤] .

ودليلنا على ذلك أن الآيات المحكمات واضحة الدلالة على مراد الله ليس فيها اشتباه ، أو إشكال ، ولا يتطرق إليها التأويل أو الاحتمال أما الآيات المتشابهات فهي التي لا يتضح معناها مباشرة ويشبه لفظها غيرها ، وتشتبه معانيها مع آيات أخر ، فهي مأخوذة من المعنى العام للتشابه ، وهي مشابهة الشيء لغيره من وجهة مع

---

٨ ــ ظ : مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٦٧ ، ومباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ٢١٨ ، وعلوم القرآن ، فرج توفيق ص ٨٧ ، وعلوم القرآن ، رشدي عليان وقحطان الدوري ص ١١٦ .
١ ــ الكاشف ٢ / ١٢ .
٢ ــ الزمر / ٢٣
٣ ــ آل عمران / ٧ .

مخالفته له من وجهة أخرى ، فالآيات المتشابهات هي التي تشبه هذا وتشبه هذا ، فتكون محتملة لمعنيين أو أكثر خلافا للآيات المحكمات .

قال السيد الطباطبائي : " المراد بالتشابه كون الآية بحيث لا يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها ، بل يتردد بين معنى ومعنى حتى يرجع إلى محكمات الكتاب ، فتعين هي معناها وتبينها فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة ، والآية المحكمة محكمة بنفسها " [١] . وسوف يتضح لك أكثر عند الحديث عن المعنى الاصطلاحي لدى العلماء .

**٣ ــ المعنى الاصطلاحي :**

قال أبن عباس " والمتشابه ما أحتمل أوجها ، وهو ما دأب عليه الأصوليون " [٢] ، وقد ورد في تفسير العياشي : " سئل الإمام الصادق (ع) عن المحكم والمتشابه ، عن مسعدة بن صدقة : والمتشابه ما أشتبه على جاهله " [٣] .

" وقد يقال : لكل ما غمض ودقّ ، متشابه ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبهة بغيره ، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطعة في أوائل السور المتشابه " [٤] .

والمتشابه هو متشابهات في التلاوة ومختلفات في المعنى [٥] .

قال الشيخ المفيد : " المتشابهات محتملات لا يتضح مقصودها إلا بالفحص والنظر "[٦]." والمتشابه : ما كان المراد به لا يُعرف بظاهره بل يحتاج إلى دليل ،

---

١ ــ الميزان ٣ / ٢١ .
٢ ــ مناهل العرفان في علوم القرآن / محمد عبد العظيم الزرقاني ٢ / ٦٨ .
٣ ــ تفسير العياشي ، ١ / ٨٥ .
٤ ــ تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ص ٩٥ .
٥ ــ ظ : جامع البيان ٣ / ٢٣٣ .
٦ ــ النكت الاعتقادية ص ٢٢٦ .

وذلك ما كان محتملا لأمور كثيرة ، أو أمرين لا يجوز أن يكون الجميع مرادا ، فانه من باب المتشابه ، وإنما سُمّي متشابها لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد » [1] .

قال الراغب : « المتشابه في القرآن ، ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره ، أما من حيث اللفظ ، أو من حيث المعنى ، فقال الفقهاء : المتشابه ما لا يتبين ظاهره عن مراده » [2] ، « والآيات المتشابهات ، هي التي تحتاج إلى تأويل ويظهر فيها ببادئ النظر ، إما تعارض مع أخرى ، أو مع العقل » [3] .

قال الفخر الرازي في تعريف المتشابه : « إن اللفظ إما أن يكون نصّا أو ظاهرا أو مؤولا ، أو مشتركا ، أو مجملا ، وأما المجمل والمؤول فهما مشتركان في أن دلالة اللفظ عليه غير راجحة ، وإن لم يكن راجحا لكنه غير مرجوح لا بحسب الدليل المفرد ، فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمتشابه » [4] .

وقد ورد في تشابه القرآن ومختلفه ، ما عرّفه ابن شهر آشوب « والمتشابه ما لا يعلم المراد منه بظاهره حتى يقترن ما يدل على المراد منه لالتباسه » [5] .

« إن المتشابه ما يحتمل وجوها ثم إذا رُدّت الوجوه إلى وجه واحد ما بطل الباقي صار المتشابه محكما » [6] .

قال ابن كثير في تعريف الآيات المتشابهات : « أي : تحتمل دلالتها موافقة المحكم ، وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب » [7] .

قال الزركشي :« وأما المتشابه فأصله أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني ، كما قال تعالى : (**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ())[1] » [2] . « والمتشابه هو الذي

---

٧ ــ التبيان ، الطوسي ١ / ١٠ .
١ ــ المفردات ، مادة ( أول ) ص ٢٥٤. وظ : القاموس الفقهي ، سعدي أبو الجيب ١٩٠ .
٢ ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبن عطية ٣ / ١٧ .
٣ ــ مفاتيح الغيب ٧ / ١٨١ .
٤ ــ متشابه القرآن ومختلفه ، محمد بن علي بن شهر آشوب ص ٢ .
٥ ــ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٤ / ٩ .
٦ ــ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ١ / ٣٥٢ .

يخلو من الدلالة الراجحة على معناه » [٣] . « والمتشابهات هي التي دلّت على معان في أن يكون كل منها هو المراد ، ومعنى تشابهها أنها في صحة القصد إليها ، أي : لم يكن بعضها أرجح من بعض » [٤] .

وقد رجح صاحب المنار قول الشيخ محمد عبده في تعريف المتشابه بقوله : « التشابه إنما يكون بين شيئين فأكثر ، وهو لا يفيد عدم المعنى مطلقا » [٥]. ووصف المتشابه في الآيات المتشابهة باعتبار معانيها ، والمعنى ، وجود معان متشابهة في فهمها من اللفظ ولا يجد الذهن مرجّحا لبعضها على بعض [٦].

وقد اختار الشيخ محمود شلتوت تعريفا للمتشابه ، حيث قال :« فلَنا أن نختار في معنى المتشابه ذلك الرأي الذي يرجع إلى اختلاف الدلالة واحتمال المعاني المختلفة في آيات الأحكام وآيات المعارف ... ولنا أن نختار رأي الخلف من المتكلمين الذين يصرفون اللفظ عن ظاهره إلى معنى يليق بجلالة الله وتنزيهه » [٧].

وعرف السيد الخوئي ( قدس ) المتشابه :« أن يكون للفظ وجهان في المعاني أو أكثر ولم يتعين أحدهما حتى تقوم قرينة تدل عليه » [٨]. « والمتشابه حسب المصطلح القرآني هو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني وكان موضع ريبة وشبهة » [٩]. وهو عند محمود البستاني « ما يحتمل أكثر من تأويل » [١٠].« وهو اللفظ الذي خفيت دلالته

---

٧ ـ البقرة / ٢٥ .
٨ ـ البرهان ٢ / ٦٩ .
١ ـ الإتقان ، السيوطي ٢ / ٥ .
٢ ـ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ص ١٥٥ .
٣ ـ تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ص ١٦٤ .
٤ ـ المصدر نفسه ص ١٦٤ .
٥ ـ تفسير القرآن الكريم ص ٦٠ .
٦ ـ البيان في علوم القرآن ص ٢٧٢ .
٧ ـ التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة ٣ / ٦ .
٨ ـ دراسات في علوم القرآن ، ص ١٤١ .

على معناه لسبب في نفسه بحيث لا ترجى معرفته ولم توجد قرينة تدل عليه » [١].
وقد ورد التعريف على لسان الشهيد الصدر ( قدس ) : « والمتشابه ، ما يدل على مفهوم معين تختلط علينا صورته الواقعية ، ومصداقه الخارجي»[٢] .

والناظر في كل ما تقدم من المعاني الاصطلاحية للمتشابه أن العلماء يكادون يجمعون على التقارب في الآراء فيما بينهم لأنهم ــ كما أرى ــ يصدرون من مشرب الثقافة القرآنية وما أجمع عليه أهل السلف الصالح فاللاحقون بهم وان تمايزت العبارة لدى كل منهم واختلف الأسلوب غير أن الاتفاق في المضمون هو السائد .

٩ ــ علوم القرآن ، رشدي عليان وقحطان الدوري ص ١١٦ .
١ ــ علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ص ١٩٢ نقلا عن الشهيد محمد باقر الصدر .

# الفصل الأول

# المتشابه في القرآن الكريم

**المبحث الأول : أقسام التشابه في القرآن الكريم .**

**المبحث الثاني : أسباب التشابه والاتجاهات الرئيسية فيه .**

**المبحث الثالث : العلاقة بين المتشابه والمحكم .**

**المبحث الرابع : الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم .**

## المبحث الأول :

## أقسام المتشابه في القرآن الكريم .

**تمهيد : ـ**

المتشابه في القرآن الكريم من المواضيع التي اضطربت فيها أقوال العلماء واختلفت فيها اختلافا عظيما مما يستوجب جمع أقوالهم المتناثرة حول هذا الموضوع وتحقيقها ، والتوفيق بينها ما أمكن بصورة تجلي هذا الموضوع وتزيل ما فيه من غموض لمن يطلع عليه في كتابات العلماء التي يصعب عليه أن يخرج منها بشيء شاف .

قُسّم المتشابه في القرآن الكريم على قسمين : تشابه حقيقي ، وتشابه نسبي ، ولكي تتبين لنا صورة هذا التقسيم القائم على أسس ظهور المعنى وخفائه ، لا بد لنا من بيان أقسام المتشابه ، وهي [1] :

**ا ـ الحقيقي :**

وهو الذي لا يعلم تأويله إلا الله سبحانه ، فليس بمقدور الناس الوصول إلى حقيقته حتى يدركوها ، قيل [2] : أن هذا القسم يشمل جميع ما أخبر الله به عن نفسه ، مثل كيفيات أسمائه وصفاته التي منها قوله تعالى : (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ()** )[3].وقوله تعالى:(**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ()** ) [4]. وقوله تعالى : (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ()** ) [5].

وقوله تعالى : (**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ()** ) [6]. وقوله تعالى : (**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ()** ) [7]. وقوله تعالى : (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ()** ) [8]. إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته .

---

١ ـ المتشابه في القرآن الكريم ، د . طه عابدين طه ، بحث .
٢ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، الشريف الرضي ص ٨ .
٣ ـ طه / ٥ .
٤ ـ الفجر / ٢٢ .
٥ ـ القصص / ٨٨ .
١ ـ الفتح / ١٠ .
٢ ـ الفتح / ٦ .
٣ ـ البينة / ٨ .

قال السيوطي في الإتقان : « وجمهور أهل السنة ، منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها » [١].

وكالعلم بوقت القيامة وما جاء بحقائق اليوم الآخر ، كما قال تعالى : ( **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ()** )[٢]، والمراد بذلك على وقتها المحدد وحقيقتها وخروج الدابة ، ونزول المسيح ــ عليه السلام ــ وما أستأثر الله به من غيوب لا يعلم أحد وقتها ، وحقيقتها ، ونوعها إلا هو جلّ وعلا ــ لأن منه ما لا تستطيع المدارك الوصول إلى حقيقته أما لضعفها وعدم تهيئها الآن في الحياة الدنيا، أو لعدم وجود نظير ما وصف الله في كتابه عندنا ، إلى غير ذلك من أسباب ، وهو الذي لا سبيل إلى معرفة حقيقته [٣] .

وما جاء كذلك عن الملائكة ونحو ذلك ، فأن هذه الأمور معلومة المعنى بالنسبة إلينا لكن كنهها وحقيقتها غير معلومة فهي متشابه من حيث الحقيقة لا من حيث المعنى . وقد ألحق بعض العلماء بهذا النوع الحروف المقطعة في أوائل السور ، قال الشعبي : « إن لكل كتاب سرا ، وان سر هذا القرآن فواتح السور » [٤].

ورد عن القرطبي قوله : « قال جابر بن عبد الله ، وهو مقتضى قول الشعبي ، وسفيان الثوري ، وغيرهما ، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه . قال بعضهم ، وذلك مثل وقت قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج ، والدجال ، وعيسى ، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور » [٥].

---

٤ ــ ظ : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣ / ١٤ .
٥ ــ الأحزاب / ٦٣ .
٦ ــ الإتقان في علوم القرآن ،السيوطي ٢ / ٨،٧ . وظ : مناهل العرفان ،الزرقاني ٢ / ١٧٥ .
٧ ــ المحرر الوجيز ، ابن عطية ١ / ٣٢ ، ومعالم التنزيل ، البغوي ١ / ١١ .
١ ــ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٤ / ١٢ .

وأورد السيوطي في تفسيره رأي الحنفية في المتشابه ، بقوله : « المتشابه الخفي الذي لا يدرك معناه ، عقلا ولا فعلا وهو ما استأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة ، والحروف المقطعة في أوائل السور » [1].

وقد قسم الشيخ الطوسي معاني القرآن على أربعة أقسام ، أحدها « ما أختص به الله تعالى بالعلم ، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه ، ولا تعاطي معرفته ... ، مثل قوله تعالى : (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ** () ) [2]. ومثل قوله : (**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** () ) [3] » [4] .

وقد مال أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير إلى رأي الشيخ الطوسي بقوله : « والحق أن تقسيم وجوه المعاني المفسرة عند الشيخ الطوسي فيه كثير من الضبط والدقة ، إذ أبان عن الوجوه التي يمكن أن تفسر ، والوجوه التي لا تفسر ، مع موارد الحيطة والتوقف » [5].

وان ما أختص به الله تعالى بالعلم ، قد حدد بضوابط ، فلا يجوز لأحد التمحل فيه ، أو الخوض بغماره ، مثل النفخ بالصور وتحديد الأعمار، وعلم ما في الأرحام ، ونزول الغيث ، وتبديل الأرض والسماء وتكوير الشمس ، وانتشار الكواكب ، ودك الأرض ، وتفجير البحار وتسجيرها وأمثال ذلك مما هو مختص بعلم الغيب ، أو هو في اللوح المحفوظ مما لم يطلع الله عليه أحدا من عباده ، ... ويرى الدكتور الصغير أن الخوض في هذا الجانب مشكل شرعا ، ولا يدعمه مستند نصي أو شرعي ، أو تاريخي [6].

---

٢ ـ روح المعاني ، الآلوسي ٢ / ٨ .
٣ ـ الأعراف / ١٨٧ .
٤ ـ لقمان / ٣٤ .
٥ ـ التبيان ، الطوسي ١ / ٥ .
٦ ـ المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ص ٣٠ .
١ ـ ظ : المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ص ٣٠ .

وقيل هناك من المتشابه ما لا يجوز وقوع العلم لنا به كوقت وقوع الساعة والذنوب الصغائر ، وبعض الناس من يجوّز ورود لفظ مجمل في حكم يقتضي البيان ، ولا يبينه أبدا فيكون ضمن منطوق المتشابه الذي لا نصل إلى العلم به [1].

والتشابه على رأي الشاطبي حقيقي ، وإضافي ، فالحقيقي ما لا سبيل إلى فهم معناه ، وهذا موافق لرأي الجمهور من كون المتشابه مما استأثر الله بعلمه [2].

ومن ذلك على هذا النحو ما قاله سيد قطب : من أن السمعيات والغيبيات ومنها نشأة عيسى ــ عليه السلام ، ومولده ــ يصعب إدراك ماهيتها وكيفيتها ، فقد يوقف عند مدلولاتها القريبة والتصديق بها ، لأنها صادرة من هذا المصدر الحق كون طبيعتها فوق وسائل الإدراك الإنساني المحدودة [3].

وأما ما لا يعلمه إلا الله ، فهو ما يجري مجرى الغيوب نحو الآي المتضمنة قيام الساعة وتفسير الروح والحروف المقطعة ، وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره ، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله [4].

يرى ابن شهر آشوب إن إجماع الأمة لا بد أن يكون قول المعصوم داخلا فيه ففي تفسيريه لقوله تعالى : (**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴿﴾ ) [5] ، قال : « ظاهر الآية يقتضي اتباع المعصومين لأنهم مؤمنون على الحقيقة ظاهرا وباطنا ولا

---

٢ ــ ظ : أحكام القرآن ، الجصاص ٢ / ٣ .
٣ ــ ظ : الموافقات ، الشاطبي / ص ١٥٦ . وظ : تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ص ١٥٦ .
٤ ــ ظ : في ظلال القرآن ٣ / ١٤٧ .
٥ ــ ظ : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٤ / ١١٨ .
١ ــ النساء / ١١٥ .

يحمل ذلك على كل من أظهر الاسلام لأنه لا يوصف بذلك إلا مجازا والحقيقي من فعل الإيمان فيصح ان الإجماع لا بد أن يكون قول المعصوم داخلا فيه » [١]

« فإذا لم يوجد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما أستأثر الله بعلمه »[٢].

وقد قسّم الشيخ محمد جواد مغنية المتشابه على عدة أقسام منها : ما يعرف معناه على سبيل الإجمال دون التفصيل ، مثل قوله تعالى : « ونفخنا فيه من روحنا » [٣] وأضاف : فان الروح هي سر إلهي أما معرفة هذا السر بكنهه وحقيقته ، فهو من أمر الله سبحانه وتعالى لا يعرفه حتى العلماء ، وأكد على أن المعرفة الإجمالية كافية معللا ذلك بأنه ليس الشرط بصحة الخطاب بالشيء أن يعرفه المخاطب بالتفصيل ، وهذا ما يطلق عند البعض بالمتشابه الحقيقي [٤].

والوجه الصحيح من حكمة وجود المتشابه في القرآن الكريم عند السيد محمد باقر الحكيم هو تقسيمه المتشابه على قسمين ، منه : الذي لا يعلم تأويله ومصداقه إلا الله ، وفي ذلك أهداف رئيسة جاء من أجلها القرآن الكريم تتجلى في ربط الإنسان الذي يعيش الحياة الدنيا بالمبدأ الأعلى وهو الله سبحانه ، وبالمعاد ، وهذا الربط لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق إثارة المواضيع التي تتعلق بعالم الغيب وما يتصل به من أفكار ومفاهيم لينمي غريزة الإيمان التي فطر الإنسان عليها ويشدّه إلى عالمه الذي سوف ينتهي إليه ، فلم يكن هناك سبيل أمام القرآن الكريم يتفادى به المتشابه في القرآن بعد أن كان هو السبيل الوحيد الذي يوصل إلى الهدف الرئيسي [٥]

إن كثيرا من العلماء أكدوا عدم توقيف تفسير المتشابه في القرآن على الله سبحانه وتعالى ، إنما العلماء الذين أعطاهم الله من علمه ووفقهم في ذلك على غيرهم كان لهم

---

٢ ــ متشابه القرآن / ابن شهر آشوب ٢ / ١٥٦ .
٣ ــ البرهان ، الزركشي ٢ / ١٦٦ .
٤ ــ الأنبياء / ٩١ .
٥ ــ ظ : الكاشف ، ٢ / ١٠ .
١ ــ ظ : علوم القرآن ص ٢١١ .

نصيب كبير من تأويل المتشابه وكان لهم فضل في ذلك على عامة الناس بعد أن أودع الله سبحانه وتعالى علمه فيهم ، وقد أورد ابن قتيبة ما نصه : « ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم ... وقال هذا غلط من متأوله على اللغة والمعنى ، ولم ينزل الله شيئا من القرآن الكريم إلا لينتفع به عباده ويدل به على معنى أراده، فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره ، للزمنا للطاعن مقال ، وتعلق علينا بعلة وهل يجوز لأحد أن يقول : إن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لم يكن يعرف المتشابه ، وإذا جاز أن يعرفه مع قوله تعالى :« وما يعلم تأويله إلا الله » [١]. جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته ، فقد علّم عليا بالتفسير » [٢].

واستند ابن قتيبة في قوله هذا على أدلّة منها : « ودعا لأبن عباس ، فقال : « اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين »»[٣].

وروى عبد الرزاق [٤] عن إسرائيل [٥]عن سماك بن حرب [٦]

عن عكرمة [٧]عن ابن عباس أنه قال : « كل القرآن أعلم إلا أربعا ، غسلين ، وحنانا ، والأوّاه ، والرقيم ، وكان هذا قول ابن عباس في وقت وقد عَلِمَ ذلك بعده » [٨]

---

٢ ــ آل عمران / ٧ .
٣ ــ تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ص ٦٦ .
٤ ــ المصدر نفسه ص ٦٦ . وظ : المستدرك ، الحاكم ٣ / ٥٣٦ . وظ : المعجم الكبير ، الطبراني ١٠ / ٢٩٣ . وظ : البداية والنهاية ، ابن كثير ٨ / ٢٩٦ .
٥ ــ وهو أبو بكر عبد الرزاق بن نافع الحميري ، ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفي سنة ٢١١هــ . من تصانيفه : تزكية الأرواح عن مواقع الفلاح ، وتفسير القرآن ، والجامع الكبير في الحديث وغيرها . ظ :كشف الظنون ،حاجي خليفة ٥/٨٣٤ .
٦ ــ هو إسرائيل بن يونس بن إسحاق أبو يوسف الكوفي ، محدّث ثقة ، ولد سنة ١٠٠هــ وتوفي ١٦٢هــ . ظ : تهذيب التهذيب ١ / ٢٦٩ .
٧ ــ من كبار تابعي الكوفة (ت ١٢٣) .ظ : تهذيب التهذيب ٢٣٣/٤ ــ ٢٣٤ .
١ ــ أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله ، بربري الأصل ، مولى ابن عباس (ت ١٠٥هــ) له تفسير ، ظ : كشف الظنون حاجي خليفة ٥ / ٦٦٦ .
٢ ــ مجمع البيان ، الطبرسي ٦ / ٣١٤ .

« وقد ردّ بعض العلماء على المتشابه الحقيقي ، فمنهم من قال : إن الصحابة والتابعين أجمعوا على تفسير جميع آي القرآن الكريم ، ولم يقفوا على شيء منه لم يفسّروه ، بأن قالوا : هذا متشابه لا يعلمه إلا الله » [1].

« ونحن لم نرَ المفسرين إلى هذه الغاية توقفوا عن شيء من القرآن ، فقالوا : هذا متشابه لا يعلم تأويله إلا الله بل أمرّوه على التفسير حتى فسّروا الحروف المقطعة »[2].

إن في دعاء الرسول الرحمة ( صلى الله عليه وآله وسلم ) لأبن عباس ( اللهم علمه التأويل ... ) حكمة جامعة قد مهدت السبل في الكشف عن مصاديق الدعاء الكريم وأخذت بأيدي العلماء إلى مدارج الوعي الصادق وهو ينقب في خزائن الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم ، ويهديهم طريق النجاة لاستشراف مداليل آي الذكر الحكيم وعدم توقف العقل عند جزئية في البحث لا يغادروها .

وأما موضوع علم الساعة فيردّه الطبري إلى ما استأثر الله بعلمه ، ومنه انقضاء مدة أجل محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وأمته وما هو كائن دون من سواه من البشر الذين أملوا إدراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة . وأما الراسخون في ا لعلم فيقولون آمنا كل من عند ربنا لا يعلمون ذلك ولكن فضل علمهم في ذلك على غيرهم العلم بأن الله هو العالم [3].

وذلك لأن المتشابه « ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ووقت طلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة ، وفناء الدنيا ، وما أشبه ذلك ، فأن ذلك لا

---

٣ ـ المصدر نفسه ١ / ٤١٠ .
٤ ـ البرهان ، للزركشي ٢ / ٧٣ .
٥ ـ ظ : جامع البيان ، الطبري ٣ / ٢٤٩ ، وظ : تفسير البيضاوي ٥/٢ .

يعلمه أحد »[1]. اي نزول عيسى من السماء وقيام المهدي ( عج ) وهذا ما يتجنب روايته الطبري .

ويرد على هذا محمد هادي معرفة بقوله : « ولعل هؤلاء قد غشيتهم غفلة ففاتهم أن آية آل عمران القصد منها تنويع آي القرآن إلى محكمات ومتشابهات ، وأن المحكمات هن مراجع الأمة بالذات وأما المتشابهات فيعمد إلى تأويلها أهل الأهواء الفاسدة ، ولا يعلم تأويلها الصحيح سوى الله والراسخون في العلم ، وهذا هو فحوى ما تضمنته الآية الكريمة بعيدا عما يتفق والأمور السبعة التي أستأثر الله بعلمها من نحو ، خروج الدجال ، ونزول المسيح ، وطلوع الشمس من مغربها ، لأنها من أشراط الساعة ، ولا علاقة لها بموضوع آية آل عمران ، ويرى معرفة : أنها غفلة غريبة كيف خفي عليهم ذلك ، ولم ينتبهوا إلى هذا الفضح والواضح » [2].

وقد فسر ابن تيمية ، وتبعه صاحب المنار ، وبعض المعاصرين من أن المراد من المتشابه ما لا يعلم تأويله إلا الله ، والمراد من التأويل ما استأثر الله بعلمه ، مثل وقت الساعة ، ومجيء نفسه ، ومثل كيفية نفسه وما أعدّه في الجنة لأوليائه [3].

وردّ ذلك بعض المعاصرين هذا الوجه بعدة أمور ، منها : إن ما ذكره ابن تيمية وغيره أنما هو من المفردات ، والمتشابه من أقسام الآيات ، فكيف نفسر المتشابه بمثل وقت الساعة وغيرها من واقع الجنة ، والنار ، والصراط ، والكل مفردات ، وليس آية ، في حين أن المتشابه آية متشابهة لا مفرد مبهم .

ومنها أيضا ، أنها فاقدة للظهور ، والمتشابه ماله ظهور مستقل يتبعه أصحاب الزيغ ، ومنها : أن المتشابه ما يقع ذريعة لأصحاب الزيغ لإضلال الناس ، وليس

---

١ ـ جامع البيان ،الطبري٣/ ٢٤٧ . وظ : الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي ٩/٤.
٢ ـ التمهيد ، محمد هادي معرفة ص ٤٦ .
٣ ـ ظ : التفسير الكبير ٢٥٣/١ ظ : المنار ، محمد رشيد رضا ، ١٨٥. ظ : في ظلال القرآن ، سيد قطب ٣ /١٤٧ .

فيما عدّه ما يمكن به اغواؤهم ، ولم تقع تلك الآيات ذريعة للإضلال في تاريخ حياة المسلمين [1].

قال أبو إسحاق الشيرازي ( ت ٤٦٧هـ ) [2] : « ليس شيء استأثر الله بعلمه ، بل وقف العلماء عليه ، لأن الله تعالى ، أورد هذا مدحا للعلماء ، فلو كانوا لا يعرفون معناه ، لشاركوا العامة » [3].

ومما ورد في بعض الأحاديث من أن اختصاص بعض آي المتشابه في أن علمها بيد الله تعالى ، حيث أنه استأثر بذلك العلم ، أي يوكل أمره إلى الله تعالى ، من ذلك ما ورد في خطبة الاشباح من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ : « فانظر أيها السائل فما دلك عليه من صفته فأتمْ به و استضئ بنور هدايته ، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وأئمة الهدى أثره فكلْ علمه إلى الله سبحانه ، فان ذلك منتهى حق الله عليك » [4].

« وأعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السّدّد المضروبة دون الغيوب و الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما ، وسمّى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فاقتصر على ذلك و لا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين »[5].

---

١ ــ المبادئ العامة لتفسير القرآن ، د . الصغير ص ١٠٢ ، ظ : المناهج التفسيرية في علوم القرآن ص ١٦٦ .

٢ ــ هو إبراهيم بن علي بن يوسف ، أشتهر بقوة الحجة في المناظرة ، له تصانيف كثيرة ، أهمها : التبصرة في أصول الفقه ، توفي سنة ٤٧٦هـ . ظ : طبقات السبكي ٨٨/٣ .

٣ ــ مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ص ٢٨٨ .

٤ ــ الكافي / الكليني ٨ / ٣٩٤. شرح نهج البلاغة ابن أبي حديد ( ت ٦٥٦هـ ) ٦ / ٤٠٣ .

١ ــ المصدر نفسه ٤ / ٢٧٧ .

وقد أجمع أغلب العلماء وشرّاح نهج البلاغة على إن ما أراده أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ هو الصفات ، أي : أن صفات الله تعالى يجب التعبد بها ، وعدم الولوج في معرفة كنهها ، إذ لا يمكن هناك سبيل إلى معرفة حقيقة الصفات ، وكذلك لا يمكن أن يكون هناك طريق لمعرفة حقيقة الذات إذ من الواجب علينا أن نصفه كما وصف نفسه في كلامه تعالى ، سميع ، بصير، حكيم ، عليم ، حي ، قيوم ، ولم نكلف في معرفة حقائق هذه الصفات إذ ضُربت دون معرفة حقيقتها السّدد والحجب فلا يمكن بلوغها [1].

والى حقيقة ذلك يشير السيد الطباطبائي إلى أن التأويل ليس من قبيل المعنى المراد باللفظ بل هو الأمر العيني الذي يعتمد عليه الكلام ، وهو على أنواع ، منها : ما يتعلق مما استأثر الله بعلمه « وإن كان من الأمور المستقبلية الغيبية التي لا تنالها حواسنا الدنيوية ولا تدرك حقيقتها عقولنا كالأمور المربوطة بيوم القيامة ، ووقت الساعة ، وحشر الأموات ، والجمع ، والسؤال ، والحساب ، وتطاير الكتب ، أو كان مما هو خارج من سنخ الزمان وإدراك العقول ، كحقيقة صفاته ، وأفعاله تعالى ، فتأويلها أيضا نفس حقائقها الخارجية ، والفرق بين هذا القسم ــ أعني : الآيات المبينة لحال صفات الله تعالى وأفعاله ، وما يلحق بها من أفعال يوم القيامة ونحوها ، وبين الأقسام الأخر يمكن حصول العلم بتأويلها بخلاف هذا القسم ،فإنه لا يعلم حقيقة تأويله إلا الله تعالى » [2].

ثم قال بعدها يمكن أن يناله الراسخون في العلم بتعليم الله تعالى بعض النيل على قدر ما تسعه عقولهم [3].

---

٢ ــ ظ : منهاج البراعة ، الراوندي ١ / ٣٨٢ ، وظ : شرح نهج البلاغة ، أبن أبي حديد ٦ / ٤٠٤ ، وظ : شرح الخطبة ، ابن ميثم البحراني ٢ / ٣٣٠ .
١ ــ الميزان / الطباطبائي ٣ / ٤٥ .
٢ ــ ظ : الميزان الطباطبائي ٣ / ٤٥. .

وخلاصة ما تحصل لدينا من عرض آراء المفسرين باختلاف آرائهم أو اتفاقها في موضوع المتشابه الحقيقي أن الاتفاق هو السائد في أن بعض من آي الذكر الحكيم المتشابهة هي من استئثار الله تعالى بالعلم بها ، ولا نميل إلى الرأي القائل بأن المتشابه قد أستأثر الله به جملة وتفصيلا وأن الراسخين في العلم لا نصيب لهم في تأويل ما تشابه منه ، ونميل إلى ما ذهب إليه السيد الطباطبائي في تفسير الميزان من أن ما أختص الله بالعلم به فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه ولا تعاطي معرفته ، كقوله تعالى : ( **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ** ... () ) [1] ، و قوله تعالى : (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ... () ) [2] ، إذن المتشابه الحقيقي يدرك معناه دون حقيقته وكيفيته ، إلا من أودع الله بعض علمه في عقول الراسخين .

**ب ـ النّسبي :**

المتشابه النسبي آيات قد جعل الله ـ عز وجل ـ لعباده سبيلا إلى معرفتها ، غير أنها تشابهت على الناظر فيها ولا ينسب الاشتباه هنا إلى الأدلة إلا من جهة تشابهها للناظر ، كما في قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ « أن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس » [3] .

وهذا يدل على أن بعض الناس يعرفها ، فهي ليست بالمشتبهة على الجميع ، وهي على وجهين :

**الأول : موكول بمن أوتي حظا من النظر :**

بسبب أنه يشتبه على بعض دون آخر . ويكون مسوّغ التشابه فيه أمرا يسيرا بسبب غرابة اللفظ ، أو ما يحتويه من إجمال ، أو عموم ، وما إلى نحو ذلك مما

٣ ـ الأحزاب / ٦٣ .
٤ ـ الإسراء / ٨٥ .
١ ـ صحيح البخاري ، البخاري ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ـ ح ـ رقم ٥٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب البيوع ـ باب أخذ الحلال وترك الشبهات ـ ح ـ رقم ٢٩٩٦ .

يُتحصل بقدر يسير من البحث والمدارسة والتحقيق وتكتنف هذا النوع صور متعددة ، منها [١] :

١ ــ ما ورد من ألفاظ تنطوي على أكثر من وجه ، مثل : لفظ ( أنا ) و ( نحن ) وغيرها من صيغ الجمع ، فأنها من الألفاظ المتشابهة ، لأنه يُراد بها :

ا ــ الواحد الذي معه غيره من جنسه .

ب ــ ويراد بها الواحد الذي معه أعوان ، وإن لم يكونوا من جنسه تابعون له لا شركاء معه .

ج ــ المراد بها ، الواحد المعظّم نفسه الذي يقوم مقام من معه غيره ، لتنوع اسمائه التي كل أسم فيها يقوم مقام مسمى . فصار هذا من المتشابه ، لتعدد المعنى واللفظ واحد ، فإذا تمسّك النصراني بقوله تعالى : (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ()** ) [٢] ، ونحوه على تعدد الآلهة ، كان المحكم ، كقوله تعالى : (**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ()** ) [٣] ، ونحو قوله تعالى : (**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ()** ) [٤] ، وقوله تعالى : (**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ()** ) [٥] ، وقوله تعالى : (**وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ()** ) [٦] ، وقوله تعالى : (**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ () وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ()** ) [٧] ، أما الملاحظ على هذه الآيات

---

٢ ــ ظ : التفسير قاسمي ــ المسمى : محاسن التأويل ــ محمد جمال الدين القاسمي ٢ / ٢٥٨ و مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ٢ / ١٧٧ .

٣ ــ الحجر / ٩ .

١ ــ البقرة / ١٦٣ .

٢ ــ طه / ١٤ .

٣ ــ المؤمنون / ٩١ .

٤ ــ الفرقان / ٢ .

٥ ــ الاخلاص / ٣ ، ٤ .

الكريمة هو ما نراه من التاكيد على صيغة الجمع والبيان لما يستحقه سبحانه من العظمة والاسماء والصفات ، وطاعة المخلوقات من الملائكة وغيرهم [1] .

ومن ذلك ، مثلا ، في ما جاء في لفظة ( اليمين ) من قوله تعالى : (**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ()** ) [2] ، فقد يراد : اليمين من اليد ، وقد يراد : ضاربا لها ضربا شديدا ، لأن اليمين أقوى الجارحتين أو بسبب اليمين التي حلفها ونوّه بها القرآن إذ قال تعالى : (**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ** ) [3] ، كل ذلك جائز ، وهذا التشابه في المفرد ناتج عن اشتراكه بين معان عدّة . كما جاء في قوله تعالى ـ أعلاه كون لفظ اليمين مشترك بينها [4] .

وكذلك ما ورد في قوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ()** ) [5] ، فهذه الآية متشابهة تحتمل معنيين : المعنى الأول ، غفران الذنوب جميعا لمن تاب ، والمعنى الثاني ، غفران الذنوب جميعا لمن لم يتب ، ولدى رد المتشابه إلى المحكم ، كما في قوله تعالى : (**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ()** ) [6] ، يتبين من هذه الآية المحكمة إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب ، وهو مؤمن واتبع طريق الهدى ، ولا يتحقق الغفران عن الذنوب جميعا لمن لم يتب [7] .

٢ ـ توهم التعارض من بعض النصوص ، من مثل قوله تعالى : (**فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ()** ) [8] ،مع قوله تعالى :(**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ()** ) [1].

---

٦ ـ محاسن التأويل ، محمد جمال القاسمي ٢/ ٢٥٨ .
٧ ـ الصافات / ٩٣ .
٨ ـ الانبياء / ٥٧ .
٩ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ٢ / ١٧٤ .
١ ـ الزمر / ٥٣ .
٢ ـ طه / ٨٢
٣ ـ ظ : زاد المسير / ابن الجوزي ، ١ / ٣٥٠ ، الجامع لاحكام القرآن / القرطبي ، ٢ / ٣٨٧.
٤ ـ الرحمن / ٣٩ .

وكما يتوهم من قوله تعالى : (**هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ () وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ()** )[2] ، مع قوله تعالى : ( **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ()** ) [3] .

ولدى التدقيق في النظر لا نجد تناقضا ما بين الآية / ٣٩ من سورة الرحمن ، وبين الآية / ٢٤ من سورة الصافات ، إذ يتبين لنا أنه في يوم القيامة مواقف يُسأل الناس في بعضها عمّا كانوا يعملون ، وفي بعضها الآخر لا سؤال ولا جواب بل انتظار للسؤال والحساب أو بعد الفراغ منه [4] ، وأما أمر التوهم ما بين الآيتين / ٣٥ ، ٣٦ من سورة المرسلات ، وبين الآية / ٣١ من سورة الزمر ، فهو أن المجرمين لا ينطقون بما ينفعهم ولا عذر لهم عند الله [5] ، في حين أن المراد بالخصومة في مؤدى الآية / ٣١ من سورة الزمر هو أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يشهد عليهم أمام الله تعالى يوم القيامة ، بأنه قد بلغهم رسالات ربهم [6] . قال تعالى : (**وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ()** ) [7] . وعلى هذا ينتفي وهم التعارض بين الآيتين ، إذ لا يصدر فعل للاعتذار ولا الاختصام من أولئك المجرمين في معرض الحساب يوم القيامة لقيام الدليل القاطع عليهم [8] .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ()** ) [9] ، مع قوله تعالى : (**يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ()**) [10] ، ففي الآية الأولى نصت على أن جزاء السيئة بسيئة

---

٥ ــ الصافات / ٢٤ .
٦ ــ المرسلات / ٣٥ ، ٣٦ .
٧ ــ الزمر / ٣١ .
٨ ــ ظ : الكاشف محمد جواد مغنية ٧ / ٢١٢ .
١ ــ ظ : المصدر نفسه ٦ / ٤١١ ، ٧ / ٤٩٢ .
٢ ــ ظ : المصدر نفسه ٦ / ٤١١ .
٣ ــ النحل / ٨٩ .
٤ ــ ظ : الكاشف ، محمد جواد مغنية ٦ / ٤١١ .
٥ ــ الشورى / ٤٠ .
٦ ــ هود / ٢٠ .

مثلها وفي الآية الأخرى نصّ على مضاعفة العذاب ، وهذا إشكال في الظاهر كما يتخيل ..

يقول الزركشي إجابة على هذا : والجواب أن التضعيف هنا ليس على حدّ التضعيف في الحسنات بل هو راجع إلى تضعيف مرتكباتهم ، فكان لكل مرتكب منها عذاب يخصه فتكثيره بحسب كثرة المجترحات لا أن السيئة الواحدة يضاعف الجزاء عليها بدليل سياق تلك الآية ، وهو قوله تعالى : (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ()الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ()** ) [١] .

فهؤلاء كذبوا على ربهم وصدّوا عن سبيله وبغوها عوجا ، وكفروا ، فهذه مرتكبات عُذبوا بكل مرتكب منها [٢] .

وبذلك يتبين أن المراد بالمضاعف ، بحسب رأيهم ، إنما هو عدد السيئات لا أن كل سيئة تضاعف لوحدها فزال الإشكال بذلك وتبين أن موضوع المضاعفة للعذاب يختلف عن موضوع الآيات التي ثبت منها عدم المضاعفة ،وأن جزاء السيئة هي سيئة مثلها .

نحن نفهم أن النص وسيط لغوي ينقل الفكرة ، وأن النظام البنائي لأي نص يرتكز على القصد ، وهو ما أراده المبدع ( الله تعالى ) . والنص « التركيب اللغوي القرآني » والتفسير ( التحليل ) وبذلك نستخلص جانبين ، جانب لغوي وبه نصل إلى الفكرة ، وجانب يشير إلى المراد الذي احتضنه ذلك السياق ، وعليه لا يصلح قولك أن جزاء السيئة سيئة وإنما جزاء السيئة عقوبة ، لأن السياق البلاغي الذي ضم الملفوظ يومئ إلى ذلك .

---

١ ــ هود / ١٨ ، ١٩ .
٢ ــ ظ : البرهان ، الزركشي ٢ / ٥٥ ، الاتقان ، للسيوطي ٢ / ٢٩ .

ومن أمثلة هذا المطلب ما ذكره الشوكاني عند تفسيره لقوله تعالى : (**فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ()** ) [1] ، فيقول : ( ولا يتساءلون ) ، أي : لا يسأل بعضهم بعضا فإن لهم إذ ذاك شغلا شاغلا ، ومنه قوله تعالى : (**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ () وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ () وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ()** ) [2] ، وقوله تعالى : (**وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ()** ) [3] ، ولا ينافي هذا ما في الآية الأخرى من قوله تعالى : (**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ()** ) [4] ، فإن ذلك محمول على اختلاف المواقف يوم القيامة ، فالاثبات باعتبار بعضها ، والنفي باعتبار بعض آخر ، وهذا من باب أثبات واقعة ( التساؤل ) في بعض ، ونفيها في بعضها الآخر [5] . وبذلك يتبين أنه يجدر بقارئ القرآن التنبه والتذكر من أسباب وقوع الإشكال والتشابه عدم العلم بمدلول الآية موضع الإشكال ، أو الآيات التي يوهم ظاهرها ، مخالفته لآية ، أو آيات أخر[6] ، ويرى الباحث أن الأولى لها موضع ومكان يخالف موضع ومكان الأخرى ، ويظهر له بذلك أنه لا إشكال ولا تعارض بين الآيات لمطابقته مقتضى الأسباب في مراد الله تعالى وحكمته البالغة فيما يراد منه ، في زمن نزول الآية ومكانها .

٣ ـ وما احتاج إلى غيره :

« كقوله تعالى : (**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ()** ) [7] ، والأبّ : ما ترعاه البهائم ، بدليل قوله تعالى :(**مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ()** ) [8] ، وكقوله تعالى :(**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ()** ) [9] ، جاء تفسير ( الطارق ) في الآية التي تليها ( **النَّجْمُ الثَّاقِبُ ()** ) [10] » [1] .

---

٣ ـ المؤمنون / ١٠١ .

١ ـ عبس / ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .

٢ ـ المعارج / ١٠ .

٣ ـ الطور / ٢٥ .

٤ ـ ظ : فتح القدير ، الشوكاني ٣ / ٦٧٩ .

٥ ـ ظ : فتح القدير ، الشوكاني ٣ / ٦٧٩ .

٦ ـ عبس / ٣١ .

٧ ـ عبس / ٣٢ .

٨ ـ الطارق / ١ .

٩ ـ الطارق / ٣ .

٤ ـ ما يحتاج في بيان معناه الحقيقي إلى دليل خارجي ، وأن كان في نفسه ظاهر المعنى في بادئ الرأي : كحجة الخوارج على إبطال التحكيم ، بقوله تعالى : (**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** () ) [٢] ، وظاهر حجتهم بالآية صحيح على الجملة وأما على التفصيل فتعوزهم الحاجة إلى البيان ، وهو ما ذكره ابن عباس من أن الحكم لله تارة من غير تحكيم ، وتارة بتحكيم ، فإن أُمرنا بالتحكيم فالحكم به حكم الله « فتأمل كيف يؤدي أتباع المتشابهات إلى الضلال والخروج عن الجماعة » [٣] .

ولذلك قال النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى فاحذرهم » [٤] ،يعني أهل الزيغ وغيرها من أمثلة ونماذج كثيرة [٥] .

**الثاني : ما يعلمه الراسخون في العلم :**

وذلك لحاجة هذا الوجه إلى فقه عميق ، وعلم دقيق ، وتدبّر للمسائل واجتهاد ، وفتح ربّاني على القلوب ، فالراسخون في العلم يستطيعون من خلال ذلك معرفة التشابه والاختلاف ، والجامع والفارق بينهما وذلك من خلال الردّ إلى المحكم ليفصل ما أشتبه عليه ، وعليه فإن من وهبهم الله علما وتقوى وهدى لا يضلّون بالمتشابه منه وإنما الذي يضل منهم ، أهل الزيغ والجهل والهوى ، مثل أن يشتبه على بعض الناس ما وعِدوا به في الجنة من لحم ولبن وعسل وخمر، ونحو ذلك بما يشاهدونه في الدنيا ، فيظن أنه مثله ، بينما علم العلماء بنقيض ذلك ، أي لا يظنون مثله ، لأنهم

---

١٠ ـ ظ : مناهل العرفان ، الزرقاني ، ٢ / ١٧٤ .
١ ـ يوسف / ٤٠ .
٢ ـ الاعتصام ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ١ / ٢٤٥ .
٣ ـ صحيح بخاري ، البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب آيات محكمات ح رقم ٤١٨٣ ، وظ : صحيح مسلم ، مسلم النيسابوري ، كتاب العلم ، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ح رقم ٤٨١٨ .
٤ ـ ظ : اعلام الموقعين ، ابن قيم الجوزية ٢ / ٢٩٤ ، ٣٠٧ .

علموا إن الله قال : كما نص الحديث القدسي : « أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » [1] .

(فعلم العلماء أن حقيقة هذه الأمور لا يدرك كنهها في الدنيا وإنما في الآخرة ، وهذه هي صورة تقريبية للغائب بما نحسه ونعلمه من معاني الحاضر مع الفارق الكبير بينهما . ومثل هذا ما جاء عن أسماء الله سبحانه وصفاته ، فإنه وإن كان بينهما وبين أسماء المخلوق وصفاته فإنه لا يمكن اثباتها للخالق مثل المخلوق ، ولا حقيقته كحقيقته كما قال سبحانه : (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** () ) [2] ، وقال سبحانه : (**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** () ) [3] ) [4]

وبالعودة إلى قول الراغب الاصبهاني نجده يرجع المتشابه إلى ثلاثة أُضرب[5] :

ـ ضرب ، لا سبيل إلى الوقوف عليه ، كوقت الساعة وخروج الدابة ، ونحو ذلك .

ـ ضرب ، للإنسان سبيل إلى معرفته ، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة [6].

ـ ضرب تردد بين الأمرين ، يختص به بعض الراسخين في العلم ، ويخفى على من دونهم ، وهو المشار إليه بقوله لأبن عباس « اللهم فقهه بالدين وعلّمْهُ التأويل »[7].

إن وجوب التدبر في آيات القرآن والغوص في أعماقها واستخراج مكنوناتها راجع إلى الراسخين في العلم ، الرسول وأهل بيته المعصومين كونهم ورثة علمه وأحد الثقلين في الأرض وقد ورد عن الإمام الباقر ( عليه السلام ) « إنما يعرف القرآن من خوطب به » [8] .

---

١ ـ صحيح البخاري ، البخاري ٨ / ١٤٣ . وصحيح مسلم ، مسلم النيسابوري ٤ / ٨٦ .
٢ ـ الشورى / ١١ .
٣ ـ الإخلاص / ٤ .
٤ ـ مجمع فتاوى شيخ الإسلام ، ابن تيمية ١٣ / ٢٤٣ .
٥ ـ ظ : المفردات ، ص ٢٥٨ .
٦ ـ ظ : بصائر ذوي التمييز ، الفيروز آبادي ٣ / ٢٩٦ .
٧ ـ المسترشد الطبري الامامي ص ٦٨٨ . ظ : المستدرك،الحاكم ٣ / ٥٣٤ .
١ ـ الكافي ، الكليني ٨ / ٣١١ ، وبحار الأنوار ، المجلسي ٢٤ / ٢٧٣ .

جاء عن العلامة الطباطبائي أنه يرى أن المحكم ما كان واضحا بيّنا ليس به حاجة إلى كبير تدبر لوضوحه ، وأما المتشابهات فمردها إلى المحكم لتكون محكمات مع الواسطة [1] .

وسبب إشكال المتشابه أن القرآن الكريم يخضع في إلقاء معارفه العالية لألفاظ وأساليب دارجة ومعانيها محسوسة ، ومن ثم لم تكن تفي بتمام المقصود إلا بارتكاب الكنايات والمجازات ، فوقع التشابه فيها وخفي وجه المطلوب إلا على أولئك الذين نفذت بصيرتهم ، وكانوا على مستوى رفيع في العلم [2] .

وعلى وفق هذا المنحى جرى قول محمد عبده :« إن في القرآن من المعاني ما لا يمكن التعبير عنها باسلوب يفهمه كل أحد ، ذلك أن منها من المعاني العالية ، والحِكم الدقيقة ، ما يفهمها الخاصة ولو بطريق الكناية والتعريض ، ويوكل أمر العامة بتفويض الأمر فيها إلى الله ، والوقوف عند حد المحكم ، فيكون لكلٍ حظه على قدر مدركاته واستعداده » [3] .

وقد أورد الشيخ محمد جواد مغنية توضيحا مهما للمتشابه النسبي على الرغم من أنه لم يسمه بالاسم ، إذ قال : لم تكن هناك شروط في أن المتشابه لا يمكن معرفته إطلاقا ، فبعد أن حدّد أنواع المتشابه أكد رأيه في أن العارفين بطرق التأويل وعلماء الأصول كان لهم الباع الطويل في تبيان معنى المتشابه ، وبيان مصداقه الخارجي ، وعلى هذا يكون المتشابه بالنسبة إلى العالم والعارف واضحا بعد البحث والاستقصاء والتدبر ، وإجراء عملية الموازنة والمقارنة بين المتشابه وما يتصل به من القرائن والدلائل . وقد استنتج مغنية من ملاحظاته على المتشابه جملة أمور، منها : إن العلماء يعلمون ويعرفون معاني القرآن ، وهو بلاغ مبين إليهم . إذ لا يمكن أن ينزّل

---

٢ ــ القرآن في الاسلام ، ص ٤٩ .
٣ ــ ظ : الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٥٨ ــ ٦٢ .
٤ ــ تفسير المنار ، محمد رضا ٣ / ١٧ .

الله تعالى كلاما لا ينتفع به الإنسان في حياته الدنيا ويكون عصيا على أحد حتى العلماء . كيف يكون ذلك وقد أوجب الله تعالى بتدبر القرآن ، ولا يكون التدبر والتعقل إلا للمعقول وغير المعقول لا يمكن تدبره ولا تعقّله [1] .

وبإزاء ما تقدم ، ولغرض جلاء تأويل المتشابه عن طريق حمله على المحكم ، نقول أن القرآن يفسر بعضه ببعض وينطق بعضه بعضا ، وتلك هي الطريقة المثلى التي اتبعها الراسخون في العلم . ففي تفسير قوله تعالى : (**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** () ) [2] . أورد الطبري إن الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى ، مستندا في هذا إلى ما ورد عن طريق أبي بكر الصديق عن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) [3] .

وفي المسألة رأيان ، الأول : أن ( الزيادة ) ، النظر إلى رحمة الله ، والرأي الثاني في رواية الجارود عن أبي جعفر ( عليه السلام ) في قوله تعالى : ( **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** () ) فأما الحسنى ، فالجنة ، وأما الزيادة ، فهي ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة ، ويجمع بين ثواب الدنيا و الآخرة وبينهم بأحسن أعمالهم في الدنيا [4] ،والى رواية ابن جارودي مال الشيخ الطوسي [5] ، وأورد في أماليه بإسناده عن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) إلى أن ( الحسنى ) هي الجنة ، و ( الزيادة ) هي الدنيا [6] . وهذا ما نميل إليه ونتبناه ، مستندين إلى ما قدمه علي بن شهر اشوب من ردود حول تفسير الرؤيا يوم القيامة ذاهبا إلى أنها من باب المتشابه المحمول على المحكم ، وقد ردّ ما قالوه في تفسير الآية الكريمة (**لِلَّذِينَ**

---

١ ــ ظ : الكاشف ٢ / ١١ .
٢ ــ يونس / ٢٦ .
٣ ــ ظ : جامع البيان ١١ / ١٤٢ .
٤ ــ ظ : تفسير القمي ، علي بن إبراهيم ١ / ٣١٨ .
٥ ــ ظ : التبيان ١ / ٢٦٧ .
١ ــ ظ : الامالي ، الشيخ الطوسي ، ص ٢٦ .

**أحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ()** ) [1] . بالقول : « الظاهر أنه لا دليل على ما قالوه ، لأن ( الزيادة ) لا تعقل بمعنى الرؤية و لا يجوز أن يخاطب الله تعالى عباده بما ليس في لغتهم إلا مع بيان لذلك . وإنما يصح ذلك في الشرع من حيث لم يكن له أمر به في أصل اللغة اسم موضوع ، وليس كذلك الرؤية ، و لا بيان ها هنا » [2] .

وخلاصة ما نراه من جملة أقوال العلماء في هذا المطلب هو أن المتشابهات آيات تختزن أمورا خاصة وأحداثا هامة تقع مستقبلا في مواقيت حدّدها الله تعالى في سابق علمه وليس للأنام وسيلة في معرفتها ما دامت في طيّ الغيب . ومحاولاتهم في هذا المجال كما صرّحت الآية الكريمة ـ ضرب من الإرجاف وحدس بما لم يحيطوا به علما ، أما تأويلها على الوجه الصحيح ، وفقا لصريح نص الآية (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ()** ) [3] [4].

فلا بد أن يكون هذا التأويل سرّا يتعذر البلوغ إليه إلا لمن شاء الله تعالى ، فالرسوخ في العلم ، معناه في هذه الحالة امتناع الشبهة ، وهو أمر يقارب العصمة ، وليس من سجايا البشر المعتادين ، كما أن العلم المقصود في هذه الآية ليس العلم المكتسب الذي يتعلمه الناس وإنما العلم بما يؤول إليه الخبر الوارد في نص الآية ، أو إن شئت : العلم بمراد الله سبحانه من كلامه ، فالراسخون في العلم الذين ورد ذكرهم في الآية الكريمة هم أناس لا تزيغ قلوبهم ولا ينطقون عن الهوى ، وهم المصطفون من رسله و أنبيائه ومن كان في منزلتهم ، فتأويل الآيات المتشابهات يتم إذن بطريقين أصيلين ، الأول : أن يكشف الله عن مراده بجنود غيبه ، التي تسيطر على القوى المسيّرة لمجريات في عالم الشهود ، وما يقع من أحداث فيه ، بحيث تأتي وفقا لما أنبأ

---

٢ ـ يونس / ٢٦ .
٣ ـ متشابه القرآن ، ابن شهر آشوب ١ / ١٠٠ .
٤ ـ آل عمران / ٧ .
٥ ـ تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم ، حيدر الآملي ١ / ٢٩٤ .

به في آياته ، ولو إنها ظاهرا وقعت استجابة لأسباب منطقية أخرى ، كما نجد في قوله تعالى مخاطبا الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : (**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ () إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ () فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ () ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ()** ) [1] . فمع أن الله وعد أن يجمع القرآن فإن جمعه كان من عمل المسلمين ، ولكنهم سخّروا لإنجاز ما وعد به الرحمن . ولنا تعليق على هذا القول مستقى مما ورد في البيان في تفسير القرآن « إن إسناد جمع القرآن إلى الخلفاء أمر موهوم مخالف للكتاب والسنة والاجماع والعقل » [2] « غاية الأمر أن الجامع قد روى في المصحف ما كان محفوظا في الصدور على نحو التواتر »[3] واستند إلى ما ذكره الحارث المحاسيبي « المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد » [4] ، ثم قال السيد الخوئي : « إن عثمان جمع المسلمين على قراءة واحدة وهي القراءة المتعارفة بين المسلمين التي تلقوها بالتواتر عن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وإنه منع من القراءات الأخرى كل ذلك يدل على أن جمع القرآن كان في عهد الرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ »[5] وهذا ما يمل إليه الباحث .

والطريق الثاني : أن يوحي الله بمراده إلى من يصطفيهم من عباده المقربين ليبينوا لسائر العباد مراده .

---

١ ــ القيامة / ١٦ ــ ١٩ .
٢ ــ البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ( قدس ) ( ت ١٤١٣هـ ) ص ٢٦١ .
٣ ــ المصدر نفسه ص ٢٦١ .
٤ ــ الاتقان للسيوطي ١ / ١٠٣ . نقلا عن السيد الخوئي ص ٢٦١ .
١ ــ البيان في تفسير القرآن السيد الخوئي ص ٢٦١ .

وخلاصة القول إن الآيات المتشابهات قد تنزّلت لتكون هداية للناس وبشرى لهم فلا يمكن أن يبقى مدلولها سرّا أبديا ، وإنما يبين معناها ويتضح تأويلها في اليوم الموقوت [1].

● يظهر بعد التدقيق والنظر في وجوه أقوال العلماء في المتشابه الحقيقي والنسبي أنه بالإمكان التوفيق بينها فيما تقدم من القول ، وأنه لا تعارض بين الاثنين وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله في مباحث الفصل الثاني .

## المبحث الثاني :

## أسباب التشابه و الاتجاهات الرئيسة فيه :

القرآن الكريم مصدر الهداية ، ومنبع المعرفة ، ومنهج الحضارة والسلوك ، ورسالة الخير والإصلاح في هذه الأرض ، وتلاوته عبادة ، والنظر فيه عبادة ، ولا

---

٢ ــ ظ : تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم ، حيدر الآملي ١ / ٤٢٧ ــ ٤٣٣ . ظ : أصول التفسير والتأويل كمال الحيدري ص ٣٣٥ ــ ٣٤١ .

خير في قراءة بلا فهم ولا تدبر، فآيات القرآن كما ورد في الحديث الشريف خزائن[1] ، فهي وعاء للمعاني والمفاهيم والأحكام والقوانين التي لا يمكن لعالم أو مفسر أن يحيط بها تمام الإحاطة إلا من علـّمه الله ذلك .

فآيات القرآن معجزة لا تنتهي وبحر لا يدرك قعره ، ونبع لا ينضب عطاؤه ، لذا فالقارئ للقران ينبغي أن يتأمل في معانيه ، ويفهم محتواه ، ويدرك أغراضه وأهدافه ، لذلك ذمّ القرآن أولئك الذين لا يقرءون القرآن قراءة فهم ووعي وتدبر [2] ، قال تعالى : (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** () ) [3] .

إن منشأ التشابه إجمالا هو خفاء مراد الشارع من كلامه ، لهذه الحال نقف على ما يأتي : ــ

**ا ــ أسباب التشابه في القرآن الكريم :**

وقد قسّمه العلماء على ثلاثة أقسام [4] ، وهي :

أولا : هو ما كان سبب التشابه فيه من جهة اللفظ ( الشكل ) فقط ، أي راجع إلى خفاء في اللفظ وحده ، وهو على ضربين :

أحدهما : يرجع السبب إلى اللفظ من جهة الإفراد .

وثانيهما : يرجع إلى اللفظ من جهة التركيب .

فالذي يرجع إلى اللفظ من جهة الإفراد قسّمه العلماء على قسمين ، هما :

١ ــ ما كان سبب التشابه فيه غرابة اللفظ وندرة استعماله . كنحو لفظ ( الأبّ ) بتشديد الباء في قوله تعالى : (**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** () ) [5] ، وهو ما ترعاه البهائم ،

---

١ ــ ظ : الكافي / الكليني ٢ / ٦٠٩ .
٢ ــ ظ : الميزان /الطباطبائي ٣ / ٦٧ .
٣ ــ محمد / ٢٤ .
٤ ــ ظ : مفردات القرآن ، الراغب ٢٥٧ ــ ٢٥٨ .
١ ــ عبس / ٣١ .

بدليل قوله تعالى : (**مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ** () ) [1] ، و كلفظ ( يَزِفّون ) في قوله (**فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ** () ) [2] .

٢ ـ ما كان سبب التشابه فيه يرجع إلى اشتراك اللفظ في عدة معان في لغة العرب ، كقوله تعالى : (**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** () ) [3] .

فقد ورد في لغة العرب لفظ ( قروء ) بمعنى الطهر وبمعنى الحيض وكلفظ ( اليمين ) في قوله تعالى : (**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ** () ) [4] ، أي : فأقبل إبراهيم ( عليه السلام ) على الأصنام التي يعبدها قومه ضربا لها باليمين من يديه لا بالشمال ، أو ضاربا لها ضربا بسبب اليمين التي نوّه بها القرآن ، إذ قال تعالى : (**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ** () ) [5] . وكل ما ذكر جائز ، ولفظ اليمين مشترك بينها ، ومثل ذلك يقال في الألفاظ المشتركة ( كاليد ، والعين ) في قوله تعالى : (**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** () ) [6] و (**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** () ) [7] و (**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** () ) [8] . فلفظ ( العين ) يطلق على العين الباصرة ويطلق على العين الجارية ، ويطلق على الجاسوس ، وكل هذه الألفاظ وما شاكلها من المتشابه الذي لا يعرف معناها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه ، أو عن طريق القرائن التي حفّت بها .

أما الذي يرجع إلى اللفظ من جهة تركيب الكلام فهو الجُمل ، وقسّمه العلماء على أربعة أقسام :

---

٢ ـ عبس / ٣٢ .
٣ ـ الصافات / ٩٤ .
٤ ـ البقرة / ٢٢٨.
٥ ـ الصافات / ٩٣ .
٦ ـ الأنبياء / ٥٧ .
٧ ـ المائدة / ٦٤ .
٨ ـ القمر/ ١٤ .
١ ـ طه / ٣٩ .

١ ــ ما كان سبب التشابه فيه الإيجاز في اللفظ ، كقوله تعالى : (**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** () ) [١] ، والمعنى : افطرْ ، وكقوله تعالى : (**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ** () ) [٢] . فإن خفاء المراد فيه جاء من ناحية إيجازه ، والمعنى: إن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء ، والمعنى الشامل لذلك أنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهنّ فأمامكم غيرهنّ ، فتزوجوا منهن ما طاب لكم ، وقيل : إن القوم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ، ولا يتحرجون من الزنى ، فأنزل الله سبحانه الآية ، ومعناها : إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنى أيضا ، وتبدلوا به الزواج الذي وسع الله عليكم فيه ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع [٣] .

٢ ــ ما كان سبب التشابه في المركب بسبب بسط الكلام والاطناب فيه مثل قوله جلّت حكمته (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** () ) [٤] « فلو حذف حرف الكاف ، وقيل « ليس مثله شيء » كان أظهر للسامع من هذا التركيب الذي ينحل إلى « ليس مثل مثله شيء »»[٥] . ولكن هذه الكاف ، حرف جر زائد للتوكيد ، فكأن ( المثل ) نفي مرتين أو كأنه نفي المثل والمشابهة . فالتمثيل : المطابقة في كل وجه والتشبيه : المقاربة ، ولهذا يقال : فلان كفلان ، أي : يشابهه في أغلب الصفات ، وفلان مثل فلان ، أي يطابقه في الصفات فهذا بسط يشكل على

---

٢ ــ البقرة / ١٨٥ .
٣ ــ النساء / ٣ .
٤ ــ ظ : مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٧٤ .
١ ــ الشورى / ١١ .
٢ ــ مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٧٥ .

المبتدئ فهمه ، حتى خاض في ذلك بعض العلماء بأقوال كثيرة ، وما ذكر الزرقاني هو الأرجح بأن الكاف زائدة للتوكيد كما قال ابن مالك في ألفيته :

شَبِّه بكافٍ و بِها التعليلُ قَدْ     يُغني وزائدا لتوكيدٍ وَرَدْ [1]

إذن في الكلام دقة تعلو على كثير من الإفهام .

٣ ـ ما يكون سبب التشابه فيه نظم الكلام من حيث التركيب والنظم كقوله جل ذكره : ( **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا () قَيِّمًا ()** ) [2] .

فإن الإشكال والخفاء هنا جاء من جهة الترتيب بين لفظ ( عوجا وقيّما ) .

ولو قيل : « أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا لما أ شكل الفهم على من أشكل عليه ولكان أظهر »[3] ، ولكن الله عز وجل ، جعله نظما متينا لحِكم عظيمة ، من ذلك نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه ، وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه « فربّ مستقيم مشهود له بالاستقامة لا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح فمن باب التوكيد قدم نفي العوج عنه ثم أثبت له الاستقامة » [4] .

وقال بعضهم : « إن قوله تعالى : (**وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا** ) يدل على كونه مكملا في ذاته وقوله ( قيما ) يدل على كونه مكملا لغيره ،ولذا جاء بهذا الترتيب» [5] .

٤ ـ ما يكون سبب التشابه فيه منشؤه الإجمال ، كقوله تعالى : (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ()** ) [6] . أي : قطع أحدى اليدين إلى الكوع ولا قطع إلا في ربع دينار فأكثر من الذهب [7] .

---

٣ ـ متن ألفية ابن مالك في النحو الصرف للعلامة محمد بن عبد الله بن مالكالاندلسي ص ٥٦.
٤ ـ الكهف / ١ ، ٢ .
٥ ـ مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٧٥ .
١ ـ الكشاف ، الزمخشري ٣ / ٥٦٤ .
٢ ـ ظ : روح المعاني ، الآلوسي ٨ / ١٩٢ .
٣ ـ المائدة / ٣٨ .
٤ ـ متشابه القرآن ، ابن شهر آشوب ٢ / ٢١٨ ـ ٢٢٣ .

وقد أورد الزرقاني : أن فواتح السور من المتشابهات وعلل ذلك التشابه بقوله : « لأن التشابه والخفاء في المراد منها جاء من ناحية ألفاظها لا محالة » [١] .

ويرى الباحث أن الله سبحانه أرادها لعلة ، وهي لكي يتفكر البشر ويتدبرون الآي .

ثانيا : ما كان سبب التشابه فيه من جهة المعنى ( المضمون ) ، أي راجعا إلى خفاء المعنى وحده ، مثّل له العلماء [٢] بكل ما جاء في القرآن وصفا لله تعالى ، وأهوال القيامة ، ونعيم الجنة ، وعذاب النار ، ونحوها من الأمور ، التي لا يمكن للعقل البشري أن يحيط بكنهها وحقائقها ، وكيف السبيل إلى أن تحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه ، وما لم يكن فينا مثله ، ولا جنسه ؟ كما قال تعالى : (**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ()** ) [٣] .

وقال تعالى عن نعيم الجنة : (**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ()** ) [٤] .

إن مبعث التشابه هنا إنما مرده إلى اللفظ وأما المعنى والكيف فمختلف تماما ، ولأجل هذا وقع الإشكال في الفهم على بعض الناس . ومن هذا يكون سبب التشابه فيه المتبادر إلى الذهن من غير إرادة المعنى . كقوله تعالى : (**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ()** ) [٥] .

فالذي يتبادر إلى الذهن جواز الصلاة إلى أي جهة ، وغير ملزم باستقبال القبلة في سفر أو حضر ، ولا فرض ولا نافلة ، غير أن المراد منها غير هذا المتبادر إلى

---

٥ ــ مناهل العرفان ٢/ ١٧٥ .
٦ ــ ظ : مفردات الراغب ، الراغب الاصفهاني ص ٢٦١ .
٧ ــ طه / ١١٠ .
١ ــ السجدة / ١٧ .
٢ ــ البقرة / ١١٥ .

الذهن ، وإنما هي خاصة بصلاة النافلة على الراحلة في السفر ، ومن لا يستطيع معرفة القبلة مثلما يتضح ذلك من سبب نزول الآية [١] .

ومن هذا ما يكون سبب التشابه فيه شبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق ، كما هو شأن أهل الأهواء في تأويل الصفات لما أنقدح في أذهانهم من التشبيه ، وقد أكد الزرقاني بقوله : " واعلم أن في مقدمة هذا القسم المشكلات المعروفة بمتشابهات الصفات ، فإن التشابه والخفاء لم يجئ من ناحية غرابة في اللفظ ، أو اشتراك منه ، بين معان عدة ، أو إيجاز أو إطناب ، مثلا ، فتعين أن يكون من ناحية المعنى وحده " [٢] .

ومن هذا ما يكون سبب التشابه فيه انعدام التدبر التام في المعنى ، وما قد يتوهم الإنسان من التعارض ، كقوله تعالى : ( **فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ** () ) [٣] ، مع قوله تعالى : (**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** () ) [٤] .

" والأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها ، وبالعام من غير تأمل هل له مخصص أو لا ، وكذلك العكس بأن يكون النص مقيدا فيطلق ، أو خاصا فيعم بالرأي من غير دليل سواء ، فإن هذا المسلك رُمي في عماية وإتباع للهوى في الدليل وذلك إن المطلق المنصوص على تقيده مشتبه إذ لم يقيد فإذا قيّد صار واضحا " [٥] .

فإذا قيل : مثلا " من قال لا اله إلا الله دخل الجنة " [٦] . فلا يكون ذلك لأي قول ، فإن هذا خلاف المعلوم من دين الإسلام ، فالمنافقون يقولونها بألسنتهم ، وهم تحت الجاحدين لها ، بالدرك الأسفل من النار ، ولكن المقصود هو القول التام الذي يستلزم أثره ترك الشرك والتزام الشرائع في الإسلام . وينظم إلى ما سبق ، الأخذ بالمنسوخ

---

٣ ـ ظ: الكاشف،مغنية ١ / ١٨٥،وظ: متشابه القرآن ومختلفه ،ابن شهر اشوب ٢ / ٢٢٦ .
٤ ـ ظ : مناهل العرفان ٢/ ١٧٥ .
١ ـ الرحمن / ٣٩ .
٢ ـ الصافات / ٢٤ .
٣ ـ الاعتصام ، أبو إسحاق الشاطبي ١ / ٢٤٥ .
٤ ـ فقه الرضا ، علي بن بابويه ص ٣٩٠ ، وظ : صحيح مسلم ١ / ٤١ .

مـن النـصوص دون ناسـخه ، وبالمجمـل دون مبينـه ، والأخـذ بقـضايا الأعيـان ، وحكايات الأحوال التي تخالف بظاهرها أصولا مطردة ، واضحة في الشريعة تم إقرارها ، فهذا معدود من المتشابهات التي يُتقى إتباعها بل يجب ردها إلى هذه الأصول المحكمة وتنزيلها على مقتضاها ، ومعلوم من الملّة الإسلامية أنه من مات مشركا بالله شيئا دخل النار مع قولهم : لا إله إلا الله ، إذن دحض القرآن الكريم هذه الشبهة ، بقوله تعالى : (**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** () ) [1] [2] .

ثالثا : ما كان سبب التشابه فيه من جهة اللفظ والمعنى معا ( الشكل والمضمون ) ، وهو على خمسة أضرب [3] :

« ١ ـ من جهة الكمية ، كالعموم والخصوص :

ومثل له العلماء بأمور كثيرة ، منها قوله تعالى : (**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** () ) [4] ، فهي مخصصة بتحريم القتال في الحُرم ، لقوله تعالى : (**وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** () ) [5] .

٢ ـ من جهة الكمية ، كالوجوب والندب ، من نحو قوله تعالى : (**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ** () ) [6] ، ومضمون ( ما طاب لكم ) فقها بحسب الشرع .

٣ ـ من جهة الزمان ، كالناسخ والمنسوخ ، من نحو قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** () ) [7] ، مع قوله تعالى

---

١ ـ آل عمران / ٦٤ .
٢ ـ المحلى ، ابن حزم ٧ / ٢٨٠ .
٣ ـ الاتقان ، للسيوطي ٣ / ١٢ ، ظ : مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٧٧ .
٤ ـ التوبة / ٥ .
٥ ـ البقرة / ١٩١ .
٦ ـ النساء / ٣ .
٧ ـ آل عمران / ١٠٢ .

: (**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** () ) [١] ، وكقوله تعالى : (**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** () ) [٢] ، وهو ما زاد على الحاجة مع آيات الإنفاق الأخرى .

٤ ـ من جهة المكان والأمور التي نزلت فيه ، كقوله تعالى : (**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** () ) [٣] ، وقوله تعالى : (**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ** () ) [٤] . فمن لا يفهم عادة العرب في الجاهلية لا يستطيع فهم هذين النصين الكريمين ، كما جاء عن ابن إسحاق ، قال : ( سمعت البرّاء يقول : نزلت هذه الآية فينا ، كانت الأنصار إذا حجّوا فجاءوا لم يدخلوا من قِبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار ، فدخل من قبل بابه ، فكأنه غيّر ذلك ، فنزلت الآية (**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** () )[٥][٦]

.

قال مغنية في الكاشف : « نزلت الآية لتبين لهم أن البر هو تقوى الله وعمل الخير والتخلي عن المعاصي ، لا بدخول البيوت من ظهورها ، والى ذلك من التقاليد التي تحجب العقل عن أدراك الحقيقة » [٧] .

وقال ابن شهر آشوب : قال أبو عبيدة : ليس البر أن تطلبوا الخير من غير أهله ، واطلبوه من وجهه ، وأورد قول الجبائي : أمر بإتيان الأمور من وجوهها ، وأن

---

١ ـ التغابن / ١٦ .
٢ ـ البقرة / ٢١٩ .
٣ ـ البقرة / ١٨٩ .
٤ ـ التوبة / ٣٧ .
٥ ـ البقرة / ١٨٩ .
٦ ـ صحيح البخاري ، البخاري ، كتاب الحج باب قوله تعالى : ( و آتوا البيوت من أبوابها ) ح رقم ١٦٩٦ ، وصحيح مسلم ، ح رقم ٥٥٥١ .
٧ ـ الكاشف ١ / ٢٩٥ .

العادل في الأمر عن وجهه تعادل في البيت من بابه كناية عن الفساد بهذا المعنى وآتوا النساء من حيث أمركم الله [1] ، قال الشاعر [2] :

**لا أدخل البيت أحبو من مؤخره        وأكسر في ابن العم أظفاري**

إذ كان بعضا منهم ينقب نقبا من الخلف يدخل ويخرج منه ، فهذا خفاء في المعنى كما أن الخفاء في هذه الآية يرجع إلى اللفظ بسبب اختصاره ، ولو قيل : وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها إن كنتم محرمين بحج أو عمرة لكان أوضح ، ولكن يظل هناك خفاء في المعنى حتى معرفة عادة العرب في الجاهلية ... أما الآية الثانية ، فقد نزلت ردّا على ما كان يصنعه أهل الجاهلية من عدم الإتيان بالحج في بعض السنين ، لتداخل السنين في بعضٍ بالحساب الشمسي فإن العرب كانت لا تحج في بعض الأعوام ، وكانوا يعدّون الأشهر بالحساب الشمسي ، ومنه قوله تعالى : (**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ()** ) [3] .

ويبدو في ضوء ذلك لا تقع مناسك الحج في شهر ذي الحجة ، على رأيهم أو عادتهم الخاطئة ، فأنزل الله تعالى ، عليهم هذه الآية ردّا عليهم بوجوب الحج في كل عام ، وأنه لا تخلو كل سنة عن الحج [4] .

٥ ـ من جهة الشروط التي يصح بها الفعل ، أو يفسد ، كشروط الصلاة والنكاح [5] .

وزعم الراغب أن كل ما قاله المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم [6] .

---

١ ـ ظ : متشابه القرآن ومختلفه ، ٢ / ١٣٤ .
٢ ـ الشاعر هو المغيرة بن جبناء التميمي ( ت ٩١هـ ) ، الحماسة البصرية ، علي بن حسن البصري ٢ / ٥٥ .
٣ ـ التوبة / ٣٧ .
٤ ـ ظ : كتاب الحج ، السيد الخوئي ص ١٦ .
٥ ـ ظ : المفردات ، الراغب ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، وظ : بصائر ذوي التمييز ٣ / ٢٩٣ ـ ٢٩٧ ، والإتقان ، السيوطي ٣ / ٦٨٣ ـ ٦٨٤ .
١ ـ ظ : المفردات ص ٢٥٨ .

وقد وافقه على ذلك الفيروز آبادي [1] .

إلا أن السيد الطباطبائي له رأي فيما ذهب إليه الراغب من تعميم في تفسير المتشابه ، من حيث « أن تعميم المتشابه لموارد الشبهات اللفظية ، كغرابة اللفظ ، وإغلاق التركيب ، والعموم والخصوص وغيرها لا يساعد عليها ظاهر الآية ، ذلك أن الآية جعلت من المحكمات موضع تفسير للمتشابهات ، وأن غرابة اللفظ وأمثالها لا تنحل عقدتها من جهة دلالة المحكمات بل لها مرجع آخر ترجع إليه ، وتنضج به ، والآية يلحظ منها انحراف أهل الزيغ لابتغاء الفتنة ، إذ من المعلوم أن إتباع العام من غير الرجوع إلى مخصصه والمطلق إلى مقيّده ، وأخذ اللفظ الغريب مع الإعراض عما يفسره في اللغة مخالفة لطريقة أهل اللسان لا تجوّزه قواعدهم ، فلا يكون بالطبع موجبا لإثارة الفتنة لانتفاء مساعدة اللسان عليه » [2] .

« أن تقسيم المتشابه إلى ما يمكن فهمه من بعض دون بعض من العامة يقصر اختصاص التأويل في المتشابه فقط وهذا ليس من التمام ، كما يذهب العلامة الطباطبائي ، وملاك الأمر عنده إن لجميع القرآن ـ محكمه ومتشابهه ـ تأويلا » [3]

والمتأمل لرأي العلامة الطباطبائي يجده قد ساوى بين المحكم والمتشابه من جهة التأويل ، أي أنه جعل من التأويل ضابطا حاكما لكل من المتشابه والمحكم ، وقد مرّ بنا أن تأويل المحكم هو بيان مراد الله ، أي تفسيره ، وأن تأويل المتشابه هو تجسيد صورة المعنى وتحديد مصداقه .

**ب ـ الاتجاهات الرئيسة للتشابه :**

**أولا : اتجاه ابن عباس :**

---

٢ ـ ظ : بصائر ذوي التمييز ٣ / ٢٩٦ .
٣ ـ الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٤٧ .
٤ ـ المصدر نفسه ٣ / ٤٧ .

والمحكم عنده ، ما يؤمن به ويعمل به ، والمتشابه ، ما يؤمن به ولا يعمل به ، وقد جاء هذا الاتجاه بألفاظ و أساليب مختلفة منها ما نسب بعضها إلى ابن عباس ، وبعضها الآخر ما نسب إلى ابن تيميه [1] .

« وأن هذا التفسير للمحكم والمتشابه ، قد ورد في بعض النصوص المروية عن أهل البيت ( عليهم السلام ) « قال علي بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت ، قال : حدثنا الحسن بن محمد بن سماعة عن وهب بن حفص ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله ، قال : سمعته يقول : إن القرآن زاجر وأمر ، يأمر بالجنة ، ويزجر عن النار ، وفيه محكم ومتشابه ، وأما المحكم ، فيعمل به ، ويؤمن به ، وأما المتشابه ، فيؤمن به ولا يعمل به ، وهو قوله تعالى : (**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ()** ) [2] ، قال : آل محمد : الراسخون في العلم » [3] .

« ويدل هذا الاتجاه على حرمة العمل بالمتشابه ، ولزوم الإيمان به بخلاف المحكم ، فقد يُؤمن به ، و يُعمل به »[4] .

وقد لحظ السيد الطباطبائي بأن هذا الرأي لا يقوم بتحديد معنى المحكم والمتشابه ، وإنما جاء بيانا لحكم من أحكامها ، وهو وجوب الإيمان والعمل معا بالمحكم ، والإيمان فقط بالمتشابه ، أي من غير عمل ، وعلى وفق هذا فالحاجة قائمة على تعيين معنى كل واحدة منهما في البدء ليمكن ترتيب الأثر عليهما حتى نعمل بالأول ونكتفي بالإيمان بالثاني [5] .

---

١ ــ ظ : روح المعاني ، الآلوسي ، ٢ / ٨٠ . والمنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٦٥ .
٢ ــ آل عمران / ٧ .
٣ ــ تفسير القمي ١ / ١٠٥ .
٤ ــ علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ص ١٩٨ .
١ ــ ظ : الميزان ٣ / ٣٧ .

و يذهب السيد محمد باقر الحكيم إلى أن الآية الكريمة لا تمنع من العمل بالمتشابه ، وإنما تحرم إتباع المتشابه بقصد الفتنة و التأويل دون العمل به بعد إرجاعه إلى المحكم ، أي : حرمة العمل به وحده دون إرجاعه إلى المحكم [1] . و آخر يقول : « فهؤلاء يفيض الله تعالى عليهم فهم المتشابه بما يتفق مع المحكم وأما دلالة قولهم « آمنا كل من عند ربنا » على التسليم المحض فهو لا ينافي العلم » [2] . وقد انبرى الزرقاني ردا على ما أثبتناه من آراء العلماء في هذا الاتجاه ، ذاهبا إلى القول : « إن ذلك قصر للمحكم على ما كان من قبيل الأعمال ، وقصر للمتشابه على ما كان من قبيل العقائد وإطلاق القول فيهما ـ على هذا الوجه ـ غير سديد ، فإن أرادوا بالمحكم ، أنه هو الواضح الذي يؤخذ بمعناه على التعيين ، وبالمتشابه ما كان خفيا يجب الإيمان به دون تعيين لمعناه ، نقول : إن أرادوا ذلك ، فالعبارة قاصرة عن أداء هذا المراد ، والمراد منها لا يدفع الإيراد عليها » [3] .

وهذا الرأي ـ على ما يرى البحث ، قريب مما ذهب إليه السيد الطباطبائي بعدم تحديد معنى المحكم والمتشابه وافتقارهما إلى تعيين كل واحد منهما ابتداءً .

**ثانيا : اتجاه عبد الرحمن الأصم * ( ت ٢٤٠ هـ ) :**

وفيه يذهب إلى أن المحكم دليله واضح ، كدلائل الوحدانية والقدرة والحكمة ، كمثل إخباره تعالى عن إنشاء الخلق :

---

٢ ـ ظ : علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ص ١٩٨ .
٣ ـ المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٦٧ .
٤ ـ مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٧٣ .
* الأصم : أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان ، وهو من علماء المعتزلة وقيل هو عن الحق أصم . تهذيب التهذيب / ابن حجر ٦ / ١٤١ .

(**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً** () ) [1] ، وقوله تعالى : (**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** () ) [2] ، وقوله تعالى : (**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ** () ) [3] .

كما أن المتشابه يحتاج في بيانه إلى التدبر والتأمل ، مثل المحكم بأن سبحانه يبعثهم بعد أن صاروا ترابا ، ولو تأملوا لصار المتشابه عندهم محكما ، لأن القادر على الإنشاء أولا قادر على الإعادة ثانيا [4] .

وهذا الرأي عند الرازي تعوزه الدقة والوضوح ووصفه بعدم التلخيص ، يرى أن قصد الأصم إن المحكم ما كانت دلائله واضحة ، أي دلالة لفظه على معناه متعينة راجحة والمتشابه ما كانت دلالة لفظه غير متعينة بافتقارها إلى الرجحان وهو بمثابة المجمل المتساوي ، أو المؤول المرجوح ، فهذا ما ذهبنا إليه وإن قصد الأصم إن المحكم هو الذي يعرف صحة معناه من غير دليل فيصح المحكم ما يعلم صحته بضرورة العقل ، والمتشابه ما يعلم صحته بدليل العقل ، وعلى هذا يصح القرآن جملة متشابه وقد علل الرازي ذلك بأن قوله تعالى : (**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً** () ) [5] ، أمر يحتاج في صحته إلى الدلائل العقلية ، وأضاف إن أهل الطبيعة قالوا : السبب في ذلك الطبائع والأصول وتأثيرات الكواكب وتركيب العناصر وامتزاجها .

فإثبات الحشر والنشر يحتاج إلى دليل ، كذلك إسناد هذه الحوادث إلى الله تعالى ، مفتقرة إلى الدليل غير أن الأصم بحسب رأي الرازي قد قسّم الأشياء المفتقرة إلى

---

١ ـ المؤمنون / ١٥ .
٢ ـ الأنبياء / ٣٠ .
٣ ـ البقرة / ٢٢
٤ ـ ظ : مفاتيح الغيب ، الرازي ٧ / ١٨٤ .
٥ ـ المؤمنون / ١٥ .

الدليل إلى قسمين : منها يكون الدليل فيه ظاهرا ، ومنها ما يكون الدليل فيه خفيا ، فالأول هو المحكم والثاني هو المتشابه [1] .

وقد ناقش العلامة الطباطبائي رأي الأصم هذا بالقول « يعني أنه نص : إذا كان المراد : إن الدليل واضح لائح ، أو محتاج إلى التأمل والتدبر بوصف ما تضمنته الآية من دليل عقلي قريب من البداهة ، أو بديهي ، أو عدم كونه كذلك ، مما يترتب على ذلك أن آيات الأحكام والفرائض ، وغيرها من المتشابه لفقدانها الدليل العقلي اللائح الواضح ، وعلى هذا يكون إتباعها مذموما مع أنها واجبة الأتباع . و إذا كان المراد به كونه ذا دليل واضح لائح من نفس الكتاب ، وعدم كونه كذلك فجميع الآيات على وتيرة واحدة ، وكيف لا ، وهو كتاب متشابه مثان ، ونور مبين ، ولازم ذلك كون الجميع محكما ، وارتفاع المتشابه له من الكتاب ، وهو خلاف الفرض ، وخلاف النص » [2] .

يقول السيد محمد باقر الحكيم معلـّقا على رأي الأصم : « أنه يرجع الإحكام والتشابه إلى عامل خارجي لا ينبع من الكتاب نفسه ، وهذا العامل الخارجي هو مدى وضوح الدليل وخفائه على متبينات القرآن الكريم ومفاهيمه ، في الوقت الذي تدل الآية الكريمة على أن الإحكام والتشابه ، ينشآن من عامل داخلي يرتبط بالكتاب نفسه ، لذلك ينفتح مجال استغلال إتباع المتشابه قصد الفتنة ، وحين يكون الدليل على أحدى دعاوى القرآن الكريم غير واضح فلا مجال هنا لأهل الزيغ في إتباعه قصد الفتنة ، وإنما يغدو الأمر بمثابة النقد للقران الكريم » [3].

ويختتم السيد الحكيم مناقشته لتفسير المحكم كما ورد عن الأصم بقوله :« أننا لا نفهم المحكم على أنه أمّ الكتاب بعد أن كان الدليل الخارجي هو العامل في الإتقان

---

١ ــ ظ : مفاتيح الغيب ٧ / ١٨٤ .
٢ ــ الميزان ٣ / ٣٤ .
٣ ــ علوم القرآن ص ١٩٧ .

وليس الآية الكريمة ، وإنما المعوّل في هذا على دلالة الآية موضع البحث من أن المحكم والمتشابه ينشآن من العامل الداخلي المرتبط بالكتاب نفسه »[1] .

**ثالثا : اتجاه الفخر الرازي :**

وفيه يذهب إلى عرض آراء العلماء في وجوه عدة من تفسير المحكم والمتشابه ويلخص رأيه الخاص [2] ، الذي عليه أكثر المحققين على ما يرى ومفاده أن :

اللفظ الذي جعل موضوعا لمعنى ، فيرى أنه قد يكون محتملا لغير ذلك أو لا يكون ، فإذا كان اللفظ موضوعا لمعنى ، و لا يكون محتملا لغيره ، فهذا هو النص ، فإذا كان محتملا لغيره ، فلا يخلو من أحد الأمرين ، الأول : أما أن يكون احتماله لأحدهما راجحا على الآخر ، ، وأما أن لا يكون كذلك ، وإنما يكون احتمالهما على السواء . فإذا كان احتماله لأحدهما راجحا على الآخر سمي ذلك اللفظ بالنسبة إلى الراجح ظاهرا ، والى المرجوح مؤولا .وإن كان احتمالهما على السوية ، كان اللفظ بالنسبة إليها مشتركا . وأما بالنسبة إلى كل واحد منهما على التعيين فيكون مجملا .

وينتهي من هذا التقسيم إلى أن اللفظ أما أن يكون نصّا أو ظاهرا ، أو مؤولا ، أو مشتركا ، أو مجملا .

« ويخص النص ، والظاهر بالاشتراك في حصول الترجيح غير أن النص راجح مانع من الغير ، والظاهر ، راجح غير مانع من الغير *، فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمحكم » [3].

« وأما المجمل ، والمؤول ، فهما يشتركان في دلالة اللفظ عليه غير راجحة ، وأن لم يكن راجحا فهو غير مرجوح ، والمؤول مع أنه غير راجح ، فهو مرجوح ، لا بحسب الدليل المنفرد فهذا القدر المشترك المسمى بالمتشابه ، لأن عدم الفهم واقع في

---

١ ـ علوم القرآن ص ١٩٧.

٢ ـ مفاتيح الغيب ٧ / ١٨١ .

* هذا التعبير خاطئ لغويا و ( غير ) لا تعرف باللام .

٣ ـ المصدر نفسه ٧ / ١٨١ .

القسمين جميعا ، وقد أشار الرازي إلى أن ذلك يسمى متشابها . أما لأن الذي لا يعلم يكون النفي فيه مشابها للإثبات في الذهن ، وأما لأجل أن الذي يحصل فيه التشابه يصير غير معلوم ، فأطلق لفظ المتشابه على ما لا يُعلم إطلاقا لاسم السبب على المسبب » [1].

وقد أثنى الزرقاني على رأي الرازي من بين الآراء التي ذكرت بخصوص المحكم والمتشابه ، معللا بأنه أهداها سبيلا وأوضحها بيانا من جهة أن أمر الإحكام والتشابه حسب فهمهم يرجع إلى وضوح المعنى المراد للشارع من كلامه ، والى عدم وضوحه . ثم قال أن رأي الرازي جامع مانع من هذه الناحية لا يدخل في المحكم ما كان خفيّا ، ولا في المتشابه ما كان جليّا ، لأنه استوفى وجوه الظهور والخفاء في بيان تقسيمه الذي بناه على راجح ومرجوح ، والذي اتضح منه أن الراجح ما كان واضحا لا خفاء فيه ، وأن المرجوح ما كان خفيّا لا جلاء معه [2] .

وكان للعلامة الطباطبائي مناقشة لما ذهب إليه الرازي ، جاء في ردوده :« إن المتشابه هو ما يسمى مجملا ، والمحكم هو المبين ملخصا رأي الرازي ، وأوضح أن الآية وما تضمنته من أوصاف المحكم و المتشابه ، لا ينطبق على المجمل والمبين ، كون إجمال اللفظ يختلط ويندمج بعض جهات معناه ببعض ولا يكون هناك انفصال الجهة المرادة من غيرها وعلى ضوء ذلك يقع المخاطب والسامع في حيرة من أمر في تشخيص المراد وإن أهل اللسان لا يتبعون هكذا ألفاظ ــ كما جرت العادة ، في ظرف التفاهم بل يذهبون إلى لفظ آخر مبين يوضح هذا المجمل ، فيصير بذلك مبينا فيتبع إذا لو كان المحكم هو المبين ، والمتشابه هو المجمل لأتبع المتشابه إذا رُدّ إلى المحكم دون المحكم نفسه ، وهذا الإتباع لا تجوزه قريحة التكلم والتفاهم ، فلم

---

١ ــ مفاتيح الغيب ، الرازي ٧ / ١٨١ .
٢ ــ ظ : مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٧١ ــ ١٧٢ .

يقدم على مثله أهل اللسان سواء في ذلك ، أهل الزيغ منهم أو الراسخون في العلم ، ولم يكن إتباع المتشابه أمرا يلحقه الذم ويوجب زيغ القلب » [١] .

وقد لخص السيد محمد باقر الحكيم رأي الرازي من خلال دلالة اللفظ على المعنى التي قسمها على عدة أقسام ، وهي النص ، والظاهر ، والمجمل ، والمؤول ، وبين أن المحكم ما كان دلالته على المعنى من النص والظاهر ، و المتشابه ما كانت دلالته على المعنى من المشترك والمجمل والمؤول ، وقد ردّ على الرازي بالقول : « إن الرازي ربط مفهوم المتشابه من خلال علاقة اللفظ بالمعنى ، وهذا غير صائب» [٢] بحسب اعتقاد الحكيم ،« وذلك كون المتشابه المقصود في الآية : التشابه في تجسيد صورة المعنى وتحديد مصداقه لا التشابه في علاقة اللفظ بالمعنى ، من خلال أخذ مفهوم الإتباع في المتشابه ، وهو لا يتحقق في موارد الإجمال اللغوي » [٣].

« وأضاف الحكيم ، أن حصر نطاق التشابه في علاقة اللفظ بالمعنى لا نجد هناك ما يبرره ، بل نتصور سببا آخر للتشابه ، وهو بسبب تجسيد صورة المعنى وتحديد مصداقه ، وأردف : أن الرازي من خلال تقسيمه يحاول ن يغلق هذا الطريق ، ويحصل المتشابه من زاوية علاقة اللفظ بالمعنى مع إمكان تصور المتشابه في علاقة المعنى بتشخيص مصاديقه الواقعية » [٤] .

وأجد نفسي ميالا إلى تشخيص السيد الحكيم ، لأن تأويل المتشابه هو تأويل المعنى ، وتشخيص مصداقه الخارجي ولأن الصورة تتضح أكثر من خلال الأخذ بمبدأ ربط علة الأشياء بمعلولاتها .

**رابعا : اتجاه ابن تيمية :**

---

١ ــ الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٣٣ .
٢ ــ علوم القرآن محمد باقر الحكيم ص ١٩٥ .
٣ ــ المصدر نفسه ص ١٩٥ .
٤ ــ المصدر نفسه ص ١٩٥ .

وهو « أن المتشابهات آيات الصفات خاصة أعم من صفات الله سبحانه وتعالى ، كالعلم ، والقدر ، والحكم ، والقدير وصفات أنبيائه ، كقوله تعالى في عيسى بن مريم ( عليه السلام ) : (**وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** () ) [1] ، وما يشبه ذلك ، نُسب إلى ابن تيميه [2] . « و أما إدخال أسماء الله وصفاته ، أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله اعتقادا أن ذلك هو المتشابه الذي أستأثر الله بعلم تأويله ... » [3] .

وقد ردّ عليه السيد الطباطبائي بالقول :« لا دليل على انحصار آيات الصفات من المتشابهات ، وقال مناقشا ابن تيمية ، بأنه يأخذ المحكم و المتشابه بمعناهما اللغوي ، وهو ما أُحكمت دلالته ، وما تشابهت احتمالاته ، والمعنيان نسبيان ، فربما أشبهت دلالة آية على قوم ، كالعامة ، وعلمها آخرون ، وهم العلماء ، وهذا المعنى في آيات الصفات أظهر ، حيث أن مراداتها تشتبه على أغلب الناس كون إفهامهم قاصرة عن الارتقاء إلى ما وراء الحس ، فيظنون ما أثبته الله تعالى لنفسه من العلم ، والقدرة ، والسمع ، وغير ذلك من أمور جسمانية تنزّه الله عنها وعلا علوا ، ومن هنا يكون المناخ العام صالحا لظهور الفتن والبدع ، والفرق ، والمذاهب ، فلو أننا علمنا معنى قوله تعالى : (**وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** () ) [4] ، وقوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** () ) [5] . لكن لا ندري حقيقة وكنه علمه ، وقدرته ، وسائر صفاته ، وكيفية أفعاله فهذا تأويل لا يعلمه إلا الله » [6] .

---

١ ـ النساء / ١٧١ .
٢ ـ ظ المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٦٤ .
٣ ـ التفسير الكبير ، ابن تيمية ٢ / ١١٥ .
٤ ـ الحج / ٦ .
١ ـ الأنفال / ٧٥ .
٢ ـ الميزان ٣ / ٣٣ .

لكن هذا الاتجاه لا يعطينا معنى محددا للمحكم و المتشابه عندما يفرض علينا بعض مصاديقه ــ كما فعل الأصم [١] ، إضافة إلى ذلك ليس من الواجب حصر المتشابه في آيات الصفات دون غيرها ، ذلك أن المفاهيم التي تصوّر عوالم يوم القيامة تشترك مع الصفات في التشابه وكذلك فيما يخص عوالم الغيب على نحو عام ، وليست من الصفات في شيء وأن التشابه في صفات الأنبياء من خلال إضافتها إلى الله سبحانه وتعالى ، كما في الآية الكريمة (**وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ()** )[٢] وأما صفة النبي بوصفه إنسانا فليس بها تشابه [٣] . و إلى هذا التحليل فيما تمخض من الآراء يميل الباحث .

**خامسا : اتجاه العلامة الطباطبائي :**

السيد الطباطبائي عرض آراء العلماء ، وناقش كل رأي على حدة ويبدو أن الآراء السابقة مبنية على إرادة التشابه المفهومي [*] من المتشابه في الآية ، وبما أن القرآن نفسه بيان ونور وهدى ، وهذا غير موافق مع وجود المتشابه المفهومي والإجمال .

وقد أُنزل القرآن ، وفائدته جميعا قد شملت الناس دون استثناء [٤] .

إن المتشابه المفهومي لا مدلول له حتى يستغل من أهل الزيغ خلاف المتشابه المصداقي ، والذي يكون مدلوله ، أو مصداقه الخارجي متشابه لا يتناسب مع المصداق الواقعي الغيبي الذي تتدل عليه الآية من حيث مفهومها ، لذلك هو عرضة لأهل الزيغ والهوى ، فيتبعون مصاديق مداليلها المفهومية من الخارج ، والتي لا

---

٣ ــ ظ : الاتجاه ، ثانيا في هذا البحث ص ٥٨ من الاطروحة .

٤ ــ النساء / ١٧١ .

٥ــ ظ : علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ص ١٩٩ .

* التشابه المفهومي : هي دلالة اللفظ على المعنى وما يفهم من اللفظ في دلالته على المعنى .

٦ ــ ظ : التبيان / الطوسي ٣ / ١٧٢ .

تنسجم مع واقع مصاديقها ، ففي قوله تعالى : (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ()**) [1] ، فالعرش ، له مدلول لغوي واضح ، لا تشابه فيه ، إلا أن مصاديقه الخارجية سنخ مصاديق لا تنسجم أن تكون هي المقصودة في الآية ، فأصحاب أهل الزيغ ، يتبعون مثل هذه الآيات ليطبقونها على مصاديقها الخارجية المتشابهة ، أي أن أهل الزيغ يتبعون الآيات التي مصاديق مداليلها المفهومية في الخارج التي لا تنسجم مع واقع مصاديقها كونها من عالم الشهادة والحسّ ، والمادة وتلك من عالم الغيب [2] ، فالآية الكريمة (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ()**) يشتبه المراد منها على السامع ، فإذا رجع إلى مثل قوله تعالى : (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ()** ) [3] . استقر الذهن على أن المراد به ، التسلط على الملك ، والإحاطة على الخلق دون التمكن و الاعتماد على المكان المستلزم للتجسيم المستحيل على الله تعالى ، وهذا الذي يتبعه أصحاب الهوى[4] .

قال السيد الطباطبائي : « و إن الذي تعطيه الآية في معنى المتشابه أن تكون الآية مع حفظ كونها آية دالة على معنى مريب مردد لا من جهة اللفظ بحيث تعالجه الطرق المألوفة عند أهل اللسان ، كإرجاع العام والمطلق إلى المخصص والمقيد ونحو ذلك ، بل من جهة كون معناها غير ملائم لمعنى آية أخرى محكمة ، لا ريب فيه تبين حال المتشابه » [5] .

وذكر في موضع آخر : « إن المراد بالمتشابه ، كون الآية بحيث لا يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها ، بل يتردد بين معنى ومعنى حتى يرجع إلى محكمات

---

١ ـ طه / ٥ .
٢ ـ ظ : بحوث في علم الأصول ٤ / ٢٨١ .
٣ ـ الشورى / ١١ .
٤ ـ ظ : بحوث في علم الأصول ٤ / ٢٨١ .
١ ـ الميزان ٣ / ٤٠ .

الكتاب ، فيتعين هي معناها ، وتبينها بيانا فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة ، بواسطة الآية المحكمة ، والآية المحكمة محكمة في نفسها » [١] .

أورد السيد محمد باقر الحكيم ملاحظ عدة على آراء السيد الطباطبائي ، منها :

إن هذا الاتجاه غير قادر على تحديد الآيات الدالة على معنى مردد ، مريب ومعنى غير مريب ، كونها غير واجدة لميزان التشابه ، لانعدام الظهور اللفظي فيها ، علما أنها غير محكمة لما فيها من التردد ، للدلالة على المعنى .

يلتزم هذا الاتجاه بقيام الآية المحكمة بدور إحكام الآية المتشابهة عند حمل المتشابه على المحكم ، مع إن المحكمة لا تقوم إلا بدور تضييق نطاق تصور المعنى في الآية المتشابهة ، لا بالشكل الذي يجعل من الآية المتشابهة آية محكمة يتحدد صورة معناها ويتجسد مصداقه ، إذ أن مفهوم الإحكام ، يقوم بدور الوقاية من تسرّب صور ومصاديق المعاني الباطلة إلى المعنى المتشابه حتى تكون الآية المتشابهة بعيدة عن الإتباع من قبل أهل الزيغ [٢].

إن اتجاه السيد الطباطبائي يلتزم ــ بحسب ما عرضه ــ بضرورة التعارض بين المحكم والمتشابه ، في الوقت الذي عرف لنا أن الآية المتشابهة لا تدل على مفهوم لغوي باطل حتى تتعارض مع المفهوم اللغوي للآية المحكمة ، وإنما ينشأ الزيغ من محاولة تأويل الآية المتشابهة أي : تجسيدها في مصداق معين ، وصور محدّدة باطلة ، وهنا يُفرض علينا الرجوع إلى المحكم ، للتخلص من محاولات تأويل أهل الزيغ .

ونختم هذه الاتجاهات وآراء العلماء فيها ما رآه السيد محمد باقر الحكيم إيجازا وتلخيصا ، وهو ما يذهب إليه صاحب الأطروحة وعلى النحو الآتي :

---

٢ ــ الميزان ٣ / ١٩ .
٣ ــ ظ : علوم القرآن ص ٢٠١ ــ ٢٠٢ .

ـ الآيات المتشابهات يجب أن يكون لها ظهور خاص في معنى لغوي معين بدلالة قوله تعالى : ( فيتبعون ) . وأن لا يكون المفهوم اللغوي باطلا . والفتنة والزيغ إنما يكونان من خلال تجسيد ذلك المفهوم في صورة ومصداق باطلين .
ـ المتشابه يكون في حقيقة المعنى نفسه من خلال تحديد صورته وتجسيد مصداقه بعيدا عن علاقة المعنى باللفظ [1] .

بقي لنا أن نشير إلى أنه لا بد من تبيان معنى محدد للمتشابه ليستطيع المفسر أن يصل إلى سبر أغواره وكشف حقيقته وفق ضوابط وشروط أقرّها العلماء من خلال : ردّ المتشابه إلى المحكم ، أو اعتماد رواية المعصوم ، أو إجماع الأمة للكشف عن رأي المعصوم أو من خلال وجوه اللغة وشواهدها ، وأقوال المفسرين والعلماء . وهذا ما سيأتي بيانه في الفصل الثالث ( مرجعيات تأويل المتشابه ) .

**المبحث الثالث :**

**العلاقة بين المتشابه والمحكم :**

للوقوف على مفهوم المحكم والمتشابه ، والعلاقة بينهما لا بد من إدراك مفهوم الأدلة التي جاءت في القرآن الكريم في معاني المحكم والمتشابه . فقد وصف الله

---

١ ـ ظ : علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ص ٢٠٣ .

تعالى كتابه العزيز كله بأنه محكم كله ، كما جاء في قوله تعالى : (**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ** () ) [1] ، وقوله تعالى : (**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** () ) [2] .

قال قتادة : « أُحكمت ، أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض » [3] . وفي هذا المعنى يقول القرطبي : « وأحسن ما قيل في معنى : ( أحسنت آياته ) قول قتادة »[4] .

ووصف الله تعالى كتابه كله بأنه متشابه وذلك في قوله تعالى : (**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ** () ) [5] .

قال ابن عباس :

« مثاني : يشبه بعضه بعضا ، ويدل بعضه على بعض » [6] .

وأخرج الطبري بسند عن مجاهد في قوله : « كتابا متشابها مثاني ، قال : في القرآن كله » [7] .

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن بعضه محكم من جهة ، وبعضه متشابه من جهة أخرى ، كما في قوله تعالى : (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** () ) [8] . يتحصل عندنا بعد هذه التوطئة أنه لا اختلاف أو تناقض ما بين آيات الإحكام و ألآيات المتشابهة طبقا لمنطوق القرآن في هذا الباب من البحث ، كما هو شأن القرآن الكريم ، قال تعالى : (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ**

---

١ ـ يونس / ١ .
٢ ـ هود / ١ .
٣ ـ جامع البيان عن تأويل القرآن ، الطبري ٦ / ٤٢٩٤ . ومعالم التنزيل ، البغوي ٢ / ٣٨٥.
٤ ـ الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٦ .
٥ ـ الزمر / ٢٣ .
٦ ـ تفسير ابن كثير ٤ / ٥١ .
٧ ـ جامع البيان ٩ / ٧٠٦٦ .
١ ـ آل عمران / ٧ .

القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا () ) [١] . وهذا يعني الاحتكام إلى مفاد القاعدة التي تقول : « القرآن كله محكم باعتبار ، وكله متشابه باعتبار ، وبعضه محكم ، وبعضه متشابه باعتبار ثالث » [٢] .

والعلماء يقسمون القرآن الكريم من حيث الإحكام والتشابه على قسمين :

**ا ـ في المعنى العام :**

**١ ـ الإحكام العام :**

قال صاحب القاموس : « احكمه : أتقنه ، فاستحكم ، ومنعه من الفساد ، وحكمه عن الأمر : أي ، أرجعه » [٣] .

وجاء في اللسان : « أحكمت الشيء فاستحكم ، صار محكما ، واحتكم الأمر ، واستحكم : وثق . حكم : نعني الشيء الذي حكم أصله ، ومنع منعا ، إذ لا يمكن نفوذ الشيء إليه حتى يحكمه » [٤] .

« وقيل : حاكمت ُ، وحكمت ُ، و أحكمتُ ، : أي : رددتُ ومنعتُ ، والحاكم يمنع

الظالم عن الظلم ، وحكمة اللجام ، هي التي تمنع الفرس من الاضطراب » [٥] .

ومن هذه المعاني المعجمية للفظ ( الإحكام ) ، نخلص إلى ما يأتي :

- الإحكام بمعنى الإتقان ، ومنه أمر محكم ، أي متقن ، وإحكام الشيء إتقانه ، ومنعه من الفساد .

---

٢ ـ النساء / ٨٢ .

٣ ـ القواعد الحسان ، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي ص ٥٩ .

٤ ـ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، مادة ( حكم ) .

٥ ـ لسان العرب ، ابن منظور ١٢ / ١٣٢ .

١ ـ التفسير الكبير ، الفخر الرازي ٧ / ١٨٠ .

- الإحكام بمعنى المنع ، ومنه : أحكمه عن الأمر ، أرجعه عنه ، ومنعه منه ، ويقال حكمتُ السفيه ، و أحكمته ، إذا أخذتُ على يديه ، ومنه الحكمة ، لأنها تمنع صاحبها عمّا لا يليق [١] .

والمراد بالإحكام العام في القرآن الكريم « إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره ، والرشد من الغيّ في أوامره » [٢] . فالقرآن الكريم بهذا المعنى كله محكم ، أي : متقن ، ممتنع عن الخلل ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في غاية من الإحكام ، ونهاية في الانتظام ، أخباره صدق ، وأحكامه عدل ، وأوامره خير ، ونواهيه صلاح وإصلاح في الفرد والجماعة .

وكلمة ( محكم ) عند السيد الطباطبائي ، من وجهة نظر أهل اللغة تعني : الشيء الذي حكم أصله ومنع منعا ، بحيث لا يمكن نفوذ الشيء إليه حتى يفصله وكلمات إحكام ، تحكيم ، حكم ، بمعنى القضاء ، والحكمة بمعنى المعرفة ، والحَكَمَة : لجام الدابة ، وكل هذه المعاني تفضي إلى الإتقان وتدل عليه [٣] .

ويقولون : أتاه الله الحكمة ، بمعنى : العدل ، والعلم ، والحِلم ، والنبوّة ، لما في هذه الأمور من الضوابط الأدبية ، الرادعة عما لا يليق [٤] .

وترد كلمة ( المحكم ) بمعان لغوية أخرى ، منها :

المتقن : الذي لا اضطراب فيه ولا اختلاف ، ومنه حديث صفة القرآن « وهو الذكر الحكيم » [٥] . أي : الحاكم لكم ، أو هو المحكم الذي منه حديث ابن عباس :

---

٢ ــ ظ : اللسان ١٢ / ١٤٠ ــ ١٤١ ، القاموس المحيط ٤ / ٣٨ ، ومفردات الراغب ١٣٣ ــ ١٣٥ .
٣ ــ مجمع الفتاوى ، ابن تيمية ٣ / ٦٠ .
٤ ــ ظ : مقالات تأسيسية ، الطباطبائي ص ٣١٧ .
٥ ــ ظ : مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٦٦ ظ .
١ ــ سنن الترمذي ، الترمذي ٤ / ٢٤٥ ظ . مناقب أمير المؤمنين ( ع ) ، محمد بن سليمان الكوفي ٢ / ٣٠ .

« قرأت المحكم على عهد رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يريد المفصل من القرآن ، لأنه لم ينسخ منه شيء ، وقيل : ما لم يكن متشابها ، لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى عبده » [1] .

والمحكم عند ابن فارس : الحاء ، والكاف ، والميم أصل واحد ، وهو المنع ، وأول ذلك ، الحكم : هو المنع من الظلم ... ويعني أيضا : أخفى ، ما لا يعرض فيه شبهة ، لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى [2] .

« والإحكام : هو الفصل والتمييز ، والفرق والتحديد الذي يتحقق الشيء ويحصل إتقانه ، ولهذا دخل فيه معنى المنع ، كما دخل في الحد بالمنع جزء معناه ، لا جميع معناه »[3] .

والمحكم من الإحكام ، وهو المنع ، ولهذا يقال للمواضيع الثابتة القوية محكم ، أي :« أنها تمنع عن نفسها الزوال ، كما أن كل قول واضح وصريح لا يعتوره احتمال للخلاف ، يقال له : قول محكم » [4] .

« وقد ورد في نظم الدرر، إن الآية المحكمة « تحكم النفس عن جولانها ، وتمنعها من جماحها ، وتضبطها ، إلى محال مصلحتها » [5] .

ومن هذا العرض لأقوال العلماء تتضح لنا دلالات لفظ ( المحكم ) الدالة على الإتقان ، والمنع ، والقضاء ، والعدل ، والحِلم ، والحاكم ، وخلاف المتشابه ، وبمعنى المعرفة ، والفصل ، والفرق ، والتحديد ، وغير ذلك ، وكله ــ على ما نرى يؤول إلى المعنى الاشتقاقي لمادة ( حكم ) كما هو مثبت في معاجم أهل اللغة ، والمعاني

---

٢ ــ النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ١ / ٤١٩ .
٣ ــ ظ: البرهان ، الزركشي ٢ / ٦٨ .
٤ ــ محاسن التأويل ، محمد جمال القاسمي ٢ / ٢٥٧ .
٥ ــ الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي ٢ / ٢٧٣ .
٦ ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي ٢ / ١٥ .

الاصطلاحية عند أهل التفسير ، ولن تعدم عندهم الإجماع على ما تواضعوا عليه في أصل اللفظة اللغوية .

**٢ ـ المتشابه العام :**

تشابه الكلام في المعنى العام ، هو تماثله في الجودة ، وترابطه في المعنى ، بحيث يصدق بعضه بعضا ، وهو ضد الاختلاف المنفي في قوله تعالى : (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ()** ) [١] .

وهو الاختلاف المذكور في قوله تعالى : (**إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ () يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ()**) [٢]

فالتشابه هنا ، تماثل الكلام وتناسبه « بحيث يصدق بعضه بعضا ، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر ، بل يأمر به ، أو بنظيره ، أو بملزوماته ، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل ينهى عنه أو عن نظيره ، أو عن ملزوماته إذا لم يكن هناك نسخ ، وكذلك ، إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك ، بل يخبر بثبوته أو بثبوت ملزوماته ، وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبته ، بل ينفيه ، أو ينفي لوازمه بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضا ، فيثبت الشيء تارة ، وينفيه تارة أخرى ، أو يأمر به ، وينهى عنه في وقت واحد ، ويفرّق بين المتماثلين ، فيمدح أحدهما ، ويذم الآخر ، فالأقوال المختلفة هنا ، هي المتضادة والمتشابهة هي المتوافقة » [٣] .

والقرآن كلّه متشابه ، أي : يشبه بعضه بعضا في الكمال والجودة ، وبلوغ حدّ الإعجاز في ألفاظه ويصدق بعضه بعضا في المعنى ، حتى لا يمكن المفاضلة بين كلماته وآياته في هذا الحسن والإحكام والإعجاز [٤] .

---

١ ـ النساء / ٨٢ .
٢ ـ الذاريات / ٨ ، ٩ .
١ ـ مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ٣ / ٦١ .
٢ ـ ظ التبيان ، الطوسي ١ / ١١ . ومناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٦٧ .

وقد أورد الطوسي ، بأن المتشابه ما كان المراد به لا يعرف بظاهره ، بل يحتاج إلى دليل ، وذلك ما كان محتملا لأمور كثيرة ، أو أمرين ، ولا يجوز أن يكون الجميع مرادا . وإنما سمي متشابها لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد ، كما في قوله تعالى : (**يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ()** ) [١] ، وقوله تعالى : (**وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ()** ) [٢] ، وقوله تعالى : (**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ()** ) [٣] ، وقوله تعالى : (**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ()** ) [٤] ، وقوله تعالى : (**فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ()** ) [٥] ، ونظائر ذلك [٦] .

ويظهر لنا أن المحكم والمتشابه في معناهما العام لا ينافي ولا يناقض أحدهما الآخر بل تشترك فيهما جميعا آيات القرآن ، فالقرآن كله محكم ، بمعنى : متقن لا يتطرق إليه خلل ، تتفق معانيه وإن اختلفت الفاظه . ومتشابهه يصدق بعضه بعضا دون اختلاف أو تضاد يشبه بعضه بعضا بلاغة وحسنا حتى لا يستطيع الإنسان أن يفاضل بين حروفه وكلماته ، فهما معنيان متفقان على القرآن حكما ووصفا .

**ب ـ المحكم والمتشابه في معناهما الخاص :**

**تعريفهما :**

الإحكام الخاص غيره في التشابه الخاص بحسب منطوق الآية الكريمة : (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ()** ) [٧]. ذلك أن الآيات المحكمات واضحة الدلالة على مراد الله وليس فيها اشتباه وإشكال ،

---

٣ ـ الزمر / ٥٦ .
٤ ـ الزمر / ٦٧ .
٥ ـ القمر / ١٤ .
٦ ـ الرعد / ٢٧ .
٧ ـ محمد / ٢٣ .
٨ ـ ظ : التبيان ١ / ٩ ، ١٠ .
١ ـ آل عمران / ٧ .

ولا تقبل احتمالا . وأما المتشابهات فهي التي لا يتضح معناها مباشرة ، ويشبه لفظه غيره وتشتبه معانيه ـ أحيانا مع آيات أُخر ، فهي مأخوذة من المعنى العام للتشابه ، وهي مشابهة الشيء لغيره مع إحكام مخالفته له من وجه آخر فالمتشابهات هي التي تشبه هذا ، وتشبه هذا فتكون محتملة لمعنيين أو أكثر ، ولا يقع هذا في الآيات المحكمات .

عرّف الراغب المحكم بانه « ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ و لا من حيث المعنى » [(١)] ، وقد عُرّف المتشابه في القرآن الكريم في معناه الخاص في القاموس الفقهي بأنه « هو الذي يقابل المحكم ، وهو ما أُشكل تفسيره لمشابهته غيره ، أما من حيث اللفظ ، ومن حيث المعنى ، أو من حيث اللفظ والمعنى معا » [(٢)] . والتشابه الخاص عند ابن تيمية هو « مشابهة الشيء لغيره من وجهة ، مع مخالفته له من وجهة أخرى ، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو ، أو هو مثله ، وليس كذلك ، والإحكام هو الفاصل بينهما ، بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر وهذا التشابه إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما » [(٣)] .

« وقد يقال : لكل ما غُمض ودق متشابه ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبهة بغيره ، ألا ترى أنه قد قيل : للحروف المقطعة في أوائل السور متشابهه ، وليس الشك في ذلك ، والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها ، والتباسها بها » [(٤)] .

غير أن هذا المعنى ــ أعني : المحكم والمتشابه في معناهما الخاص احتمل خلافات كثيرة ، وتعددت فيه أقوال العلماء ، منها :

---

٢ ـ معجم مفردات القرآن ، مادة ( حكم ) .
٣ ـ القاموس الفقهي ، سعدي أبو الجيب ص ١٩٠ .
١ ـ مجموع الفتاوى ٣ / ٦٢ .
٢ ـ تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ص ٩٥ .

١ ـ المحكم ما عرف العلماء تأويله ، أما بالظهور وأما بالتأويل والمتشابه ، فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه أي : ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل ، كوقت نزول المسيح ـ عليه السلام ـ وقيام الساعة ، وخروج الدجال ، وغيرها .

ومن القائلين بهذا جابر بن عبد الله ، والشعبي ، وسفيان الثوري ، وينسب إلى أهل السنة والجماعة على أنه المختار عندهم ، واختاره ابن جرير الطبري [١] .

وقال القرطبي : « وهذا أحسن ما قيل في المتشابه » [٢] .

وقد ردّ الزرقاني على ذلك بقوله : « والرأي المنسوب إلى الأحناف يقصر تعريف المحكم على النص فقط ، وتعريف المتشابه على ما أستأثر الله بعلمه ، ويلزم وجود واسطة لا تدخل في المحكم ولا في المتشابه ، ويكون تعريفهما غير جامع بالنسبة للمذهب المختار » [٣] .

وللسيد الطباطبائي موقف من هذا الذي سبق بصدد التعريف مفاده : أن القرآن الكريم في آياته المحكمة والمتشابهة قد دلّ على معرفة من المعارف الإلهية ، وما دلت عليه آيات الكتاب ليس بعادم السبيل ولا تمنع الفهم ، إما بنفسه أو بضميمة غيره وقد تساءل : كيف يمكن أن يكون هناك أمر مراد من لفظه ولا يمكن نيله من جهة اللفظ ، مع أنه وصف كتابه بأنه هدى ونور واضح الفهم حتى للكافرين ، فضلا عن المؤمنين ، حيث قال : ( **تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ () كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ () بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ()** ) [٤] ، وقوله تعالى : ( **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ()** ) [٥] .

---

٣ ـ ظ : جامع البيان ٣ / ١٦٨ .
٤ ـ الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٣٨٦ .
٥ ـ مناهل العرفان ٢ / ١٧٣ .
١ ـ فصلت / ٢ ، ٣ ، ٤ .
٢ ـ النساء / ٨٢ .

فالذي تعرضت إليه الآية ليس معناه غير مفهوم و لا الوقوف عليه مستحيل ، لأنه ينافي ما ذكره الله سبحانه وتعالى ، وأما الذي لا سبيل للوقوف عليه ، كوقت قيام الساعة وسائر ما في الغيب فلم يتعرض لبيانه آية من الآيات بلفظها حتى تسمّى متشابها [1] .

ويرى العياشي أن الله سبحانه وتعالى ، قد استأثر بعلم جزء قليل من القرآن ، ولكن كثيرا قد أودع علمه وفهمه عند الراسخين في العلم ، فلم يتركوا آية من القرآن الكريم إلا ووضحوا معناها ، فالإمام علي ـ عليه السلام ـ يُعد من أشهر المفسرين بمواقع التنزيل ، وأدقهم بمعرفة التأويل ، فقد ورد عنه ـ عليه السلام ـ حين قدم الكوفة : « إني لأعرف ناسخه من منسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وفصله من فصاله ، وحروفه من معانيه ، والله ما من حرف نزل على محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ ألا أني أعرف فيمن أُنزل ، وفي أي يوم وفي أي موضع » [2] .

وقد قال ابن عباس « فعلم النبي من علم الله ، وعلم علي من علم النبي ، وعلمي من علم علي ، وما علمي وعلم أصحاب محمد ( صلى الله عليه وآله ) في علم علي إلا كقطرة من سبعة أبحر » [3] .

ولنا أن نقول بعد هذا الذي أثبتناه ، أنه من الأدلة الدامغة على معارضة أولئك الذين يذهبون إلى أن المتشابه قد أستأثر الله بعلمه ، وعبد الله ابن عباس حبر الأمة وقد نطق بها .

٢ ـ قيل : إن المحكم ما لا يحتمل إلا وجها واحدا من التأويل ، والمتشابه ما احتمل أوجها ، فإذا رُدّت إلى وجه واحد ،و أُبطل الباقي ، صار المتشابه محكما ،

---

٣ ـ ظ : الميزان ٣ / ٣٤ .
٤ ـ كتاب التفسير ، العياشي ١ / ١٤ .
١ ـ سعد السعود ، ابن طاووس ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

وينسب هذا الرأي إلى أبن عباس ، ومجاهد ، وابن إسحاق ، وأحمد الحنبلي في رواية ، والشافعي ، ويجري عليه أكثر الأصوليين [1] .

للسيد الطباطبائي رأي فيما جاء آنفا ذاهبا إلى القول : وكأن المراد من المحكم ما لا ظهور له إلا في معنى واحد ، كالنص والظاهر القوي في ظهوره ، والمتشابه ما يقابلها ، وعنده أن هذا لا يزيد على تبديل اللفظ باللفظ شيئا ، فقد يدل لفظ المحكم بما ليس له إلا معنى واحد ، والمتشابه بما يحتمل معاني كثيرة ، وهذا من المساواة بين التفسير والتأويل ، أي : أن التأويل جاء على هذا التعريف بمعنى التفسير ، أي : المعنى المراد باللفظ .

وقد خطّأ الطباطبائي هذا المسلك من التفسير ، ذلك لأن التفسير عنده ، كشف المراد عن اللفظ المشكل ، والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر ، ولو كان التأويل بمعنى التفسير بعينه لم يكن لاختصاص علمه بالله ، أو بالله والراسخين في العلم وجه ، فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ، والمؤمن والكافر والراسخون في العلم ، وأهل الزيغ في ذلك سواء [2] .

ومما نراه أقرب إلى الصواب ، ما تقدم من رأي السيد الطباطبائي منطلقين من أن تأويل المتشابه هو تجسيد الصورة الواقعية للمفهوم اللغوي وتحديد مصداقه في الذهن من ناحية خارجية لا علاقة اللفظ بالمعنى .

٣ ـ وقيل أيضا : إن المحكم ، ما كان قائما بنفسه لا يحتاج بيانه إلى الرجوع إلى غيره ، والمتشابه ما لم يكن مستقلا بنفسه ويحتاج بيانه إلى الرجوع إلى غيره لحصول الاختلاف في تأويله ، فالمحكم مثل قوله تعالى : **(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ()**

---

٢ ـ ظ : جامع البيان ، الطبري ٣ / ١٦٧٩ ، وتفسير القرآن العظيم ، لأبي مظفر السمعاني ١/ ٢٩٤ ، وزاد المسير ، ابن الجوزي ١ / ٣٥١ ، وفتح القدير ، الشوكاني ١ / ٥٢٧ . وقال ابن عطية ( وهذا أحسن الأقوال ) . ظ : المحرر الوجيز ، ابن عطية ٣ / ٧١٧ .

١ ـ ظ : الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٣٦ ومجمع البيان ، الطبرسي ١ / ١٣ .

) [1] ، وقوله تعالى : (وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ () ) [2] .والمتشابه نحو قوله تعالى:(مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ () )[3] .

قيل : لا يجوز أن يكون على عمومه لأنـّا قد علمنا أنه تعالى لا يشاء أن يضل الأنبياء والمؤمنين ، ولا يهدي الكافرين ، يرجع فيه إلى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى () ) [4] ، وقوله تعالى : (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ () ) [5] ، وقوله تعالى : (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ () ) [6] ، وقوله تعالى : (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ () ) [7] .

و تأويل « من يشأ الله يضلله » ، أي يخذله ، بأن يمنعه ألطافه ، إذا أعرض عن الأدلة ، فيكون كالأصم والأعمى [8] .

و يُحكى هذا القول عن احمد بن حنبل ، ونسبه القاضي أبو يُعلى [9] إلى عامة الفقهاء [10] .

قال النحاس : « وهذا أحسن ما قيل في المحكمات والمتشابهات » [11] .

وعلق القرطبي ، قائلا : بأن ما قاله النحاس يبين ما اختاره ابن عطية ، وهو الجاري على وضح اللسان [1] .

---

٢ ـ الإسراء / ٣٢ .
٣ ـ الذاريات / ٥١ .
٤ ـ الأنعام / ٣٩ .
٥ ـ محمد / ١٧ .
٦ ـ المائدة / ١٦ .
١ ـ إبراهيم / ٢٧ .
٢ ـ البقرة / ٢٦ .
٣ ـ ظ : متشابه القرآن ، ابن شهر آشوب ١ / ١٣٩ .
٤ ـ وهو أبو يعلى الموصلي احمد بن علي بن يحيى التميمي ، الحافظ صاحب المسند ( ت ٣٠٧ هـ ) . ظ : شذرات الذهب ٢ / ٤٣٧ .
٥ ـ ظ : العدّة في أصول الفقه ، أبو يعلى ٢ / ٦٨٤ ، ٦٨٥ وزاد المسير ، ابن الجوزي ١ / ٣٥٠ ـ ٣٥١ ومجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١٧ / ٤٢٢ والجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٢٠/ ٣٨٧ .
٦ ـ البحر المحيط ، ابن حيان ٢ / ٢٩ .

وقد استشكل صاحب مناهل العرفان قول أحمد بن حنبل من أن المحكم ما كان قائما بنفسه لا يحتاج بيانه الرجوع إلى غيره قائلا : « لا ندري ما مراد احمد بالبيان ، والذي كان المتشابه بحاجة إليه والمحكم لا يحتاج إليه » [٢] .

قال السيد الطباطبائي معلقا : إن آيات الأحكام تحتاج إلى بيان من الرسول مع أنها من المحكمات قطعا ، وكذلك الآيات المنسوخة من التشابه مع عدم احتياجها إلى

بيان لكونها نظائر لسائر آيات الأحكام [٣] .

ويرى الباحث أن حدود إشكالية ( البيان ) عن المحكم أو المتشابه في تساؤل الزرقاني ليست بالمشكلة الفقهية الحادة وإنما الأمر في ردّ المتشابه إلى المحكم وتبيان مصداقه .

٤ ـ وقيل : إن المحكم ما اتضح معناه والذي لا يتطرق إليه إشكال مأخوذ من معنى الإحكام ، وهو الإتقان ، وأما المتشابه فبخلافه ، أي بنقيضه ، وذكر الزرقاني : وبتنظيم المحكم على هذا القول ، ما كان نصّا ، أو ما كان ظاهرا ، وتنظيم المتشابه ما كان من الأسماء المشتركة ، أي : من الألفاظ الموهومة للتشبيه في حقه تعالى [٤] ، نقل هذا السيوطي ، ونسبه إلى الطيبي [٥] بقوله : قال الطيبي : « المراد بالمحكم ما أتضح معناه والمتشابه بخلافه لأن اللفظ الذي يقبل معنى إما أن يحتمل غيره أولا ، والثاني : النص ، والأول : أما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أولا و الأول هو الظاهر ، والثاني أما أن يكون مساويا أو لا و

---

٧ ـ ظ : الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٣٨٧ .
٨ ـ مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٧٢ .
١ ـ ظ : الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٤٢ .
٢ ـ ظ : مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٦٩ والتحرير والتنوير ، ابن عاشور ٣ / ١٥٦ .
٣ ـ وهو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي ، العلامة في العربية والمعاني والبيان ، صنّف شرح الكشاف والتفسير ( ت ٧٤٣ هـ ) شذرات الذهب ٦ / ١٣٧ .

الأول هو المجمل ، والثاني المؤول ، فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم ، والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه » [1]

ومما يؤكد هذا التقسيم أنه تعالى أوقع المحكم مقابل المتشابه لذلك أوجب أن يفسر المحكم بما يقابله .

ورأي الطيبي كما قيل قريب من رأي الرازي حتى كأنه هو لكنه لم يستوفِ وجوه الظهور والخفاء استيفاء الرازي [2] .

وقد مر بنا أن الرازي لا يتصور التشابه إلا من زاوية علاقة اللفظ بالمعنى ، وهذا ليس محل اتفاق عند العلماء إذ يمكن تصور علاقة المتشابه بالمعنى من خلال تشخيص مصاديقه الواقعية [3] .

٥ ــ وقيل : إن المحكم الناسخ ، وهنّ من آي القرآن المعمول بها ، الناسخات : أي ، المثبتات الأحكام ، والمتشابه المنسوخ وهنّ من آي العمل المتروك بهنّ ، وروي هذا عن ابن عباس وابن مسعود ، وقتادة ، والربيع ، والضحاك ، والسدي [4] .

ومما يؤيد ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : « المحكمات ، ناسخه ، وحلاله ، وحرامه ، وحدوده ، وفرائضه ، وما يؤمن به ، ويعمل به ، والمتشابهات منسوخه ، ومقدمه ، ومؤخره ، وأمثاله ، وأقسامه ، وما يؤمن به ولا يعمل به » [5].

وقال السيد الطباطبائي : لا دليل فيه على قصر المتشابهات في الآيات المنسوخة ، فالذي ذكر القرآن من خواص إتباع المتشابه في ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل ، وهو

---

٤ ــ الإتقان ، السيوطي ٣ / ٩ .
١ ــ ظ : مناهل العرفان ٢ / ١٧٢ .
٢ ــ ظ : علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ص ١٩٥ .
٣ ــ ظ : جامع البيان ، الطبري ٣ / ١٦٧٨ ــ ١٦٧٩ وزاد المسير ، ابن الجوزي ١ / ٣٥٠ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي ٢ / ١٤٥ .
٤ ــ الاتقان ، السيوطي ٣ / ٤ .

جار في كثير من الآيات غير المنسوخة ، كآيات الصفات والأفعال ، أما الذي ذكره ابن عباس ونقل عنه ، فإن مذهبه في المحكم والمتشابه أعم مما ينطبق على الناسخ والمنسوخ ، وإن ما ذكره من باب المثال [1] .

وقال السيد الشريف الرضي ( ت ٤٠٦هـ ) : « المحكم أصل للمتشابه يقدح فيظهر مكنونه » [2] .

ويرى محمد جواد البلاغي الآيات المحكمات هي التي « حفظت دلالتها بحسب اللغة والاستعمال من خيال الاحتمال ، وهي مرجع لما توضحه باحكامها من بيان حقيقة أو تأسيس أساس » [3] . وقال في التشابه : « ولا ريب في ما ذكرناه مما يقتحم التشابه بادئ بدء في أمره وما يؤول إليه تفسيره وذلك اما من جهة خفاء القرينة ولو بواسطة القصور في بعض الافهام » [4]

ويرى الباحث أن ما ذكره السيد الطباطبائي بخصوص هذا الرأي هو الأقرب إلى الترجيح كون المتشابه أعم من المنسوخ وهذا الرأي عليه أغلب العلماء .

وصفوة القول فيما سلف من أقوال العلماء في معاني المحكم والمتشابه وتعريفاتهم وجد الباحث أن أقوال هؤلاء العلماء يكمل بعضها بعضا ولا تعارض فيما بينها ، وهي في مجموعها ترسم صورة متكاملها لبيان الفروق بين المحكمات والمتشابهات من حيث النص على تعريفها ، لأن كل تعريف منها يكاد ينطبق على حالة من الحالات الإحكام والتشابه في القرآن الكريم ولكن نميل إلى ما ذهب إليه الشريف الرضي.

فالآيات المشتبهات : هي التي لا يتضح معناها مباشرة وإن لم تشتبه بغيرها لاحتمالها أوجها من التأويل ، أو لاشتباه معانيها أحيانا مع آيات أخرى ، إما من حيث

---

٥ ــ ظ : الميزان ٣ / ٣٤.
١ ــ حقائق التنزيل في متشابه التأويل ص ٢ .
٢ ــ آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي ١ / ٢٥٥ .
٣ ــ المصدر نفسه ١ / ٢٥٩ .

اللفظ أو من حيث المعنى ، أو من حيث اللفظ والمعنى ، ولذا يحتاج فهمها إلى نظر وتدقيق ، وعلى وفق هذا قسّم العلماء المتشابه إلى تشابه حقيقي ، وتشابه نسبي ، وهذا ما وضح في المبحث الأول .

**المبحث الرابع :**

## الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم :

القرآن الكريم كتاب هداية ونور مبين ، ووجود المتشابه فيه لا يتفق مع هذه الحقيقة ، لأن المتشابه لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم ، لذلك عمل الباحثون في علوم القرآن على استكشاف وجوه الحكمة في وجود المتشابهات في القرآن مع حقيقة كونه كتاب هداية ونور مبين ،وعلى هذا الأساس ذكرت وجوه متعددة ومختلفة تتأرجح بين الضعف وغاية القوة والمتانة منها :

١ ـ أورد الرازي في تفسيره ما ذكره العلماء في فوائد المتشابهات انه لما كان وجود المتشابهات في القرآن فإن مسألة الوصول إليها أصعب وأشق ...[١] ومعلوم أن زيادة هذه المشقة توجب مضاعفة الثواب وفي هذا الملحظ يقول السيوطي : « منها : الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه ، فأن استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب ، وذلك لأن زيادة المجاهدة من أسباب زيادة الثواب كما قال تعالى : ( **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ()** )[٢]»[٣].

٢ ـ إن وجود المتشابه في كتاب الله العزيز له ما يسوغه عند العلماء لأنه لو كان القرآن كله محكما بالكلية ، لما كان مطابقا الا لمذهب واحد ، وكان تصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب ، ولمّا أنطوى القرآن على المحكم والمتشابه فإنه سيطمع

---

١ ـ مفاتيح الغيب ٧ / ١٨٥ .
٢ ـ آل عمران / ١٤٢ .
٣ ـ الإتقان ، السيوطي ٣ / ٧٠٥ .

صـاحب كل مذهب أن يجد فيـه مـا يقوّي حجتـه علـى المذهب الآخـر ... وعلـى هذا سينظر فيـه أربـاب المذاهب ، ويكون الاجتهاد فيـه مباحـا لأصـحاب كل مذهب فيمـا يراه ملبيا لغايته . فأن بالغوا في ذلك ، صـارت المحكمـات ــ بحسب رأيـه ــ مفسرة للمتشابهات ، وبهذه الطريق يتخلص المبطل من باطله وصولا إلى الحق .

٣ ــ إن الحكمة من البحث في المتشابه يقود بالضرورة إلى تسلّح المفسر بدليل العقل وينأى عن ظلمـة التقليد ، فلو كـان القرآن كلـه محكمـا لمـا أحتـاج المفسر إلـى الدلالـة العقلية ، ولبقي أسير النظر على خطى سابقيه ، وهذا يعني الوقوع في التقليد الأعمـى ، فينتفي دور العقل في التحليل والتأمل والوصول إلى الصواب [1].

٤ ــ هناك فائدة عظمـى لوجود المتشابه والمحكم معا وقعت الحاجـة فيهمـا إلـى تعلم طرق التأويلات وترجيح بعضها على بعض ، وقد نتج عن ذلك تحصيل علوم كثيرة فيها ، مثلا : علم اللغة ، والنحو ، وعلم أصول الفقه ، ولو لم تكن هذه الميّزة موجودة في القرآن لما استطاعوا الحصول على هذه المعـارف ، والمسألة عند السيوطي دفع النـاس لـتعلم علـوم كثيـرة توثـق ارتبـاطهم بـالقرآن وتعينـهم علـى النظـر والاستدلال واستنباط الفوائد العديدة [2].

٥ ــ « لما كان القرآن مشتملا على دعوة الخواص والعوام جميعا ، وإن طبـائع العامـة تميل بطبعها إلى ما لا يحتاج إلى تفسير معمق ، فمن سمع منهم في بادئ الأمر إثبـات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ، ولا مشار إليه ، ظن أن هذا عدم ونفـي محض فوقـع بالتعطيل ، ومن هنا احتاج العوام إلى ألفاظ دالة على بعض مـا ينـاسب مدركاتهم من حيث هم فيه من التوهم والتخيل فيكون بذلك مخلوطـا بمـا يدل علـى الحق الصريح .

---

١ ــ مفاتيح الغيب ، الرازي ٧ / ١٨٥ .

٢ ــ ظ : الإتقان ، السيوطي ٣ / ٧٠٦ .

فالخطاب الأول لهم يكون من باب المتشابهات ، والثاني يكشف لهم في آخر الأمر هو المحكمات » [1].

وفي بيان أهمية المدرك العقلي ومكانته في فهم القرآن ، ومعرفة دلائل قدرة الخالق في الكون يذهب الزمخشري إلى القول : « فإن قلت فهــّلا كان القرآن كله محكما ؟ قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده » [2] .

وفي مطلب آخر من موضوع حكمة الله تعالى من وجود المتشابه يطرح أبن كثير قضية ( الابتلاء والاختبار ) عن طريق الإيمان بالغيبيات والابتعاد عن الخوض في كيفياتها ، وهنا يتميز المؤمن من الكافر وضرورة حمل الغيبيات على المحكم لا على المذاهب الفاسدة بغية الإفساد والتشويه ، وهذا هو الابتلاء بعينه ، قال: « والمتشابهات في الصدق لهن تعريف وتحريف و تأويل أبتلى فيهن العباد كما ابتلاهم بالحلال والحرام ألا يصرفنّ إلى الباطل ولا يحرفنّ عن الحق ، كما لو أحتجّ النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى : ( **إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ()** ) [3]، وبقوله تعالى : (**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ()** ) [4] . وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من المخلوقات وعبد ورسول من رسل الله » [5].فالعقل هنا مبتلى ببيان المتشابه كابتلاء البدن بالعبادة لذلك يستأنس إلى التذلل بعز العبودية ، وقيل لو لم يبتل العقل لاستمر العالم بأبهة

---

٣ ــ مفاتيح الغيب ، الرازي ٧ / ١٨٥ ــ ١٨٦ ، وظ : مناهل العرفان ، الزرقاني ٢ / ١٧٩ ــ ١٨١ .

١ ــ الكشاف ، الزمخشري ١ / ٣٦٦ .

٢ ــ الزخرف / ٥٩ .

٣ ــ آل عمران / ٥٩ .

٤ ــ تفسير أبن كثير ١ / ٣٤٦ . وظ : مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ٢ / ١٧٨ .

العلـم علــى التمـرد . والمتـشابه هـو موضــوع خـضوع العقـول لخالقهـا استـسلاما واعترافا بقصورها [١] .

وفـي بيـان مكانـة العلمـاء وتفاضـلهم وتفـاوت درجـاتهم ، قـال تعـالى : (**يَرْفَعِ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ()** ) [٢]. يقول الزركشي : « لـو كـان كلـه محكمـا لا يحتـاج إلـى تأويـل ونظـر لـسقطت المحنـة وبطـل التفاضـل واستوت منـازل الخلق ولم يظهر العالم على غيره » [٣].

ويؤسس الزرقاني خمس حِكم بنيت عن طريق البحث والدرس كالمتشابهات التـي نشأ التشابه فيها من الإجمال والبسط والترتيب وكذلك مـا يعلمـه خـواص العلمـاء دون عامتهم . انفرد الزرقاني باثنتين منهـا ونقـل الحكـم الثلاث الأخيـرة عن طريـق الفخـر الرازي مصرحـا باسمه .

الأولـى : تحقيق إعجاز القرآن ، لأن كل مـا أستتبع فيـه شيئا من الخفـاء المؤدي إلـى التشابه له مـدخل عظـيم فـي بلاغتـه وبلوغـه الطـرف الأعلـى فـي البيـان ... وهـذا بـاب واسع ينفتح على ميدان علوم البلاغـة ومـا حـوت مـن الخـواص والأسـرار ، كالإيجـاز والإطنـاب والمساواة والتقديم والتأخير ، والـذكر والحـذف والحقيقـة والمجـاز ومـا إلـى ذلك .

الثانيـة : تيـسير حفـظ القـرآن والمحافظـة عليـه . لأن كـل مـا احتـواه مـن تلـك الوجـوه المستلزمة للخفاء ، دال على معان كثيرة زائدة على ما يستفاد من أصـل الكـلام ، ذلـك أنه لو عبّر عن هذه المعاني الثانوية الكثيرة بألفاظ ، لخرج القرآن في مجلدات واسـعة

---

١ ــ ظ :الإتقـان فـي علـوم القرآن ، السيوطي ٣ / ٦٨٢ ، وظ : مناهل العرفـان ٢ / ١٧٩ ، وظ : الواضح في علوم القرآن ، الدكتور مصطفى ديب البغا ومحيي الدين ديب ستو ص / ١٣٤.

٢ ــ المجادلة / ١١ .

٣ ــ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ٢ / ٨٦ .

ضخمة يعتذر معها حفظه والمحافظة عليه، قال تعالى : (**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** () ) [1].

الثالثة : ما ذكره الفخر الرازي ، بقوله :

متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق . وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب . قال تعالى : (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** () ) [2].

الرابعة : ما ذكره الفخر الرازي أيضا بقوله : « باشتمال القرآن على المحكم والمتشابه يضطر الناظر فيه إلى تحصيل علوم كثيرة ، مثل اللغة والنحو ، وأصول الفقه مما يعينه على النظر والاستدلال ، فكان وجود المتشابه به سببا في تحصيل علوم كثيرة » [3]

الخامسة : ما ذكره أيضا بقوله : « باشتمال القرآن على المحكم والمتشابه يضطر الناظر فيه إلى الاستعانة بالأدلة العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد ...» [4].

ومن الحكمة في إنزال المتشابه تحقيق إعجاز القرآن لأنه نزل متحديا لعظماء العرب وبلغائهم ، ومن عادتهم الاستعارة في الكلام والمجاز ، والتقديم والتأخير ، والحذف والذكر وغيرها من علوم البلاغة ، وما حوت من خواص وأسرار ، وعليه فلا بد أن يستكثر في آياته من المجازات والاستعارات والكنايات والمحاسن البلاغية صيانة لروعة إعجازه ، وصدق تحديه ، ولا شك إن الاستكثار من هذه الاستعمالات عادة ما يكون مدعاة لخفاء المعنى وغموضه ، وفي المنحى الاعجازي ذاته أورد أبن قتيبة ما يعد إعجازا للمتشابه وفيه « أنه أظهار عجز العرب عن معارضة القرآن بكل أضرب الكلام الذي يعرفونه لأنه جاء بلغتهم ، ووفق طرائقهم في التعبير ، ومذاهبهم

---

١ ــ الكهف / ١٠٩ .
٢ ــ آل عمران / ١٤٢ .
٣ ــ مفاتيح الغيب ، للرازي ٧ / ١٨٥ .
٤ ــ المصدر نفسه ٢ / ١٨٠ ــ ١٨١ ، ظ : مناهل العرفان ٢ / ١٨٠ ــ ١٨١ .

في الإيجاز والاختصار والإطالة ، والتوكيد ، والإشارة إلى الشيء وإغماض بعض معانيه حتى لا يظهر عليها إلا المنقب المبرز » [1] ، وهذا ما أكده الزركشي بالقول : « إقامة الحجة بها عليهم وذلك إنما نزل بلسانهم ولغتهم ثم عجزوا عن الوقوف على ما فيه مع بلاغتهم وإفهامهم ، فيدل على أن الذي أعجزهم عن الوقوف هو الذي أعجزهم عن تكرر الوقوف عليها وهو الله سبحانه » [2].

وذلك « لما كان كلام العرب على ضربين أحدهما : الموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره ، والثاني : المجاز والكنايات والإشارات والتلويحات وهذا الضرب الثاني هو المستحلى عند العرب والبديع في كلامهم أنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله فكأنه قال : عارضوه بأي الضربين شئتم ، ولو نزل كله محكما واضحا ، لقالوا : هـلّا نزل بالضرب المستحسن عندنا ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية أو تعريض أو تشبيه كان أفصح و أغرب » [3] .ولذا قال البقاعي [4] « فكأن المحكم للعمل ، والمتشابه لظهور العجز فكان لذلك حرف المحكم أثبت الحروف عملا ، وحرف المتشابه أثبت الحروف إيمانا »[5]. ويرى الباحث في هذا القول ــ على إيجاز عبارته ــ زبدة المنتهى في المراد ودقة في العبارة الموحية .

أن النظر إلى آي الذكر الحكيم يظهر أن القرآن كلام ربّ العالمين من خلال تدبره ، فلا يجد تناقضا ولا خللا في نهاية بحث مع ما يظهر له في بداية أمر من

---

١ ــ تأويل مشكل القرآن ٩١ .
٢ ــ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ٢ / ٨٧ .
٣ ــ زاد المسير ، أبن الجوزي ١ / ٣٥١ .
٤ ــ هو الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي ، الشافعي ، المحدّث ، المفسر ، العلامة المؤرخ ، صنف تصانيف عديدة من أجلها : المناسبات القرآنية ، وعنوان الزمان بتراجم الشيوخ والإقران ، وغيرها توفي سنة ٨٨٥هـ ، أنظر : شذرات الذهب ٧ / ٧٣٩ .
٥ ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي ٢ / ١٦ .

التشابه والاختلاف وصدق الله العلي العظيم إذ يقول (**أفلا يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**())[1]. « لأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره ، وأهمه طلب ما يوفّق بينه ويجريه على سنن واحدة ، ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه ، وإذا تبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده ، وقوة في إيقانه » [2].

وعلى وفق هذا لا بد من بيان صفات أهل الزيغ والضلال والبدعة والانحراف في كل مكان وزمان لتتضح لنا الرؤية الاعتقادية في مطابقة المتشابه بالمحكم ، ذلك أن أهل الزيغ يستدلون دائما بالمتشابه ويتركون المحكم الظاهر من القرآن الكريم ويجعلونه دليلا يستندون عليه لأهوائهم الباطلة ، مقصدهم فتنة الناس في دينهم وتشكيكهم في الحق الذي بين أيديهم كما نصت على ذلك الآية : (**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** () ) [3] [4] .

## آراء العلماء وردودهم في باب الحكمة من وجود المتشابه :

سبق وأن عرضت لرأي الفخر الرازي في أثناء بحثنا هذا وقد تتبعت جملة من آراء العلماء وردودهم على آرائه التي كانت إجابات لما ذكره من آراء لعلماء حول الاعتراضات التي وردت على القرآن لاشتماله على المتشابهات .

ومن تلك الآراء « أنكم تقولون إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة ثم إنا نراه بحيث يتمسك كل صاحب مذهب على مذهبه ، فالجبري يتمسك بآيات الجبر ، كقوله تعالى : (**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**

---

١ ـ النساء / ٨٢ .
٢ ـ الكشاف ، الزمخشري ١ / ٣٣٣ .
٣ ـ آل عمران / ٧ .
٤ ـ ظ : التأويل بين النص القرآني وأقوال المفسرين ، حكمت عبيد الخفاجي ص ٢٨ ، بحث .

() ) [١]، والقدري ( المفوّضة ) يقول : بل هذا مذهب الكفار بدليل أنه تعالى حكى ذلك عن الكفار في معرض الذم لهم في قوله : (**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ** () ) [٢]، وفي موضع آخر : (**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ** () ) [٣] ، وأيضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله : (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ () إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** () ) [٤]، والنافي يتمسك بقوله : (**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** () ) [٥]، ومثبت الجهة يتمسك بقوله : (**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ** () ) [٦] ، وبقوله : (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** () ) [٧] ، والنافي يتمسك بقوله : (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** () ) [٨] . ثم أن كل واحد يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والآيات المخالفة لمذهبه متشابهة وربما آل الأمر في ترجيح بعضها على بعض إلى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة ، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجوع إليه في كل الدين إلى قيام الساعة هكذا ؟ أليس لو جعله ظاهرا نقيا عن هذه المتشابهات كان أقرب إلى حصول الغرض » [٩].

وقد علق محمد رشيد رضا على ما طرحه الفخر الرازي من وجوه الحكمة من وجود المتشابه والتي كانت أجوبة لما ذكره من آراء العلماء آنفة الذكر ، بقوله : « إنه لم يأتِ بشيء نيّر ولم يحسن بيان ما قاله العلماء ، وأسخف هذه الوجوه وأشدها تشوها الثاني ، ولا أدري كيف أجاز له عقله أن يقول إن القرآن جاء بالمتشابهات ليستميل أهل المذاهب إلى النظر فيه وأن هذا طريق إلى الحق ، أين كانت هذه

---

١ ـ الأنعام / ٢٥ .
٢ ـ فصلت / ٥ .
٣ ـ البقرة / ٨٨ .
٤ ـ القيامة / ٢٢ ، ٢٣ .
٥ ـ الانعام / ١٠٣ .
٦ ـ النحل / ٥٠ .
٧ ـ طه / ٥ .
٨ ـ الشورى / ١١ .
٩ ـ مفاتيح الغيب ٧ / ١٤٨ .

المذاهب عند نزوله ومن اهتدى من أهلها بهذه الطريقة » [1] ، وهذا ما مال إليه العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان [2] ، ولعل بعض هذا وغيره كثير من مساجلات العلماء وطرائق تفكيرهم موافقة واختلافا .

وفي ردود الشيخ محمد عبده على آراء الفخر الرازي ما يوضح حقيقة هذه الآراء من وجهة نظره . إذ يقول : « إن الله أنزل المتشابه ليمتحن قلوبنا في التصديق به ، فإنه لو كان كل ما ورد في الكتاب معقولا واضحا لا شبهة فيه عند أحد من الأذكياء ولا من البلداء لما كان في الإيمان شيء من معنى الخضوع لأمر الله تعالى والتسليم لرسله » [3].

وقد ناقش هذا الرأي العلامة الطباطبائي منكرا ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده بالقول : « إن الخضوع هو نوع انفعال وتأثير من الضعيف في مقابل القوي ، والإنسان إنما يخضع لما يدرك عظمته أو لما لا يدركه لعظمته كقدرة الله غير المتناهية وعظمته غير المتناهية ، وسائر صفاته التي إذا واجهها العقل رجع القهقري لعجزه عن الإحاطة بها وأما الأمور التي لا ينالها العقل لكنه يغتر ويغادر باعتقاد أنه يدركها فما معنى خضوعه لها ، كالآيات المتشابهة التي يتشابه أمرها على العقل فيحسب أنه يعقلها وهو لا يعقل » [4].

وقد ردّ السيد الشهيد محمد باقر الحكيم على مناقشة العلامة الطباطبائي بالقول : إن هذه المناقشة ليست ملزمة لكون معنى الامتحان بالمتشابه هو وضعه كمقياس بين المؤمن وغيره فالمؤمن من آمن به استسلاما منه للمتشابه ، وان لم يدرك كنهه من غير تأويله ، والذي زاغ قلبه يدّعي معرفة تأويله و الإنسان في حال غروره وإن لم يكن خاضعا ولكنه غير مؤمن فالمؤمن خضوعه حاصل وهو غير مغتر ... وقد ثبت

---

١ ــ تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٧٠ .
٢ ــ ظ : الميزان ٣ / ٥٦ .
٣ ــ تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٧٠ .
١ ــ تفسير الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٥٦ ــ ٥٧ .

علـى الإيمـان ، أمـا مـن أغتـر وحـاول معرفـة تـأويـل المتشابه فقد زاغ قلبـه . وقد أكد الشهيد الحكيم على إن هذا التفسير إنما ينفع في الآيات المتشابهة المتعلقة بمفاهيم عالم الغيب ، كاللوح والعرش والقلم ، فيكون موقف المؤمن منها هو الإيمان المطلق بها ، وأما الآيات المتشابهة التي يمكن فهمها بعد عرضها على المحكم فيكون غرضها الآخر هو الهدى المترتب عليها [1] .

ومما ذكره الشيخ محمد عبده أيضا أن الأنبياء بُعثوا إلى الناس عامتهم وخاصتهم وفيهم العالم والجاهل والذكي والبليد وفي القرآن من المعاني ما يخفى على بعضهم ولا يُعرف كنهه ولم تكتشف حقيقته ، و إنما مدار الفهم يكون من الخاصة عن طريق الكناية والتعريض ، ويؤمر العامة بتفويض الأمر فيه إلى الله تعالى والوقوف عند حدّ المحكم ، فيكون لكل نصيبه على قدر استعداده [2] . وهذا كلام يميل إلى الإطلاق في الحكم على ما نرى وقد ناقشه فيه العلامة الطباطبائي ذاهبا إلى أن القرآن الكريم يشتمل على المتشابهات والمحكمات التي توضح هذه المتشابهات عند الرجوع إليها ، أي : أن المتشابهات لا تتضمن من المعاني أكثر مما تكشف عنه المحكمات ، وهنا يبقى السؤال قائما ، وما فائدة وجود المتشابهات في القرآن الكريم و أي حاجة إليها مع وجود المحكمات ... والسبب في هذا الاشتباه عند محمد عبده ، أنه عدّ المعاني نوعين متباينين : معاني يفهمها جميع المخاطبين من العامة والخاصة ، وهي مداليل المحكمات ، ومعاني لا تدرك حقيقتها الا من جهة الخاصة ولا يتلقاها غيرهم ، وهي المعارف الإلهية والحِكم الدقيقة وترتب على ذلك أن من المتشابهات ما لا ترجع معانيها إلى المحكمات ، وهذا ما يخالف منطوق القرآن بالرجوع إلى حقيقة كون القرآن يفسر بعضه بعضا [3].

---

٢ ـ ظ : علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .
٣ ـ ظ : تفسير المنار ٣ / ١٧٠ ـ ١٧١ .
١ ـ ظ : الميزان ٣ / ٥٨ .

وللسيد محمد باقر الحكيم ملاحظة على مناقشة العلامة الطباطبائي للشيخ محمد عبده ، مستهلا قوله بالسؤال عن ا لشيء الذي يمنع من وجود هذين القسمين من المعاني ، ويجيب : أنه إذا كان المانع من ذلك هو ما يشير إليه العلامة الطباطبائي من رجوع المتشابهات إلى المحكمات فإن هذا الرجوع لا يعني أكثر من وضع حدود خاصة معينة للمتشابهات تمنع عن الزيغ فيها وتسقط من الحساب جميع الصور والتجسيدات غير المتسقة من روح القرآن ، وهذا لا يعني التجسيد والتحديد للصورة الحقيقية لمعنى المتشابه وتعيينها في مصداق خاص حتى تختفي الفائدة منه ، فقوله تعالى : (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** () ) [1]محكم يسقط في الحساب جميع التجسيدات التي « تشبه الأشياء » في مفهوم الاستواء على العرش في قوله تعالى : (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** () ) [2]، ولكنه لا يعطينا الحقيقة والمصداق المجسد لهذا الاستواء فهو معنى مستقل ، لا يمكن فهمه من ذلك المحكم « ليس كمثله شيء » . والسيد الحكيم يُرجع مسألة دور المحكم تجاه المتشابه في معرفة بعض المعاني إلى الراسخين في العلم على مستوى المصداق دون العامة لا سيما بعض المعاني المرتبطة بقضايا المعلومات الكونية الطبيعية كجريان الشمس (**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا** () ) [3]، أو تلقيح الرياح (**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ** () ) [4] ، أو جعل الماء مصدر للحياة (**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** () ) [5] ، فهذه المعلومات لا تتكشف حقائقها لدى العامة و إنما تنقاد إلى الخاصة من العلماء دون غيرهم [6] .

ويضيف السيد الحكيم أيضا لدى مداخلته على العلامة الطباطبائي من أن هذا الاختلاف والتمايز بين الناس في الادراك للمعاني قد صاغه الطباطبائي على نحو

---

٢ ــ الشورى / ١١ .
٣ ــ طه / ٥ .
١ ــ يس / ٣٨ .
٢ ــ الحجر / ٢٢ .
٣ ــ الانبياء / ٣٠ .
٤ ــ ظ : علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

آخر ، مفاده : أن الناس بحسب مراتب قربهم وبعدهم منه تعالى لهم مراتب مختلفة من العمل والعلم ، فما يتلقاه أهل واحدة من المراتب والدرجات غير ما يتلقاه أهل المرتبة والدرجة الأخرى التي فوق هذه ، أو تحتها وعلى وفق هذا يظهر أن للقران معاني مختلفة مترتبة [1] .

ومن حكمة وجود المتشابه في القرآن على رأي الشيخ محمد عبده تحفيز العقول على النظر والتدبر حيث « جعل الله المتشابه في القرآن حافزا لعقل المؤمن إلى النظر كي لا يضعف فيموت ، فان السهل الجلي جدا لا عمل للعقل فيه ، والدين أعزّ شيء على الإنسان فإذا لم يجد فيه مجالا للبحث يموت فيه ، و إذا مات فيه لا يكون حيا بغيره ، فالعقل شيء واحد إذا قوي في شيء قوي في كل شيء و إذا ضعف ضعف في كل شيء » [2].

وقد ناقشه العلامة الطباطبائي ، ذاهبا إلى أن القرآن الكريم قد أهتم بالعقل وتربيته اهتماما بالغا ، فأمر باستعمال العقل في ( آيات الآفاق ) و( الأنفس ) على وجه الإجمال في بعض الموارد وعلى وجه التفصيل في موارد أخرى ، كالأمر بالتدبر في السموات و الأرض والجبال والشجر ، والدواب والإنسان ، واختلاف الألسنة والألوان كما حث على التفكير والسير في الأرض والنظر في أحوال الماضين . وحرّض العقل والفكر ومدح العلم بأبلغ المدح ، وفي كل ذلك ما يغني عن سلوك طريق آخر يكون مزلقة للأقدام ، ومصرعا للعقل في موضوع التعامل مع المتشابهات [3] .

**خلاصة الراجح من وجوه الحكمة في وجود المتشابه في القرآن :**

---

٥ ـ ظ : الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٥٧ . وظ : علوم القرآن ص ٢٠٨ .
٦ ـ تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٧٠ ، وظ : علوم القرآن ص ٢٠٦ .
١ ـ ظ : الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٥٧ ، وظ : علوم القرآن ، ص ٢٠٨ .

ذكر السيد محمد باقر الحكيم خلاصة الوجه الصحيح من حكمة وجود المتشابه بعد تقسيمه المتشابه على قسمين رئيسين هما :

الأول : المتشابه الذي لا يعلم تأويله ومصداقه إلا الله تعالى .

الثاني : المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم حتى ولو كان بتعليم الله سبحانه لهم ، وقد جرى الحديث عن هذين القسمين في المبحث الأول من هذا الفصل على نحو تفصيلي .

فحكمة وجود المتشابه على الرأي الأول ، إنه من الأهداف الرئيسة التي جاء من أجلها القرآن الكريم هو ربط الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى ، وبالميعاد ، وهذا الربط لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق طرح الموضوعات المتعلقة بعالم الغيب وما يتصل به من أفكار ومفاهيم لتنمية غريزة الإيمان . لذلك فليس هناك من سبيل لتفادي المتشابه في القرآن لأنه هو السبيل الوحيد الموصل إلى الهدف .

أما على الرأي الثاني ، فإن القرآن أراد أن يطرح أمام العقل البشري بعض المسائل الكونية ، أو الإنسانية ، وغيرها من المفاهيم لينطلق في تدبر حقيقتها ، واكتشاف ظلماتها أو يقترب منها بالقدر الذي تسمح له معارفه على ذلك على رأي العلامة الطباطبائي ونحن في هذا العصر إذ نعيش التطور المدني العظيم في جميع مجالات الحياة ندرك قيمة بعض الآيات القرآنية التي ألمحت إلى بعض الحقائق العلمية ، ووضعتها تحت تصرف الإنسان منطلقا له في بحثه وتحقيقه [1] .

نخلص من كل ما تقدم من آراء العلماء أن القرآن كله كتاب محكم في المبنى والمعنى ، في الشكل والمضمون سواء ما سُمي منه محكما أو ما أطلق عليه أسم المتشابه ، وعرفنا المقصود بالمتشابه بأنه الآي الذي يصعب تشخيص مصداقه في

---

١ ــ ظ : علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ص ٢١١ ــ ٢١٢ .

العالم الخارجي كما يذهب السيد الشهيد محمد باقر الصدر « رضوان الله عليه » إلى ذلك ومفسرون آخرون [١] .

وقد مر بنا ما طرح من أسئلة تخص الحكمة من وجود المتشابه في القرآن . في قولهم : أليس القرآن كتاب بيان هداية للبشرية أوليس المفروض أن يكون كله محكما لا تشابه فيه ، فهو صادر عن خالق الوجود ، وهو القادر العليم . وقد أُجيب على هذا الإشكال بأن الداعي من وجود المتشابه في القرآن هو مستوى قدرة الإنسان على فهم الحقائق التي تحدث عنها القرآن في هذه الآيات وإدراكها أولا . وحقية القضايا التي تحدث عنها في تلك المواضع ثانيا ، فمثلا تحدث القرآن عن صفات الله تعالى ، وعن عوالم الغيب المجردة عن الحسيات وعالم الممكنات المعهودة لدى الإنسان ، فعبّر عنها باللفظ الذي يقرب الفهم إلى ذهنه فاستعمل كلمة ( العرش ) و ( الكرسي ) و ( اليد ) و ( الغضب ) و ( المكر ) و ( السخط ) و ( الرضى ) عن وصفه للخالق سبحانه والتعريف بملكه وسلطانه ، لتقريب المعاني ، والحقائق الخارجية إلى ذهن الإنسان .

كما أن من أسباب وجود المتشابه في القرآن ، هو دعوة العقل البشري للتحري والبحث ، وإنضاج الفهم ولاختبار الإنسان في عقيدته وإيمانه . فهو يواجه المحكم والمتشابه ، وهو مدعو إلى فهم المتشابه على ضوء المحكم لأسباب لغوية ، كالمشتركات اللفظية ، وكاللجوء إلى استعمال المجاز . وثبّت أئمة أهل البيت ( عليهم السلام ) المنهج السليم لفهم المتشابه [٢]، فقد ورد عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) « من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه ، فقد هُدي إلى صراط مستقيم » [٣].

---

٢ ـ ظ . بحث كتبه الشهيد الصدر ، علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ص ٢٣٩ .
١ ـ ظ : التأويل بين النص القرآني وأقوال المفسرين ، د . حكمت عبيد الخفاجي ص ٢٦ (بحث).
٢ ـ وسائل الشيعة ( الإسلامية ) ، الحر العاملي ١٨ / ٨٢ منقول عن عيون الأخبار ح / ٣٩ ١ / ٢٩٠ .

فمن المحكمات قوله تعالى : (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** () ) [1] ، وقوله تعالى : (**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ** () ) [2] ، فيرد في صفات الله تعالى إليها كقوله تعالى : (**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** () ) [3] ، وقوله تعالى : (**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** () ) [4] ، وقوله تعالى : (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ () إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** () )[5] ، فتفسير كلمة ( ناظرة ) بالراجية المنتظرة للعطاء بعد ردها إلى قوله تعالى : (**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ** () ) [6] ، ينهي ما قد يتوهمه البعض من التجسيم ، ورؤية الله بالبصر البشري .

ويرى الباحث أن الملحظ الاعجازي في باب المتشابه من أكبر التحديات التي واجه بها القرآن المشككين والملاحدة ، حيث تجلت قدرة الله تعالى في إفهامهم وتفنيد حججهم ، وفي ضوء ذلك نفهم الدور الأعظم لمتشابه القرآن المتجلي في الحكمة الإلهية من وجوده ، وتلك مسالة أفاض العلماء بها شرحا وتوضيحا [7] .

---

٣ ـ الشورى / ١١ .
٤ ـ الأنعام / ١٠٣ .
٥ ـ الفتح / ١٠
٦ ـ البقرة / ٢٥٥ .
٧ ـ القيامة / ٢٢ ، ٢٣ .
١ ـ الأنعام / ١٠٣ .
٢ ـ ظ : مناهل العرفان ، الزرقاني ، ص ١٨ . ظ : متشابه القرآن ومختلفه ، ابن شهر اشوب . المقدمة / هـ ٢ .

# الفصل الثاني

## نظرية التأويل في القرآن الكريم ـ معنى التأويل

## وأقوال العلماء واتجاهاتهم في فهمه

**المبحث الأول : معنى التأويل وأقوال العلماء فيه .**

**البحث الثاني : أتجاهات فهم لتاويل لدى العلماء .**

**المبحث الثالث : التأويل وآلياته .**

**توطئة :**

أثارت الآيات المتشابهات في القرآن الكريم كلاما كثيرا بين المسلمين إلى الحد الذي تعددت فيه الرؤى في التعاطي مع المتشابه ، وقد يكون من عوامل الاختلاف في الرؤية ما يعود إلى طبيعة الفهم المتغيرة من مفسر إلى آخر ، ومن اتجاه تفسيري إلى اتجاه ثانٍ.

ذلك لأن التعاطي ، رؤية وتحليلا وفهما ، مع المتشابه يرتبط في البحث التفسيري مع المحكم ، ومع التأويل ، فقد وجد بعض المفسرين في التأويل حلا للمتشابه . إذ يتكفل التأويل بإعادة المتشابه إلى أصله ومنتهاه ، ومآله . ففيه يتضح معناه .

وعلى وفق هذا التصور تعددت مدارس التأويل ، منها :

- التأويل ، هو صرف الظاهر عن معناه إلى معنى آخر ، أي : صرف المعنى الظاهر إلى معنى باطن ، وهذا ما شاع لدى كثير من اتجاهات البحث التفسيري ، لا سيما بين المتأخرين ، من المتفقهة ، والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة [1] .
- التأويل ، هو المرجع والمصير . أي : بمعنى تصييرها إلى مرجع تؤول إليه ، وقد ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن القرآن الكريم هو الذي رسم هذا المعنى وحدده للتأويل ، بما يترتب عليه من أن التأويل سيغدو حقيقة لها واقع ، وليس هو من قبيل المفاهيم ، والمعاني اللفظية وإنما هو أمور عينية وحقائق متعالية . وبذلك ، فإذا ما قيل بأن للآية تأويلا ، هو غير ما إذا قيل بأنها متشابهة بها حاجة إلى بيان معناها يهدف من إرجاعها إلى المحكم . ومعنى ذلك « أن التأويل لا يختص بالآيات المتشابهة ، وإنما كل القرآن الكريم له تأويل سواء في ذلك محكمه ومتشابهه » [2] . لذلك نرى أن أهل الزيغ في تعاملهم مع كتاب الله تعالى ضحية بعض الخيالات والأوهام نتيجة عدم توجههم إلى الواقعية القرآنية .

---

١ ـ ظ : التفسير الكبير ، ابن تيمية ٢ / ١٠٨ ، وظ : الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٥١ .

١ ـ مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي ، السيد محمد حسين الطباطبائي ص ٣٢٧ .

ومن الوسائل الكلية والمفاتيح الأساسية التي تسهل بلوغ الحقائق القرآنية ، اعتماد التأويل بمعنى الرجوع والمآل[١] .

نؤيد هذه الرؤية لأن القرآن الكريم دستور الحياة في كل زمان ومكان ، على الرغم من تقلبات الثقافات وتطلعات الإنسان ، ومسايرة للصيرورة الحضارية ، لذلك فالنص القرآني بحاجة إلى تعمق فكري دائم مساير إلى النحو المعرفي وهنا لا بد من تأويل آي الذكر الحكيم مطلقا ...

لقد ظهر في معنى التأويل خلاف كثير ، وأقوال ومذاهب متعددة صُنّفت تصنيفا جامعا إلى قولين كما سيأتي .

## المبحث الأول : معنى التأويل وأقوال العلماء فيه :

### القول الأول : فهم التأويل من مقولة المعنى .

### ا ـ الفرق بين التفسير و التأويل .

---

٢ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٧ .

**أولا : التأويل بمعنى التفسير :**

وفيه ، يذهب إلى القول بالترادف والتساوي بين التفسير والتأويل ، فالتأويل هو التفسير ، ولا فرق بينهما . وهذا هو الاتجاه العام لدى قدماء المفسرين ، ولعل منه قول مجاهد : « **إن العلماء يعلمون تأويله** » .

ويقول محمد بن جرير الطبري في تفسيره : « القول في تأويل قوله كذا وكذا .... واختلف أهل التأويل في هذه الآية » ونحو ذلك ، ومراده التفسير [١] .

والى هذا الرأي مال أبو عبيدة وجماعة من العلماء [٢] . وقال أبو العباس المبرد : التأويل والتفسير بمعنى واحد [٣] . وعارض ذلك ابن حبيب النيسابوري « قد نبغ في زماننا مفسرون لو سُئِلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه » [٤] .

وفسّر قوم من المفسرين واللغويين التأويل بالتفسير [٥] وهو المراد من الكلام ، أما إذا كان المراد من بعض الآيات معلوما بالضرورة ، كان المراد بالتأويل على هذا من قوله تعالى : (**وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ()** ) [٦] ، هو المعنى المراد بالآية المتشابهة ، فلا طريق إلى العلم بالآيات المتشابهة على هذا القول لغير الله سبحانه ، أو لغيره ، وغير الراسخين في العلم [٧] .

---

١ ــ ظ : التفسير الكبير ، ابن تيمية ٢ / ١٠٨ .

٢ ــ ظ : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٤ / ١٦٧ . وظ : المبادئ العامة لتفسير القرآن ، محمد حسين علي الصغير ص ٢٠ .

٣ ــ ظ : مجمع البيان ، الطبرسي ١ / ١٧، والمبادئ العامة لتفسير القرآن ن ص ٢٠ .

٤ ــ الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٤ / ١٦٧ .

٥ ــ لسان العرب : مادة ( أول ) .

٦ ــ آل عمران / ٧ .

١ ــ التأويل بين النص القرآني وأقوال المفسرين ، د . حكمت عبيد حسين الخفاجي ، بحث منشور ، مجلة جامعة القادسية العدد ٤ .

فكل تفسير تأويل والعكس صحيح ، وعلى هذا فالنسبة بينهما هي التساوي [1] . والفارق بينهما ليس في النوع إنما بالدرجة لأنه لا يقول أحد بمشروعية اعتماد التأويل لمعنى ليس له جذر في النص ، أي : حملة على خلاف معناه [2] .

إن جذر المشكلة كان يرتكز على الخلط الذي وقع بين معنى التفسير والتأويل ففي فهم السلف لم يكن هناك تفريق بين المعنيين . يقول محمد هادي معرفة : « كان التأويل في استعمال السلف مترادفا مع التفسير وقد دأب عليه أبو جعفر الطبري في جامع البيان » [3] ، وهذا المعنى المترادف أهمل آليات التأويل الخاصة ، ولم يجعل له من المميزات ما تجعله مكملا للتفسير أو حلقة أخرى تؤسس لبناء معرفي أهتم به النص وأهمله التفسير وبالتالي حصر الاستفادة من القرآن الكريم ضمن إطار الفهم الظاهري الذي ينتجه التفسير و الذي فوت على الفكر الإسلامي مكتسبات كانت يمكن أن تسهم في حل معضلاته المعرفية .

**ثانيا : التأويل مخالف للتفسير :**

ذهب البعض إلى القول بأن التأويل يخالف التفسير ، وهذا هو الاتجاه العام لدى من تأخر من أصحاب القول الأول من المفسرين ، كذلك ظهر الاختلاف عند من تبنوا هذا المعنى أيضا في تحديد الفرق بين التأويل والتفسير .

---

٢ ـ ظ : علوم القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم ط ٣ ، ص ٢٤٩ .

٣ ـ ظ : التأويل وتفسير النص ، د . عبد الامير زاهد ص ٥ .

٤ ـ التفسير والمفسرون ١ / ١٨ .

وقد عرض السيد محمد باقر الصدر ثلاثة آراء مستخلصة مما طرحه العلماء في باب الفروق بين التأويل والتفسير ، وهي :

- **الرأي الأول :** أن التفسير يخالف التأويل في العموم والخصوص ، فالتأويل يصدق على كل معنى ظاهر ، ثم يُحمل على خلاف الظاهر ، فهذا العمل هو التأويل . أما التفسير ، فهو أعم ، لأنه بيان مدلول اللفظ مطلقا ، سواء أكان وفق الظاهر أم خلافه .
- **الرأي الثاني :** أن التفسير هو القطع بأن مراد الله كذا ، أما التأويل فهو ترجيح أحد المحتملات .
- **الرأي الثالث :** أن التفسير هو بيان مدلول اللفظ اعتمادا على دليل شرعي ، التأويل هو بيان اللفظ اعتمادا على دليل عقلي [1] .

ونحسب أن السيد محمد باقر الصدر قد أحاط شمولية وعمقا في معنى التأويل . إذ ناقش السيد الصدر هذه الآراء مناقشة علمية ليحدد موقفه منها ، ولتحديد المعنى المنتخب منها ، فهو يذهب إلى تصويب قول أصحاب المعنى الثاني ، في القول بالتفريق بين التأويل والتفسير ،إلا أنه يراهم قد وقعوا بالخطأ في تحديد معنى التأويل والتفسير ، ومنشأ هذا الخطأ على قول السيد الصدر . اعتمادهم المعنى الاصطلاحي معنى وحيدا لكلمة التأويل ، وهذا ما وقع فيه أيضا أصحاب المعنى الأول .

والصحيح أننا " بإزاء موقف من هذا القبيل يجب أن نعرف قبل كل شيء ، هل المعنى الاصطلاحي هذا كان موجودا في عصر القرآن الكريم، وهل جاءت كلمة ( التأويل ) بهذا المعنى حينئذ ؟ . ولا يكفي مجرد انسياق المعنى الاصطلاحي مع

---

١ ـ ظ : علوم القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم ، ص ٢٥٠ . وظ : تفسير سورة الحمد ، محمد باقر الحكيم ، ص ٢٤.

سياق الآية لنحمل كلمة التأويل عليه » [١] . ويلتقي هذا الرأي مع ما ذكره محمد عبده في تفسير المنار هذا الخطأ بقوله : « إنما غلط المفسرون في تفسير التأويل في الآية ، لأنهم جعلوه بالمعنى الاصطلاحي ، وأن تفسير كلمات القرآن الكريم بالمواصفات الاصطلاحية قد كان منشأ غلط يصعب حصره » [٢] .

ثم يسير المفسران ، محمد عبده و السيد الصدر، والسيد الطباطبائي مال إلى رأي محمد عبده ، وقبله محمد جمال الدين القاسمي ، سيرا استقرائيا يتابع موارد استعمال كلمة ( التأويل ) في القرآن الكريم ثم ليكتشف الجميع ، معنى آخر لا يتفق مع ذلك المعنى الاصطلاحي الذي يجعلها بمعنى التفسير ، والآخر الذي لا يميزها عنه إلا في الحدود والتفصيلات [٣] . « ففي الممارسات العقلية لعملية الشرح التي هي التأويل لا بد من المرور بالتفسير » [٤]

ومن موارد استعمال كلمة ( التأويل ) في القرآن الكريم ما يلي :

**ـ (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ () )** [٥] .

**ـ (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا () )** [٦] .

---

١ ـ علوم القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم ص ٢٥٢ .

٢ ـ المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٧٢ .

٣ ـ ظ : ومحاسن التأويل ، القاسمي ٤ / ١٤ ، ٢٤ .ظ : محمد رشيد رضا ٣ / ١٧٢ ـ ١٧٤ ، ظ : والميزان ، السيد الطباطبائي ٣ / ٢٢ ـ ٢٥ ، ظ : علوم القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، والمنار ،

٤ ـ التأويل بين النص القرآني وأقوال المفسرين ، حكمت عبيد الخفاجي ، ص ١١ ( بحث ) .

١ ـ آل عمران / ٧ .

٢ ـ النساء / ٥٩ .

ـ (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ () ) [1] .

ـ (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ () ) [2] .

ـ (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ () ) [3] .

ـ (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ () ) [4] .

ـ (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ () ) [5] .

ـ (قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ () ) [6] .

ـ (وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ () ) [7] .

ـ ( ....... أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ () يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ...... () ) [8].

ـ (يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا () ) [9] .

ـ (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ () ) [10] .

ـ (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ())[1]

---

٣ ـ الأعراف / ٥٣ .

٤ ـ يونس / ٣٩ .

٥ ـ يوسف / ٦ .

٦ ـ يوسف / ٢١ .

٧ ـ يوسف / ٣٦ .

٨ ـ يوسف / ٣٧ .

١ ـ يوسف / ٤٤ .

٢ ـ يوسف / ٤٥ ، ٤٦ .

٣ ـ يوسف / ١٠٠ .

٤ ـ يوسف / ١٠١ .

ـ (**سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** () ) [٢] .

ـ (**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** () ) [٣] .

نلحظ من هذه الموارد القرآنية أن كلمة التأويل فيها لم ترد بمعنى التفسير ، وبيان مدلول اللفظ ، ولا يبدو إمكان ورودها بهذا المعنى باستثناء الآية الأولى فقط . لأنه أضيف فيها إلى الآيات المتشابهة ، وبسبب ذلك ذهب كثير من مفسري الآية الكريمة ـ إلى القول : بأن تأويل الآية المتشابهة هو تفسيرها وبيان مدلولها .

ويرى السيد الصدر أنه بملاحظة ـ ما عدا الآية الأولى ـ موارد استعمال كلمة التأويل تدل على أنها كانت تستعمل في القرآن الكريم بمعنى آخر غير التفسير ، ولا نملك دليلا على أنها استعملت بمعنى التفسير في مورد ما من القرآن الكريم بل أن جميع تلك الموارد تدل على إن المراد بالتأويل هو ما يؤول إليه الشيء ، وهذا نفسه هو المراد ـ في أكبر الظن ـ من كلمة التأويل في الآية الأولى [٤] .

إذن لم يرد لفظ التأويل في القرآن إلا بمعنى الأمر العملي الذي يقع في المآل ، تصديقا لخبر أو رؤيا أو لعمل غامض يُقصد به شيء في المستقبل . فيجب أن تُفسّر آية آل عمران بذلك ، ولا يجوز أن يُحمل التأويل فيها على معنى التفسير ، ولا حمل الكلام على خلاف الظاهر [٥] ، وقد لخص الدكتور الصغير موقفه في بيان الفرق بين التفسير والتأويل ، بعد أن عرض لآراء العلماء في هذه المسألة ، ذاهبا إلى أن التفسير ، هو ما ورد من تعليل للظواهر ، وكشف للألفاظ نقلا عن المعصوم بما يضمن الاطمئنان على صحته ، ويحقق دلالة لفظ القرآن الكريم على المعنى المراد ،

---

٥ ـ الاسراء / ٣٥ .

٦ ـ الكهف / ٧٨ .

٧ ـ الكهف / ٨٢ .

١ ـ ظ : علوم القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم ص ٢٥٣ .

٢ ـ ظ : المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٧٤ .

فإذا لم يؤثر به شيء عن المعصوم ، فيُركن إلى اللغة بما لا يخالف موافقات الشرع الشريف.

وأما التأويل ، فهو ما لم يكن مقطوعا به ، وكان مرددا بين عدة وجوه محتملة ، فإنه يؤخذ بالحجة الأقوى والدليل المبرم ، فيوجه على المعنى على أساس الفهم واللغة وإعمال الفكر والتدبر ، فيكون التفسير أدل على المعنى الحقيقي من التأويل . لأن التفسير لا يميل إلى الاحتمال المرجح من عدة وجوه بينما التأويل يسهل توجيه اللفظ إلى معنى مردد بين عدة معاني مختلفة يستنبط بما توافر من الأدلة .

وفي ضوء ذلك يكون للتفسير دلالة قطعية وللتأويل دلالة ظنية ، إلا إذا كان التأويل صادرا عن المعصوم فيعود التأويل تفسيرا ، لأنه يكشف عن مراد الله تعالى في كتابه ، فتكون دلالته بالذات دلالة قطعية [1] .

وليس ببعيد عن هذا التحليل ما ذكر من أن « التفسير جزء من علم النص ، والتأويل جزء من الحكمة العقلية لوقوف الأول على الظاهر المتبادر ، ولوقوف الثاني على الباطن ، ولأن التفسير قطعي ، والتأويل اجتهاد ، لأنه ترجيح لأحد المحتملات دون القطع » [2] .

وخلاصة ما يراه الباحث مما تقدم من أقوال ، أن التمييز بين التفسير والتأويل يعين على فهم سر المتشابهات ، على الرغم من أن لفظ التأويل كثيرا ما يستعمل بمعنى التفسير لكن العلماء ميّزوا بينهما ، فعرفوا التفسير بأنه الإيضاح والبيان ، وأما التأويل فيشمل أيضا ما يؤول إليه الأمر مستقبلا ، فهو تقلّب للاحتمال الدلالي . وأغلب الجاري على ألسن الفقهاء أن تؤول الآيات المتشابهات ، وأن يُفسّر غيرها مما يوحي أن للتأويل أغوارا أبعد عمقا من التفسير ، وهو أخص في الآيات التي

---

١ ــ ظ : المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، د. محمد حسين علي الصغير ص ٢٣ .

٢ ــ التأويل وتفسير النص ، د. عبد الأمير زاهد ، مقالة / مجلة السدير ص ٦ العدد الرابع لسنة

جاءت على وجه من وجوه المجاز فكان مدلولها غير ظاهر في لفظها ، كما هو الحال ، مثلا ، في الأمثال ، والكنايات ، والاستعارات .

**ب ـ التأويل : المعنى المخالف لظاهر اللفظ :**

انتشر هذا المعنى بحيث عاد اللفظ حقيقة ثانية بعد ما كان بحسب المعنى اللغوي ومطلق الإرجاع ، أو المرجع وقد أورد هذا المعنى كثير من المفسرين واللغويين والكتاب وقد أجمعوا عليه ، واتفقوا على اصطلاحه [١] .

ذكر ابن تيمية :

التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة ، والمتحدثة ، والمتصوفة وغيرهم ، هو : صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به [٢] ، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عنه في أصول الفقه ، ومسائل الخلاف ، فإن قال أحدهم : هذا الحديث أو هذا النص مؤول ، أو محمول على كذا ، قال الآخر : هذا نوع تأويل ، والتأويل يحتاج إلى دليل ، والمتؤوّل عليه وظيفتان : بيان احتمال اللفظ للمعنى ، والوظيفة الثانية : إيضاح الدليل الذي يستوجب إليه ، صرف اللفظ عن المعنى الظاهر . وهذا التأويل المتنازع فيه يخص مسائل الصفات بين من يؤيد

---

١ ـ ظ : التفسير الكبير ، ابن تيمية ٢ / ١٠٨ .

٢ ـ ظ : مقدمة البحر المحيط ، أبو حيان ١ / ١٠ ـ ١١ .

تأويلها ومن لا يؤيد . وهناك رأي ثالث مفاده : أن التأويل جائز ، يفعل عند المصلحة ويترك عند المصلحة ، أو يصلح للعلماء دون غيرهم [1] .

وقد أبطل السيد الطباطبائي ما احتج به ابن تيمية فيما تقدم من قوله ، ذاهبا إلى أن ذلك يستوجب وجود آيات في القرآن الكريم تتضمن معاني يخالف ظاهرها مما يوقع أو يوجب الفتنة في الدين بتنافيه مع المحكمات ، وفي ضوء ما ذكر ابن تيمية ، أن في القرآن الكريم اختلافا بين الآيات ، لا يرتفع إلا بصرف بعضها عن ظواهرها إلى معان لا يفهمها عامة الافهام . وهذا الكلام يبطل الاحتجاج الوارد في قوله تعالى : (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**()) [2] .

فالآية لسان احتجاجهم صريحة في أن القرآن الكريم معرّض لعامة الافهام ومسرح للبحث والتأمل ، وليس فيه آية أُريد بها معنى يخالف ظاهر الكلام [3] .

و يُرَد على وجهتي النظر السابقتين من أنهما يفترضان أن التأويل من مقولة المعنى ، والمفهوم ، علما أن التأويل ليس مفهوما من المفاهيم سواء أكان موافقا للظاهر أم مخالفا له ، بل هو من الأمور العينية الخارجية كما سيتضح في أثناء هذا الفصل لاحقا .

---

٣ ــ ظ : التفسير الكبير ، ابن تيمية ٢ / ١٠٨ ، ظ : والمحرر الوجيز ١ / ٤ ــ ٥ ، ظ : التأويل بين النص القرآني وأقوال المفسرين ، د . حكمت عبيد الخفاجي ص ٣١ ( بحث ) .

١ ــ النساء / ٨٢ .

٢ ــ ظ : الميزان ، محمد حسين الطباطبائي ٣ / ٥٥ .

**القول الثاني : فهم التأويل من الأمور العينية .**

وردت مادة التأويل في معنى تأويل القرآن الكريم ثلاث مرات فقط . كما في قوله تعالى:

ـ **(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ () )** [1] .

ـ **(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ () )** [2] .

ـ **(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ () )** [3] .

وقد وردت أيضا بمعناها اللغوي من مادة ( الأوْل ) التي بمعنى الرجوع [1] . وفي معجم العين [2] ، التأويل : تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ، و لا يصح إلا ببيان غير لفظه ، وعليه قول عمار بن ياسر :

---

١ ـ آل عمران / ٧ .

٢ ـ الأعراف / ٥٣ .

٣ ـ يونس / ٣٩ .

**نحن ضربناكم على تنزيله          فاليومُ نضربكم على تأويله** (٣)

وفي مفردات الراغب ، التأويل ، من الأولْ ، أي الرجوع إلى الأصل ، ومنه : الموئل ، للموضع ، الذي يُرجع إليه ، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا (٤) .

وحين نأتي للفظة التأويل في الاصطلاح نجد المفسرين قد اختلفوا في آرائهم فيها ، ويمكن إجمال هذه الآراء المختلفة على النحو الآتي :

- قول القدماء من المفسرين بترادف كل من التأويل والتفسير ، وإنهما بمعنى واحد ، وقد مال إلى هذا المنحى الطبري والطوسي ، وليس الأمر كذلك ، فهما متغايران ، وأثبتنا هذا التغاير في القول الأول : ب ــ ثانيا من هذا المبحث .
- الرأي الثاني ، وقال به الطبرسي (٥) ، من أن التأويل انما هو ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر ، والتفسير ، هو البيان .
- الرأي الثالث ، لبدر الدين الزركشي ، وفيه : التأويل : صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها ، وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط ، ومثّلوا لذلك بالآية الكريمة (**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ()) (٦) .

---

٤ ــ لسان العرب ، ابن منظور ٥ / ٣٢ .

٥ ــ شرح نهج البلاغة لبن أبي حديد ٢ / ٨١٠ .

٦ ــ ظ : العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي / مادة ( أول ) .

١ ــ ظ : المفردات ، الراغب الاصفهاني ص ٤٠ .

٢ ــ ظ : مجمع البيان ، الطبرسي ١ / ٨٠ .

٣ ــ البقرة / ١٩٥ .

ومما قيل في هذه الآية : هو الرجل يحمل في الحرب على مائة رجل، وقيل : هو الذي يقنط من رحمة الله ، وقيل : الذي يمسك عن النفقة ، وقيل : الذي ينفق الخبيث من ماله ، وقيل : الذي يتصدّق بماله كله ، ثم يتكفف الناس ، ولكل منه مخرج ومعنى [١] .

والذي يلحظ على هذا التعريف أنه ليس لكل آية تأويل وهذا مخالف لما هو ظاهر في الآيات التي تحدثت عن التأويل بل التأويل في الآيات المتشابهة التي قد تؤول على أكثر من معنى كما في الآية المتقدمة ، وهذا ما يراه الباحث [٢] .

- الرأي الرابع ، رأي الشهيد الصدر [٣] ، وفيه التأويل : تفسير المعنى وما يؤول إليه المفهوم ، ويتجسد به من صورة ومصداق .
- الرأي الخامس ، رأي محمد هادي معرفة [٤] ، وفيه : إن التأويل يستعمل في معنيين : الأول في توجيه المتشابه في الآيات المتشابهة ، والثاني في المعنى الثانوي للكلام المعبّر عنه بالبطن .
- الرأي السادس ، وهناك من يرى أن التأويل : بيان المعاني الباطنة للقرآن الكريم ، أي : التأويل هو بطن القرآن الكريم، وهو الواقع العلمي الذي يهدي إليه الظاهر والتنزيل هو الظاهر الذي يدل عليه اللفظ [٥] .

---

١ ـ ظ : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ٢ / ١٥٠ .

٢ ـ ظ علوم القرآن ، حسين عبد الله دهنيم ص / ١٣٤ .

٣ ـ ظ : التفسير بالمأثور وتطوره عند الشيعة الإمامية ، إحسان الأمين ص / ٢٩٠ .

٤ ـ ظ : المصدر نفسه ص / ٢٩٠ .

٥ ـ ظ : بحوث في القرآن ، السيد محمد تقي المدرسي ص / ٢٩ .

- الرأي السابع ، رأي المتأخرين [1] ، وفيه إن التأويل يختص بالآيات المتشابهة فقط ، كالآيات الظاهرة في الجسمية ، و المجيء ، والاستواء المنسوبة إلى الله.

وعلى هذا الرأي علّق المحقق جعفر السبحاني بالقول : « وأما التأويل بمعنى صرف الكلام عن ظاهره المستقر إلى خلافه ، فهو مصطلح حديث بين العلماء لا يمت إلى القرآن الكريم بصلة » [2] .

وقد رد السيد الطباطبائي هذا القول في كتابه : « القرآن في الإسلام » ، ذاهبا إلى أن هذا القول مع شهرته العظيمة ليس بصحيح ، ولا ينطبق على الآيات القرآنية ، وعلل ذلك بثلاثة أدلة مستشهدا بالقرآن الكريم :

ـ الأول : في قوله تعالى : (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ** () ) [3] .

وقوله تعالى : (**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ** () ) [4] .

ويذهب السيد إلى أن الآيتين المنقولتين ظاهرتان أن للآيات كلها تأويلا ، ولا يختص ذلك بالآيات المتشابهة كما يبدو من هذا القول .

ـ الثاني : أنه لازم هذا القول وجود آيات يشتبه الناس في فهم مدلولها الحقيقي ، ولا يعلمه إلا الله تعالى ، ومثل هذا الكلام الذي لا يدل على مدلوله لا يعد كلاما بليغا ، فكيف بتحديه للبلغاء .

ـ الثالث : يتأسس على هذا القول عدم إتمام حجية القرآن الكريم ، بحسب احتجاج الآية الكريمة : (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** () ) [1] [2] .

---

٦ ـ ظ : القرآن في الإسلام ، محمد حسين الطباطبائي ص / ٥٧ .

١ ـ المناهج التفسيرية في علوم القرآن ، جعفر السبحاني ص ١٧٣ .

٢ ـ الأعراف / ٥٣ .

٣ ـ يونس / ٣٩.

بعد أن عرضنا جملة من آراء المفسرين وردودهم نعرض فيما يخص فهم التأويل من الأمور العينية ، واستكمالا لما بدأناه ، أرى أن نتطرق إلى رأيين آخرين يمثلان اتجاهين رئيسين في هذه المسالة ، اعرضهما على النحو الآتي :

ـ **الرأي الأول :** ما ذهب إليه ابن تيمية من أن التأويل ليس من قبيل المعنى المراد باللفظ وإنما هو الأمر العيني الذي يعتمد عليه الكلام ، فإن كان الكلام طلبا ، أو إنشاء ، كالأمر والنهي ، كان تأويله نفس الفعل المطلوب ، أي المصلحة التي توجب إنشاء الحكم ، وجعله ، وتشريعه ، فتأويل قوله تعالى : (**وَأَطِيعُوا اللَّـهَ وَرَسُولَهُ** () )[3] ، مثلا ، هي الحالة الإيمانية الخارجية التي تقوم بنفس المؤمن في الخارج فتنهاه عن العصيان ، وتأمره بالامتثال ، وإن كان الكلام خبريا فإن كان إخبارا عن الحوادث الماضية ، كان تأويله نفس الحوادث الواقعة في الماضي ، كالآيات المشتملة على الأمم الماضية ، وأخبار الأنبياء ، فتأويلها نفس القضايا الواقعة في الماضي ، وإن كان إخبارا عن الأمور الحالية والمستقبلية ، فتأويلها هي الأمور الموجودة في الخارج نفسها سواء أكانت ماضية ، أم مستقبلية ، فإذا قيل : طلعت الشمس ، فتأويل هذا ، نفس طلوعها [4] .

وهذا التأويل من باب الوجود العيني الخارجي ، أي إن الحقائق الثابتة للكلام في الخارج هي تأويل للكلام فيما يتعلق بصفاتها وشؤونها وأحوالها ، وقد تعرف تلك

---

٤ ـ النساء / ٨٢ .
٥ ـ ظ : القرآن في الإسلام ، محمد حسين الطباطبائي ص ٥٤ .

١ ـ الأنفال / ١ .
٢ ـ ظ : التفسير الكبير ، ابن تيمية ٢ / ١٠٩ .

الصفات والأحوال على قدر إيصالها بما يتحقق فهم المخاطب عن طريق ضرب المثل ، أو بالقدر المشترك بينها وبين غيرها [١] .

والذي يُلاحظ أن اسم التأويل قد جاء في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعا كما ذكر سابقا ، منها :

ـ إن الله اخبر بوقوع أشياء يوم القيامة وأشراطها وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك .

هذا القدر وما يتحقق منها لا يعرف وقت وقوعها وحقيقتها وكنهها إلا الله [٢] .

وذكر ابن عباس : بأن ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء ، أي لا توجد مماثلة بين ما موجود في الدنيا منها وما موجود في الآخرة ، بالاسم . إذن ليس هناك من سبيل إلى إدراك حقيقة تلك الأشياء في الدنيا ، وتلك الحقائق على ما هي عليه ، هي تأويل ما أخبر الله به [٣] .

وقد أعجب صاحب المنار بهذا الرأي ومال إليه ذاهبا إلى أنه ليس في كتب التفسير ما يروي الغليل في هذه المسألة ، وعلق قائلا :« إذا رجعنا إلى كلام ابن تيمية ، وقرأناه بتمعن ، تدرك أنه منتهى التحقيق والعرفان ، والبيان الذي ليس وراءه بيان أثبت فيه أنه ليس في القرآن الكريم كلام لا يفهم معناه » [٤] .

وردّ محمد هادي معرفة على ما ذكره ابن تيمية ، وإشادة محمد رشيد رضا به ، شارحا ما توصلا إليه وموضحا خطأ ما جاءا به من حيث أخذهما بالمفهوم اللغوي لمادة التأويل ، أما العين الخارجية بالذات ، فلعله من اشتباه المصداق بالمفهوم ، ذلك أن الوجود العيني للأشياء هي عين مشخصاتها المعبر عنها بالمصاديق الخارجية .

---

٣ ـ ظ : المصدر نفسه ٢ / ١٠٩ .

١ ـ ظ : التفسير الكبير ، ابن تيمية ٢ / ٩٧ ـ ٩٨ .

٢ ـ ظ : المصدر نفسه ٢ / ٩٩ .

٣ ـ المنار محمد رشيد رضا ص ١٧٢ .

وينتهي إلى القول بأنهما لم يأتيا بشيء جديد [١] .

وأما السيد الطباطبائي فقد عرض لرأي ابن تيمية مصححا له من جهة ، ومخطئا له من جهة أخرى . صححه من جهة موافقته على كون التأويل يشمل المحكم والمتشابه ، وان التأويل ليس من سنخ المدلول اللفظي ، بل هو أمر خارجي يبتنى عليه الكلام ، واختلف معه في عدّ كل أمر خارجي مرتبط بمضمون الكلام حتى مصاديق الأخبار الحاكية عن الحوادث الماضية والمستقبلية تأويل للكلام وفي حصر المتشابه الذي لا يعلم تأويله في آيات الصفات وآيات القيامة [٢] .

إنّ التأويل ليس من المفاهيم التي هي مداليل للألفاظ ، بل هو من الأمور الخارجية العينية ، واتصاف الآيات بكونها ذات تأويل من قبيل الوصف بحال المتعلق .

وأما أطلاق التأويل وإرادة المعنى المخالف لظاهر اللفظ فاستعمال مولّد نشأ بعد نزول القرآن الكريم لا دليل على كونه هو المراد من قوله تعالى : (**وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ()** ) [٣] ، كما لا دليل على أكثر المعاني التي ذكرت للتاويل سابقا ،فإن القرآن الكريم لم يستعمل لفظ التأويل إلا في المعنى الذي ذكر [٤] .

وفي كلام القاسمي تفصيل مزيد وتمثيل« فالتأويل ، هو ما أوّل له الكلام ، أو يؤول إليه ، والكلام إنما يرجع ويعود ويستقر ، ويؤول إلى حقيقته التي هي عين المقصود به كما قال بعض السلف في قوله تعالى : (**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ()** ) [٥] . قال : أي لكل نبأ حقيقته فإذا كان الكلام خبرا ، فإلى الحقيقة يؤول ويرجع

---

٤ ــ ظ : التفسير والمفسرون ، محمد هادي معرفة ١ / ٣٣ .

١ ــ ظ : الميزان ، الطباطبائي ٣ /   .

٢ ــ آل عمران / ٧.

٣ ــ ظ : الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٢٥ ، ٤٩ .

٤ ــ الأنعام / ٦٧ .

....، و إذا كان طلبا فالى الحقيقة المطلوبة يؤول ويرجع ، و إذا كان الخبر وعدا ، أو وعيدا ، فإلى الحقيقة المنتظرة يؤول ويرجع ، كما روي عنه ( صلى الله عليه وآله ) ، انه تلا هذه الآية : (**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا** () ) [١] ، قال : « إنها كائنة ولم يأتِ تأويلها بعد » [٢] .

وقد عُرف هذا الرأي في معنى التأويل عند ابن تيمية كما مرّ بنا ، وفيما نقل عنه محمد رشيد رضا ، والقاسمي ، دلالة على إفادتهم مباشرة منه ، يدلك على هذا ما جاء في عباراتهم يكاد يكون تصريحا به .

وهنا قد يثار السؤال حول أصالة هذا الرأي عند ابن تيمية ، وهل تفرد به من غير أن يسبقه فيه أحد وحقيقة الموقف إن ابن تيمية لم يكن هو السابق إلى هذا الرأي كما يذكر الشيخ محمد هادي معرفة [٣] . بل هو مسبوق إليه بزمن بعيد ، إذ وجدنا هذا الرأي قد اختاره السيد الشريف الرضي ( ت ٤٠٦هـ ) في كتابه حقائق التأويل ، إذ قال فيه « إن ابا علي الجبائي يجعل المراد بالتأويل : مصائر الأمور وعواقبها » [٤] ، ثم يحتج لذلك بقوله تعالى : (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ** () ) [٥] ، أي مصيره وعاقبته ، لان أصل التأويل من قولهم : آل يؤول ، إذا رجع . ويقول : « إن مجاهدا قال في قوله تعالى : (**ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** () ) [٦] ، أنه سبحانه أراد

١ ـ الأنعام / ٦٥ .

٢ ـ محاسن التأويل ، محمد القاسمي ٤ / ٢٣ ـ ٢٤ .

٣ ـ ظ : تلخيص التمهيد ، محمد هادي معرفة ١ / ٤٦٤ .

٤ ـ حقائق التأويل ، الشريف الرضي ص ٨ .

٥ ـ الأعراف / ٥٣ .

٦ ـ النساء / ٥٩ .

بالتأويل ها هنا : الجزاء على الأعمال » [1] . وقال : « فهذا المعنى يلامح ما نحن في ذكره ، لأن الجزاء إنما الشيء الذي آلو إليه وحصلوا عليه » [2] .

وهذا المعنى في التأويل ذكره الماوردي ، فقال : « في التأويل وجهان ، أحدهما أنه التفسير ، والثاني : أنه العاقبة المنتظرة » [3] . والوجه الثاني مالت إليه المدرسة الحديثة في معنى التأويل ، وهو الذي قال به ابن تيمية بعد أكثر من أربع مائة سنة عن الجبائي ، وأكثر من ثلاث مائة سنة عن الشريف الرضي والماوردي .

وللسيد الشهيد الصدر فضل تعليق وزيادة من تعريف لتقريب المعنى المنتخب للتأويل ، وشارك الآخرين في شطره الآخر الذي خصصه لبيان الفائدة المترتبة على هذا المعنى المنتخب ، إذ قال : « فعلى هذا يكون معنى التأويل في الآية الكريمة هو ما أطلقنا عليه اسم تفسير المعنى ... فالتأويل جاء في القرآن الكريم بمعنى ما يؤول إليه الشيء لا بمعنى التفسير ، وقد استخدم بهذا المعنى للدلالة على تفسير المعنى لا تفسير اللفظ ، أي : على تجسيد المعنى العام في صورة ذهنية معينة » [4] .

ثم ينتقل إلى ذكر الفائدة المترتبة على هذا الاختيار ، فيقول : « إن اختصاص الله سبحانه والراسخين في العلم ، بالعلم بتأويل الآيات المتشابهة ، لا يعني أن الآيات المتشابهة ليس لها معنى مفهوم ، وأن الله وحده الذي يعلم بمدلول اللفظ وتفسيره ، بل يعني أن الله وحده الذي يعلم بالواقع الذي تشير إليه تلك المعاني ، ويستوعب حدوده وكنهه ، وأما معنى اللفظ في الآيات المتشابهة ، فهو مفهوم ، بدليل إن القرآن الكريم يتحدث عن إتباع مرضى القلوب للآيات المتشابهة ، فلو لم يكن لها معنى مفهوم لما صدق لفظ الإتباع هنا ، فما دامت الآية المتشابهة يمكن أن تتبع ، فمن الطبيعي أن

---

١ ـ حقائق التأويل ، ص ٩ .

٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٩ .

٣ ـ زاد المسير / ابن الجوزي ١ / ٣٠٢ .

٤ ـ علوم القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم ص ٢٥٢ .

يكون لها معنى مفهوم ، وكيف لا يكون لها معنى مفهوم ، وهي جزء من القرآن الكريم الذي أُنزل لهداية الناس ، وتبيان كل شيء ؟ » [1] .

ـ **الرأي الثاني :** ما ذهب إليه السيد الطباطبائي ، وكان له فيه تحقيق حسن حول مفهوم التأويل في هذا الصدد .

فقد وافق ابن تيمية على كون التأويل يشمل المحكم والمتشابه وان التأويل ليس من سنخ المدلول اللفظي ، بل هو أمر خارجي يبتني عليه الكلام ، واختلف معه في كل أمر خارجي مرتبط بمضمون الكلام حتى مصاديق الأخبار الحاكية عن الحوادث الماضية والمستقبلية تأويل للكلام ، وفي حصر المتشابه الذي لا يعلم تأويله في آيات الصفات وآيات القيامة ، ثم يصل الطباطبائي بعد عرضه ورده على الآراء التي طرحت حول التأويل إلى ما رتبه من معنى للتأويل ، فيقول : « إن الحق في تفسير التأويل أنه الحقيقة الواقعة التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم ، وموعظة ، أو حكمة ، وأنه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها ، وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ ، بل هي الأمور العينية المتعالية من أن تحيط بها شبكات الألفاظ ، وإنما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب تضرب ليقرب بها المقصد ، وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع كما قال تعالى : (**وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ () إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ () وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ()** ) [2] » [3] .

---

١ ـ علوم القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم ص ٢٥٣ .

٢ ـ الزخرف / ٢ ، ٣ ، ٤ .

١ ـ الميزان ٣ / ٥٧ .

فاختار بذلك صاحب الميزان معنى هو الأقرب إلى التصور المثالي ، فهذه المعاني هي حقائق معنوية ، علاقتها بالقرآن الكريم علاقة متينة كعلاقة الروح بالجسد ، وليس هي ألفاظ مفرّقة أو مقطّعة ، ولا المعاني المدلول عليها بها ، أي : أن خلف هذا القرآن الكريم قران آخر ، وكتاب آخر ، وهي معاني مجردة في أم الكتاب [1] .

وقد تردد محمد هادي معرفة في التوافق مع السيد الطباطبائي الذي كان قد لخص كلامه في بيان التأويل بالقول : « التأويل في عرف القرآن الكريم هو الحقيقة التي يتضمنها الشيء ، ويؤول إليها ، ويبتنى عليها ، كتأويل الرؤيا ، وهو تعبيرها ، وتأويل المحكم ، وهو ملاكه وتأويل الفعل ، وهو مصلحته وغايته الحقيقية ، وتأويل الواقعة وهو علتها الواقعية ، وهكذا » [2] .

وهنا يقول محمد هادي معرفة « لو كان اقتصر على ما لخصه أخيرا من جعل ملاكات الأحكام والمصالح والغايات الملحوظة في التشريعات والتكاليف تأويلا ، أي : أصلا لها ، ومرجعها الأساسي لكل ذلك المذكور ، لأمكننا موافقته » [3] .

ومن اعتراضات معرفة على المحقق الطباطبائي :

ـ أنه توسع ، وفرض من تأويل آي القرآن الكريم كلها أمرا بسيطا .

ـ وأنه قد فرض من القرآن الكريم ، وجودين ، وجودا ظاهريا يتشكل في عبارات وألفاظ ونصوص ذوات مفاهيم معروفة ، أي ما ألفه الناس من طوال عهد الإسلام.

ـ ووجودا آخر باطنيا ، وهو الوجود الحقيقي الأصيل الذي لا تناله العقول والأحكام والأوهام .

---

٢ ـ ظ : الميزان ٣ / ٦٣ . وظ : تلخيص ذلك كله في أصول التفسير والتأويل ، كمال الحيدري ص ٢٦٤ .

٣ ـ التفسير والمفسرون ١ / ٣٦ .

٤ ـ المصدر نفسه ١ / ٣٦ .

ويذهب محمد هادي معرفة إلى أن القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وهذا هو القرآن الكريم المتداول بين أيدي المسلمين لا بكتاب مكنون عند الله محفوظ لديه في مكان عليّ لا تناله الأيدي والأبصار . والذي يبتغيه أهل الزيغ لأجل الفتنة هو تفسير الآيات على غير وجهها [1] .

ويميل الباحث ـ وفق ما تقدم من مداخلات العلماء إلى ما ذهب إليه محمد هادي معرفة بوصف مداخلته على رأي السيد الطباطبائي ، إيضاحا للنص وإغناءً لعمقه وتشعيبا لمناحي المعرفة في فكر المحقق الطباطبائي .

وعلى هذا نرى أن القيم والحكم التي تمثل الهدف الأساس من النص أو الكلام هي الحقيقة التي يتكئ عليها النص ومهما كان نوعه ، فكيف يُحكى على أنها معان مجردة لا تحيطها حتى شبكة الألفاظ ، ولا تدركها العقول ، والقرآن الكريم صريح في إنزال هذه الحكم كما جاء في قوله تعالى : (**ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ**) ( ) [2] .

## المبحث الثاني : اتجاهات فهم التأويل لدى العلماء :

---

١ ـ التفسير والمفسرون ١ / ٣٩ .

٢ ـ الإسراء / ٣٩ .

سنقف في هذا المبحث على مسألة لطالما كانت موضع بحث وتفسير بين العلماء تتصل بمنطوق قوله تعالى : (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّـهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** () ) [١] ،فإن منشأ النظر في هذه الآية منصب على قوله تعالى : « والراسخون في العلم » هل هو كلام مبتدأ ومستأنف أو هو معطوف على قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله ». ومعلوم أن الوقف والابتداء في القرآن الكريم له دور مهم وأساس في تحديد معنى الآية ، وبيان وجهتها ومقصدها ، وحسبنا في هذا المقام أن المفسرين قد ذهبوا باتجاهين رئيسين ، هما :

**ـ الاتجاه الأول : اتجاه العطف بـ ( الواو ) :**

ويرى أن قوله تعالى : ( والراسخون في العلم ) معطوف على قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله » وعلى هذا يكون تفسير الآية ، أن الراسخين في العلم ، يعلمون المتشابه في القرآن الكريم ، ويعضد هذا الرأي ويؤيده كثير من الأحاديث منها ، ما رواه ابن ابي عمير بسنده عن أبي جعفر ( عليه السلام ) قال : « إن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) أفضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلّمهُ تأويله ، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه » [٢] . وقد قال ابن عباس : « أنا من الراسخين في العلم اللذين يعلمون تأويله » [٣] ، وقد صدق في كلامه ، لأن الرسول الكريم ( صلى الله عليه

---

١ ـ آل عمران / ٧ .

٢ ـ ظ : تفسير القمي ، علي بن إبراهيم ١ / ٩٦ .

٣ ـ تفسير المنار / محمد رشيد رضا ٣ / ١٨٢ .

وآله ) دعا له بالقول : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » [1] ، وبما انه ورد هذا المصدر المتواتر الرواية ، فاني أميل إلى هذا الرأي .

إذ قال مجاهد : « عرضتُ المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره أقفه عند كل آية وأسأله عنها »[2] ، « وتواترت النقول عن أنه تكلم عن جميع معاني القرآن الكريم، ولم يقل عن آية ، أنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله » [3] . وصحح النووي هذا القول مستندا على صحته ، بأنه يبعد أن يخاطب سبحانه عباده بما لا سبيل إلى أحد من الخلق إلى معرفته [4] .

ورجح ابن فورك [5] : أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل ، وقد أستند على قول ابن عباس ، المتقدم ، ما يبين لك ذلك . وأن تسميتهم راسخين ، يقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب ، وفي أي شيء رسوخهم ، إذا لم يعلموا ما يعلم الجميع [6] .

وتعزيزا لما سبق ، يذهب أبو جعفر النحاس في كتابه إعراب القرآن الكريم إلى تفسير قوله تعالى : (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ()** ) بأنها عطف على الله عز وجل ، وقال : وهذا أحسن ما قيل فيه ، وعلل ذلك ، لأن الله مدحهم

---

١ ــ رواه احمد في المسند ٣٣٥/١، والحاكم في المستدرك ٦١٥/٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٧٦ : رواه احمد والطبراني .

٢ ــ تفسير المنار / محمد رشيد رضا ٣ / ١٨٢ .

٣ ــ المصدر نفسه ٣ / ١٨٢ .

٤ ــ ظ : الاتقان ــ السيوطي ٢ / ٤ .

٥ ــ هو احمد ابن موسى بن مردويه بن فورك ، أبو بكر حافظ الاصبهاني ، كان عالما حافظا ثقة له كتب في التفسير والتاريخ ، وغيرها . ظ : المنتظم : ابن الجوزي ٧ / ٢٩٤ ، وطبقات المفسرين ، الداوودي ١ / ٩٣ .

٦ ــ ظ : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٤ /١٥ .

بالرسوخ في العلم ، فكيف يمدحهم وهم جهّال [1] . ويتفق البحث مع هذه الرؤية إذ يقول الكليني في الكافي : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ هو الذي أرجع الأمة إلى القرآن الكريم، إذا ما التبست عليهم الأمور كقطع الليل المظلم فيما إذا يرجعون إذا التبس عليهم القرآن الكريم ذاته [2] ، وقد تحدث العلماء عن الراسخين في العلم ووصفهم .

فقد رأى الطوسي : أن الراسخين في العلم يعلمون كثيرا من متشابه الكتاب وإحكامه ، ثم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا [3] .

ومفاد قوله سبحانه : (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** () ) عند الزمخشري ، أي : « لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم ، أي : ثبتوا فيه ، وتمكنوا ، وعضّوا فيه بضرس قاطع » [4] .

والى هذا المعنى ذهب الطبرسي ، من ان الراسخين في العلم يعلمون التأويل ، وان الصحابة والتابعين قد اجمعوا على تفسير جميع آي القرآن الكريم ولم يؤثر عنهم انهم توقفوا عن شيء منه لم يفسروه ، بأن قالوا : هذا متشابه لا يعلمه إلا الله [5] .

وعضّد ذلك الزركشي فالمسألة عنده تؤول إلى أن الله لم ينزل شيئا من القرآن الكريم إلا لينتفع به عباده ، ولا يسوغ لأحد أن يقول ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ لم يعلم المتشابه ، فإذا جاز أن يعرفه الرسول ـ صلوات الله عليه وآله ـ مع قوله : « وما يعلم تأويل إلا الله » جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته ، والمفسرون

---

١ ـ ظ : إعراب القرآن ص ١٤٧ .

٢ ـ الكافي ٢ / ٥٩٨ .

٣ ـ ظ : التبيان ، الطوسي ٢ / ٤٠٠ .

٤ ـ الكشاف ، الزمخشري ١ / ٣٣٣ .

٥ ـ ظ : مجمع البيان ٢ / ٤٧٠ . وظ : بحار الأنوار ، المجلسي ٦٦ / ٣٥٠ .

من أمته ، ألا ترى أن ابن عباس كان يقول أنا من الراسخين في العلم ، ولو لم يكن هناك حظ للراسخين في العلم من المتشابه إلا أن يقولوا ( آمنا ) لم يكن لهم فضل على الجاهل لأن الكل قائلون ذلك ، ولم نر نحن المفسرين إلى هذه الغاية توقفوا عن شيء من القرآن الكريم ، فقالوا : هذا متشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، بل أمروه على التفسير ، حتى فسّروا الحروف المقطعة [1] ، يرد قول الزركشي لأن الحروف المقطعة من المتشابه الذي توكل علمه الله سبحانه وتعالى .

خلاصة القول : أن التأويل أعطاه الله سبحانه وتعالى هبة للبشر ، لأنه يحرك دوائر المعنى ويزيد من التامل ، وعنده تتباين درجات الرقي العقلي ، وهذا أمر منطقي فلماذا لا يُقر بأن نفرا يفقهوا التأويل ما دامت هناك دلالات ودوال تعين في الوصول إلى الحقيقة على اختلاف مضارب هذه الدوال ، سواء كانت لغوية ، أم عقلية ، أم بيانية .

## ـ الاتجاه الثاني : الوقوف على لفظ الجلالة في الآية :

ويرى أن الوقف يكون على قوله تعالى : (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ()** ) [2]، ومن ثم فان قوله تعالى : « والراسخون في العلم » كلام مبتدأ ومستأنف والمعنى على هذا أن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يوكلون علمه إلى الله سبحانه ، وهم مؤمنون به ، وقد أيد أصحاب هذا الرأي ما ذهبوا إليه بما رواه البخاري من حديث عائشة ، قالت : « تلا رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ هذه الآية (**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ()** ) [3]

---

١ ــ ظ : البرهان في علوم القرآن ٢ / ٧٢ ــ ٧٣ .

٢ ــ آل عمران / ٧ .

١ ــ آل عمران / ٧ .

قالت : « قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ « فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمّى الله فاحذرهم »»» [١] .

قال الطبري : « المحكم من آي القرآن الكريم ما عرف العلماء تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره ، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، والراسخون في العلم يقولون : « آمنا به كل من عند ربنا ، لا يعلمون ذلك ، ولكن فضل علمهم في ذلك على غيرهم : العلم بأن الله العالم بذلك دون سواه من خلقه ، وهذا ما ذهب إليه كثر من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، إلى أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه » [٢] .

واستند الجمهور إلى أمور منها :

ــ ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ، والحاكم في مستدركه ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ : « وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به » . وقيل : إن هذه الرواية لم تثبت بها القراءة لعدم تواترها ومخالفتها لخط المصحف ولكن عوّل عليها كونها عن ابن عباس ، ترجمان القرآن الكريم. ويؤيد ذلك أن الآية دلّت على ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ ، وابتغاء الفتنة ، وقد أُثني على الذين فوّضوا العلم إلى الله وآمنوا بما أنزل محكمه ومتشابهه [٣] .

وبناء على رأي الأكثرية كما يدّعون في تفسير الآية ، تكون ( الواو ) في قوله تعالى : « والراسخون في العلم يقولون » للاستئناف ، وما بعدها جملة مكوّنة من

---

٢ ــ صحيح البخاري ، ٥ / ١٦٦ ، وصحيح مسلم ، ٨ / ٥٧ .

٣ ــ جامع البيان ، الطبري ٣ / ١٧١ .

٤ ــ ظ : الاتقان ، السيوطي ٣ / ٥ ــ ٨ .

مبتدأ وخبر ، وتكون ( الواو ) على رأي غيرهم للعطف وهو خلاف ما ذهب إليه جمهور أهل العلم [1] .

وعلماء الوقف والابتداء ينصّون على أن الوقف في الآية يكون عند قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله » ثم يستأنف ــ على رأيهم ــ القارئ بعد ذلك قراءته ، بقوله : « والراسخون » [2] .

وعلى أساس الحقيقة القائلة ــ كما هم يعتقدون ــ بأن في القرآن الكريم آيات متشابهة لا يعلم تأويلها إلا الله،فأهل التفسير جعلوا القرآن على أوجه ثلاثة [3] .

ــ **الأول :** ما لا سبيل للوصول إلى تأويله ، وهو ما استأثر الله بعلمه ، وحجب ذلك العلم عن خلقه .

ــ **الثاني :** ما لا يوصل إلى تفسيره إلا ببيان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ .

ــ **الثالث :** ما كان علمه عند أهل العلم باللسان الذي نزل به القرآن الكريم.

والذي يلحظ من هذه الأوجه أنها مستقاة من قول ابن عباس الذي ذكر أربعة وجوه للقران الكريم . قال :

ــ وجه تعرفه العرب من كلامها .

ــ وتفسير لا يعذر أحد بجهالته .

ــ وتفسير يعلمه العلماء .

ــ وتفسير لا يعلمه إلا الله [4] .

---

١ ــ ظ : جامع البيان ، الطبري ٣ / ١٨٢ . وظ : الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي ٤ / ١٦.

٢ ــ إيضاح الوقف والابتداء ، أبو بكر الانباري ٢ / ٥٦٥ .

٣ ــ ظ : جامع البيان ، الطبري ١ / ٣٢ ، ٤١ ، والاتقان ، السيوطي ٤ / ١٩١ .

٤ ـــ ظ : جامع البيان ، الطبري ١ / ٣٤ . وفهم القرآن ، الحارث المحاسيبي ص ٣٢٩ . والبرهان ، الزركشي ٢/ ١٦٤ .

وقد حصلت ردود على هذا الاتجاه نـُظهر منها ما ناقشه البغوي من اختلاف العلماء في الآية « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » ، عارضا آراءهم ، إذ يقول : « إن ( الواو ) واو العطف وعلى هذا يكون تأويل المتشابه معلوما عند الله والراسخين في العلم ، ومع علمهم يقول الراسخون ( آمنا به ) فتكون كلمة ( يقول ) حالا ، أي مع علمهم قائلين آمنا به ، ويحتج بقوله تعالى : (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ** () ) [١] ، إلى أن قال : (**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ** () ) [٢] ، ثم قال : (**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ** () ) [٣] ، وهذا عطف على ما سبق ، ثم قال : (**يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا** () ) [٤] ، أي : مع استحقاقهم يقولون ربنا اغفر لنا ، أي : قائلين على الحال ، ومرجع ذلك عنده ما ذكره ابن عباس من أنه قال : أنا من الراسخين في العلم ويعلم تأويله [٥] .

يقول البغوي : أن الاقييسة في العربية وأشبهه بظاهر الآية أن تكون ( الواو ) في قوله : ( والراسخون ) واو الاستئناف ، وتم الكلام عند قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله » ، وينسب البغوي هذا القول إلى أُبي بن كعب ، وعائشة ، وعروة بن الزبير ، ورواية طاووس عن ابن عباس ، وبه قال الحسن وأكثر التابعين ، والمختار من الكسائي والفراء والاخفش ، وقالوا : لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله ، على أن البغوي يرى رأيا آخر وهو جواز أن يكون في القرآن الكريم تأويل استأثر الله بعلمه ، ولم يطلع أحد من خلقه ، كما أستأثر بعلم الساعة ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدجال ، وغيرها ، والخلق متعبدون بالمتشابه بالإيمان به . وأما المحكم ،

---

١ ـ الحشر / ٨ .

٢ ـ الحشر / ٩ .

٣ ـ الحشر / ١٠ .

٤ ـ الحشر / ١٠ .

٥ ـ ظ: معالم التنزيل ، البغوي ١ / ٢٨٠ .

فبالإيمان بـه والعمل . وعند الرجوع إلى المصادر التي ذكرها البغوي تحقق قولـه عنهم [١] .

والمختار عند الرازي ترجيح رأي الوقف والابتداء في قولـه : « واختلف النـاس في هذا الموضع ، فمنهم من قال : تم الكلام ها هنـا « ومـا يعلم تأويلـه إلا الله » ، ثم ( الواو ) في قولـه : « والراسخون في العلم » واو الابتداء وعلى هذا القول : لا يعلم المتشابه إلا الله ، وهذا قول ابن عباس ، وعائشة ، ومالك بن أنس ، والكسائي ، والفراء ، ومن المعتزلة قول أبي علي الجبائي، وهو المختار عندنا » [٢] .

والذي يدل على صحة ما اختاره الرازي حسب رأيه حجج ذكر منها :

ـ إذا كان هناك معنى راجح ثم اتضح بأن هناك دليلا على أن الظاهر غير المراد عُلِم أن مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة ، وهذه المجازات كثيرة ، وترجيح بعضها على بعض لا يكون إلا بترجيحات لغوية ، وهذه الترجيحات تفيد الظن الضعيف ، فإن كانت المسألة قطعية يقينية ، فالقول فيها بالدلائل الظنيـة الضعيفة غير جـائز ، ويضرب لهذا مثلا ، قوله تعالى : (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** () ) [٣] ، فالدليل يمتنع أن يكون إلها في المكان ، فظاهر هذا الآية ليس مراد الله تعالى ، كما أن فيها مجـازات كثيـرة ، وترجيح بعضها على بعض عن طريق الترجيحـات اللغويـة الظنية والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز ، وهذا محط إجماع المسلمين حسب رأيه ، وقد ناقش الرازي آراء ، منها :

---

١ ـ ظ : معالم التنزيل ، البغوي ١ / ٢٨٠ .

٢ ـ مفاتيح الغيب ٧ / ١٩٠ .

٣ ـ طه / ٥ .

ــ أن طلب تأويل المتشابه مذموم على وفق قوله تعالى : (**الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ()** ) [1] ، إذ لو كان طلب التأويل جائزا لما ذم الله ذلك .

ــ وكذلك قوله ان الله قد قسّم الكتاب إلى محكم ومتشابه ، ودلّ العقل على صحة هذه القسمة من حيث أن حمل اللفظ على معناه الراجح هو المحكم وحمله على معناه غير الراجح هو المتشابه ، وقد تقدم أن الله قد ذمّ طريقة طلب تأويل المتشابه ، كأن قيد ذلك الذم ببعض المتشابه دون بعض تركا للظاهر ، وهذا مما لا يجوز . ويلحظ من هذا الكلام أنه كان ردا على من يسأل عن وقت قيام الساعة (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ()** ) [2] . وطلب مقادير الثواب والعقاب وغيرها ، لكننا وجدنا في مكان آخر أن الله سبحانه قد مدح الراسخين في العلم بقولهم ( آمنا به ) فهؤلاء الراسخون لو علموا بتأويل ذلك المتشابه لما كان لهم في الإيمان به مدح وعلة ، ذلك أن كل من عرف شيئا على سبيل التفصيل لا بد وأن يؤمن به .

ــ أنه لو كان قوله : « والراسخون في العلم » معطوفة على قوله « إلا الله » لصار قوله : « يقولون آمنا به » ابتداء ، وهذا بعيد عن ذوق الفصاحة فالأولى أن يقال : وهم يقولون آمنا به ، أو يقال : يقولون آمنا به .

ــ أنهم في قوله : « كل من عند ربنا » ، أي : أنهم آمنوا بما عرفوه على التفصيل وبما لم يعلموا تفصيله و تأويله ، إذ لو كانوا عالمين بالتفصيل في الكل لم يبق لهذا الكلام فائدة [3] .

---

١ ــ آل عمران / ٧ .

٢ ــ الأعراف / ١٨٧ .

١ ــ ظ : مفاتيح الغيب ، الرازي ٧ / ١٩١ ــ ١٩٢ .

وقد أختلف المحدثون في هذه المسألة مثلما أختلف الأقدمون . ومن ردود المحدثين من العلماء على الاتجاهين ومناقشتهم ، ردود الشيخ محمد عبده الذي أورد الاتجاهين وأدلة كل منهما مشيرا إلى سوء الفهم عند بعض المفسرين الذين التبس عليهم فهم المحكم والمتشابه واختلطت عندهم المسائل .

يقول :« أن المتشابه ما هو خاص علمه عند الله سبحانه كعلم الساعة والآخرة ، ونحوها ، وهناك متشابه في الأحكام الإلهية المتشابهة النازلة للبشر التي أطلع رسله وأولياءه على مضمونها .وقد مثل لذلك ببعض ما ورد بسورة النساء / ٥٤ـ ٥٩، والأعراف / ٥٧ ويونس / ٣٩ ويوسف / ٣٦ والإسراء / ٢٥ ،الكهف / ٧٨ ــ ٨٢ ، وفيها من الآيات التي تؤكد أن الله أطلع رسله وأولياءه على معرفة المتشابه من الكتاب ، والأحكام ، وان الراسخين في العلم يستطيعون تأويل المتشابه »[١]، وقد أبدع الشيخ في هذا التحليل ، بقوله :

« والقرآن كله مفهوم إن اشتبه منه شيء على بعض الناس علمه غيرهم »[٢] ، واحتج لرأيه هذا بما قاله ابن تيمية في تفسير سورة الإخلاص ما معناه : المقصود هنا لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاما لا معنى له كما يقول ذلك من يقول من المتأخرين ، وهذا القول يجب القطع بخطئه سواء أكان تأويل القرآن الكريم لا يعلمه الراسخون ، أم كان للتأويل معنيان يعلمون أحدهما ولا يعلمون الثاني .

والسلف قال كثير منهم أنهم يعلمون تأويله [٣] .

واستدل ابن تيمية من القرآن الكريم بقوله تعالى : (**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ()** ) [١] ، قال : وهذا يعم الآيات المحكمات والمتشابهات ، وما لا يعقل

---

٢ ـ المصدر نفسه ٣ / ١٧٢ .

٣ ـ تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٣ / ١٧٢ .

١ ـ ظ : التفسير الكبير ، ابن تيمية ٢ / ٩٤ . وظ : تفسير القاسمي ، محمد جمال الدين ٤ / ٧٥٢.

له معنى لا يتدبر [٢] . وليس هذا معناه أن الشيخ محمد عبده وابن تيمية ، ومحمد رشيد رضا انفردوا بهذا الرأي من مفسري السنة بل هناك كثير من المفسرين ـ قدماء ومحدثين ـ يذهبون إلى ذلك ، ومنهم الزمخشري الذي أوردنا قوله في المسألة آنفا، وقد ذكر المسألة دون تردد ، وحتى دون أبداء الرأي الثاني [٣] .

ـ رأي محمد جواد البلاغي ، وهو من أشهر علماء الإمامية وأحد أبرز مفسريهم المتأخرين ، وله باع في البحث والتصدي لهذه المسألة في تفسيره : آلاء الرحمن ، إذ ناقش أدلة النافين لعلم الراسخين في المتشابه ، وأوضح ، أن اختصاص الله تعالى بعلم الآخرة ، وشؤون يوم القيامة خارج عن محل الخلاف وأن غلطا ارتكب في تحديد المتشابه ، وأكد أن محل الخلاف الذي أشار إليه ابن عباس بتقسيمه التفسير إلى أربعة أقسام هو ما عناه ابن عباس بقوله : " تفسير تعلمه العلماء " [٤] .

وكذلك رد الشيخ البلاغي على المحتجين بالقراءة ، ثم أورد الرأي الذي يعطي للراسخين في العلم حق معرفة المتشابه ، فقال : إن حجته دلالة العقل والنقل الصحيح من الفريقين ، وسياق القرآن الكريم ، أما دلالة العقل ،فإن المتشابه المشار إليه ، والى وجوه تشابهه الذي يتبعه ويطلبه الزائغون عن الحق وابتغاء الفتنة في أمر الدين ونظام المِلة وأحكام الشريعة ، وهو في القرآن الكريم كثير جدا ، ومما لا يصح في العقل من هذه الكثرة يحرّم الله من تأويله والعلم به ، رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وأوصياءه من بيته ، وعلماء أمته ، فيكون القسم الكبير من القرآن الكريم لا فائدة

---

٢ ـ ص / ٢٩ .

٣ ـ ظ : التفسير الكبير ، ابن تيمية ٢ / ٩٤ . وظ : تفسير القاسمي ، محمد جمال الدين ٤ / ٧٥٢ .

٤ ـ ظ : الكشاف ، الزمخشري ١ / ٣٣٣ .

٥ ـ ظ : آلاء الرحمن ، الشيخ البلاغي ١ / ٢٥٦ . وظ : مفاتيح الغيب ، الرازي ٧ / ١٩٠ .

من تنزيله للبشر ، حتى رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ وليس له سوى صدى ألفاظ وسواد حروف .

وأما عن طريق النقل ففي تفسير القمي عن الباقر ــ عليه السلام ــ قال : إن رسول الله أفضل الراسخين في العلم ، وقد علم جميع ما أنزل في القرآن الكريم من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلـّمْه تأويله ، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله [1] .

وأما سياق القرآن الكريم، فإن تمجيد الراسخين في العلم بهذا التمجيد السامي والصفة الفائقة إنما يناسب عطفهم في مقام العلم بالتأويل ورسوخهم فيه ، ومدحهم في الإيمان بمؤداه على بصيرة من أمرهم [2] . وقد أمتلك هذا الرأي ، الحجة والامتناع منطقيا وعقليا بقيامه على الأسس الثلاثة « العقل ، والنقل ، والسياق » ، فأكمل بعضها بعضا برهانا وترابطا دلاليا .

ــ ردود محمد هادي معرفة على ما جاء في رأي الرازي وحججه السالفة ، يقول : ليس كل من عرف الحق استجاب له وأذعن إليه مستندا إلى قوله تعالى : (**يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَـهَا** () ) [3] ، وعزز حجته بقول البيضاوي « مدح الراسخين في العلم بجودة الذهن وحسن النظرة ، إشارة إلى ما استعدوا للاهتداء به إلى تأويله ، وهي تجرد العقل من غواشي الحس » [4] .

وأضاف محمد هادي معرفة في رده : التقيد بالجملة الحالية هنا ، جاء إلى نكتة دقيقة ، هي : أن المتشابه ، متشابه على كل من العالم والجاهل سوى أن العالم بفضل علمه بمقام حكمته تعالى ، يجعل من المتشابه موضع تأمله ، ودقيق نظره ، وبذلك

---

١ ــ ظ : تفسير القمي ، علي بن إبراهيم ١ / ٩٦ .

٢ــ ظ : آلاء الرحمن ، الشيخ البلاغي ١ / ٢٥٦ .

٣ ــ النحل / ٨٣ .

١ ــ أنوار التنزيل ، البيضاوي ٢ / ٥ .

يتوصل إلى معرفة تأويله الذي أراده الله تعالى ، وأستأنف كلامه أيضا من أن الراسخين في العلم بفضل ثباتهم على الحق ، وصدق عقيدتهم ، سوف يهتدون إلى معرفة تأويل المتشابه ، كما أراد الله ، ويكون قولهم « آمنا به كل من عند ربنا » مقدمة لطلب الحقيقة ونقطة باعثة نحو البحث عن طريق التحقيق والفحص [1] .

وهذا هو عينه ما قاله الشيخ محمد عبده من أن دلالة قولهم « آمنا به كل من عند ربنا » على التسليم المحض ، فهو لا ينافي العلم وقد سلموا بالمتشابه في ظاهره لعلمهم باتفاقه مع المحكم ، ورسوخهم في العلم وثباتهم على حق اليقين فأصبحوا لا يضطربون ولا يتزعزعون بل يؤمنون بهذا وذلك ، لأن الكل هو من عند الله تعالى عكس الجاهل ، فهو في اضطراب دائم ، ومن اطلع على ينبوع الحقيقة لا تشتبه عليه المجاري [2] .

ورد محمد هادي معرفة على وجه آخر من الوجوه التي عرضها الرازي ذاهبا إلى القول : إن الرازي عندما قصر التأويل على الله تعالى بقوله : أن العطف بعيد عن ذوق الفصاحة ، وقد رد عليه معرفة بالقول : إذا كان للرازي منزلة في مجال الحكمة والعلوم العقلية فإن ذلك بالمرتبة نفسها أبعده عن عالم الأدب أللسني والعلوم النقلية لا سيما أنه لم يذكر سبب الاستذاقة الغريبة . وقد أستدل محمد هادي معرفة في رده على قول الرازي بكلام أئمة الأدب في ترجيح العطف على الاستئناف ، وفيه أدلة من الشعر تؤكد ذلك ، كما ورد في قول يزيد بن المفرغ الحميري [3] :

**فالريح تبكي شجوها     والبرق يلمع في غمامة**

---

٢ ـ ظ : التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة ص ٤٢ .

٣ ـ ظ : المصدر نفسه ص ٤٣ . وظ : تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٦٧ .

١ ـ البيت في الأغاني ، لأبي فرج الأصفهاني ١٧ / ١١٢ ط / بيروت وفي وفيات الأعيان ، ابن حلكان ٦ / ٣٤٦ برقم ٨٢١ . وغرر الفوائد ، الشريف المرتضى ١ / ٤٤٠ .

قوله : ( والبرق ) عطف على ( فالريح ) للتشريك معه في البكاء و ( يلمع ) : حال من المعطوف ، أي : ويبكي البرق أيضا في حال كونه لامعا ، إذن : فلا غرو أن تكون ( آمنا به ) جملة حالية موضحة لحال الراسخين [1] .

● أشار السيوطي باختصاص المعرفة في التأويل بالله ــ جل وعلا ــ ونسب هذا القول إلى أكثرية أهل السلف من السنة ، حيث قال : « وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، ومن بعدهم خصوصا أهل السنة ، فذهبوا إلى الثاني ، أي بأن التأويل لا يعلمه الا الله » [2] . وقد لقي هذا القول تشكيكا واتهاما بالمبالغة على ما راى فيه محمد هادي ، بعد مراجعاته لأقوال أهل السنة ، لا سيما ابن تيمية الذي أحتج به على السيوطي ، إذ يقول ابن تيمية : « قول القائل : إن أكثر السلف على أن التأويل لا يعلمه إلا الله ، قول بلا علم ، فلم يثبت عن أحد من الصحابة ، أنه قال : أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه ، بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون » [3] .

وكان ابن تيمية قد قال قبل ذلك على ما زعم محمد هادي معرفة : « إن السلف قد قال كثير منهم يعلمون تأويله ، منهم مجاهد ــ مع جلالة قدره ــ والربيع ابن أنس ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، وابن عباس .... وقد تكلم أحمد بن حنبل في تأويل كثير من آيات متشابهة ...إلى أن يقول : وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة ، منهم ابن قتيبة ، وابو سليمان الدمشقي » [4] .

---

٢ ــ ظ : التمهيد ، محمد هادي معرفة ص ٤٤ .

٣ ــ الاتقان : ٤/٢ .

٤ ــ المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٧٤ . وظ : التمهيد ، محمد هادي معرفة ٣ / ٤٤ .

١ ــ المنار ، محمد رشيد رضا ٣ / ١٧٤ . وظ : التمهيد ، محمد هادي معرفة ٣ / ٤٤ .

وفي هذا الصدد يقول الطبري : « إن جميع ما أنزل الله من آي القرآن الكريم على رسوله ( صلى الله عليه وآله ) فإنما أنزله عليه بيانا له ولأمته ، وهدى للعالمين ، وغير جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه ، ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجة ، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل » [١] . وبهذا الاتجاه أيضا يذكر الراغب في مقدمة تفسيره من أن عامة المتكلمين يذهبون إلى أن كل القرآن الكريم يجب أن يكون معلوما ، وبخلافه تبطل فائدة الانتفاع به ، وحملوا قوله : ( والراسخون ) أنه عطف على قوله : ( إلا الله ) ، ويقوي رأيه هذا بقراءة ابن مسعود ، قوله ( يقولون ) : جملة حالية [٢]. وانتصر لهذا الرأي شيخ الاشاعرة أبو الحسن الأشعري ،و أبو إسحاق الشيرازي[٣].

والذي يظهر أن في المسألة إشكالا في فهم المراد بآية آل عمران إذ هناك من يذهب إلى أن الآية الشريفة تقصد تنويع آي القرآن الكريم إلى محكمات ومتشابهات ، وأن المحكمات إنما هي مراجع الأمة ، وأما المتشابهات فيذهب أهل الأهواء الفاسدة إلى تأويلها ولا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم ، وهذا هو بالذات فحوى الآية الكريمة على النحو الذي لا يمس الأمور السبعة التي استأثر الله بعلمها من مثل : خروج الدجال ، ونزول المسيح ، وطلوع الشمس من المغرب وغيرها من أشراط الساعة . إذ لا مساس لهذه الأمور بموضوع آية آل عمران . في حين عدّ آخرون هذه الأمور السبعة من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها ... وهنا يستبان الإشكال بين الفريقين .

---

٢ ــ جامع البيان ٣ / ١٦. وقد سبق من رأي الطبري موقف له من هذا المبحث ،أنه قال : ( أن المتشابه مما استأثر الله بعلمه دون الراسخين ، وهذا يناقض ما ذهب إليه هنا . ظ : التمهيد ، محمد هادي معرفة ٣ / ٤٥ .

٣ ــ ظ : مقدمة جامع التفسير ص ٨٦ . وظ : التمهيد ٣ / ٤٥ .

٤ ــ ظ : مباحث علوم القرآن ، صبحي الصالح ص ٢٨٢ .

يقول السيد الطباطبائي في إشارة إلى موضوع هذا الإشكال « والذي ينبغي أن يتنبه له الباحث في هذا المقام أن المسألة لم تخلُ من الخلط والاشتباه من أول ما دارت بينهم ، ووقعت موردا للبحث والتنقير ، فاختلط رجوع المتشابه إلى محكم ... » [١] .

على أن السيد الطباطبائي يذهب في موضع آخر إلى أن الآية موضع الخلاف لا تدل على تشريك الراسخين في العلم بالتأويل فيبقى الحصر المدلول عليه بقوله تعالى : (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ** () ) [٢] ، أي : انحسار العلم بالتأويل فيه تعالى واختصاصه به ، لكن هذا لا ينافي دلالة دليل منفصل يدل على أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه بإذنه من دليل منفصل آخر ... فقوله تعالى : (**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** () ) [٣] ، وقوله تعالى : (**إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ**() ) [٤] .

وقوله تعالى : (**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ** () ) [٥] ، فكل هذه الآيات دلّت على حصر علم المتشابه بالله تعالى لكن الله تعالى ، قال : (**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا () إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ...** () ) [٦] ، فأثبت ذلك لبعض من هو غيره وهو من ارتضى من رسول [٧]. وبالركون إلى قوله تعالى في آية ( الجن ) يتضح أنها من الحجج التي تقوّي من رأي القائلين بالعطف ، أي أن الراسخين يدخلون في

---

١ ــ الميزان ٣ / ٥٨ .

٢ ــ آل عمران / ٧ .

١ ــ النمل / ٦٥ .

٢ ــ يونس / ٢٠ .

٣ ــ الأنعام / ٥٩ .

٤ ــ الجن / ٢٦ ــ ٢٧ .

٥ ــ الميزان ٣ / ٦٠ .

بـاب معرفـة التأويـل ولعـل هـذا مـا يلمـح إلـى مـراد الطباطبـائي فـي عبارتـه « أن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه بإذنه من دليل منفصل آخر » « فالراسخون في العلم ، الثابتون فيه ، العارفون بدقائقه فهم يحسنون مواقع التأويل ويعلمونـه » [١]

.

يرى السيد السبزواري : الرسوخ : الثبوت والاستقرار والتحقيق ، ولـه مراتب كثيـرة كمراتـب أصـل الإيمـان بـالله ... والمنـساق مـن آيـة آل عمـران علـى رأي السبزواري أن الجملة معطوفة على لفظ الجلالة ، « لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » والراسخ في العلم منحصر بسيد الأنبياء ومن استقى منه هذا العلم . عن الإمام علي ـ عليه السلام ـ ، قال : « علمني رسول الله ألف بـاب من العلم يفتح كل باب ألف باب » [٢] . فالجملة ليست مستأنفة ، بل معطوفة ، من قبيل عطف البعض على الكل . إن العلم بالغيب من اختصاصه تعالى ، فلا إشكال عقلا ونقلا ، ولكن أنبيـاءه وأوليـاءه يـستلهمون بعـض ذلـك مـنهم ، ويعلنـون للنـاس إثباتـا لمقـامهم ، واحتجاجا على الخلق ، فليكن المقام كذلك [٣] .

يظهر مما تقدم من تحقيقات الأعلام ومواقفهم فيما يراه الباحث أنه لا مجال للقول بصحة من يذهب إلى أن المتشابه ما اختص الله بعلمه كله ، كما أن من قال بإخراج الراسخين في العلم من تأويل المتشابه ما هو إلا سوء فهم لتحديد معنى المتشابه ، أو تقليد دون تحقيق وليس أمام الباحث المدقق إلا القول بأن الراسخين في العلم ممن منّ الله عليهم ، يعلمون كثيرا من متشابه القرآن الكريم ، وهذا ما ذهب إليه كثير من المفسرين والمحققين ، فيقفون في ذلك على منزلة وسطى بين من يذهب إلى العطف

---

٦ ـ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ٣ / ٢٤ .

١ ـ علل الشرائع ، الشيخ الصدوق ١ / ١٥٩ .

٢ ـ ظ : مواهب الرحمن ٥ / ٣٨ ـ ٤١ .

، ومن يذهب إلى الاستئناف ، بقولهم : إن في تأويل المتشابه ما يعلمه العلماء ، وفيه ما لا يعلمه إلا الله تعالى كما ذهب إلى هذا الشريف الرضي : « فأما المحققون من العلماء ، فيقفون من ذلك منزلة وسطى وطريقة مثلى ، فلا يخرجون العلماء ها هنا عن أن يعلموا شيئا من تأويل القرآن الكريم جملة ، ولا يعطونهم منزلة العلم بجميعه والاستيلاء على قليله وكثيره ، بل يقولون إن في التأويل ما يعلمه العلماء وما لا يعلمه إلا الله تعالى ، من نحو تعيين الصغيرة ، ووقت الساعة ... » [1] ، إلى غير ذلك، وقد نسب هذا القول إلى الحسن البصري و إليه ذهب أبو علي الجبائي [2] ، والراغب الأصفهاني [3] .

---

٣ ـ حقائق التأويل ، الشريف الرضي ص ٨ .

١ ـ ظ : المصدر نفسه ص ٨ .

٢ ـ ظ : مفردات الراغب ص ٧٠ .

## المبحث الثالث : التأويل وآلياته :

للتأويل أهمية كبيرة في الوقوف على عمق النص القرآني وهو المتحصل من مراد الله تعالى بدعوته جلّ شأنه إلى التدبر كما جاء في التنزيل الكريم : (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ()** ) [1] .

إن التأويل هو الوجه الآخر للنص ، ولكن كثيرا من أصحاب السلطة أرادوا أن يصادروا الفكر الآخر ، وأن يصنفوا النصوص القرآنية لخدمة مصالحهم ، وتكريس سلطانهم .

ومن وجهة أخرى أكثر تحديدا نقول : إن التأويل يكشف عن الدلالة الخفية ( الباطنية ) للنص التي عمل عليها المؤوّل وأن علم التفسير يبدو من خلال هذا علما يجمع كل العلوم الممهدة للتأويل وهو يمثل جهد المؤوّل في صرف الآية إلى ما تحمله من المعاني وعلى هذا يكون التفسير آلية من آليات التأويل .

والتأويل الذي لا يعتمد على التفسير هو التأويل المكروه ، كما أكد ذلك نصر حامد ، ذلك لأن الاستنباط لا يعتمد على مجرد التخمين ، أو إخضاع النص لأهواء المفسر وآيديولوجيته ، مهما حسنت النوايا . وإنما لا بد أن يستند الاستنباط إلى حقائق

---

١ ـ محمد / ٢٤ .

النص الموجهة بإطارين هما : حقائق النص ، ومعطياته اللغوية [١] . ثم الانتقال بعد ذلك من الدلالة إلى المغزى من دون الوثوب إلى ( مغزى ) يتعارض مع دلالة النص. وعلى المؤوّل أن يكون على معرفة بعلوم اللغة ليتمكن من اكتشاف دلالة النص ، أي معرفة قوانين اللغة ليتمكن من تحليل معطيات النص تحليلا لغويا [٢].

وعليه فإن على المفسر أن يقف على الآتي :

● الوقوف عند علوم القرآن الكريم، وعلوم اللغة ، فيعتمد بالدرجة الأساس على الرواية القطعية الصدور ، وعلى جهد علماء اللغة المتخصصين . ذلك أن علوم القرآن الكريم لصيقة الصلة بالنص كونها تتناول النص من جوانبه المختلفة ، كما أن علوم اللغة مهمة لدراسة النصوص اللغوية ، ومنها النصوص القرآنية .

يقول الزركشي : « إن المركب لا يُعلم إلا بعد العلم بمفرداته لأنه جزء سابق على الكل » [٣] ، لأن معرفة علم اللغة تدرّ على المؤوّل أو المفسر كثيرا من الفوائد للإحاطة بمعنى النص ، فقد تكون البداية بالصيغة الصرفية ودلالاتها ، ثم العلم بدلالة الألفاظ المفردة على مدلولاتها . ومن ثم معرفة الاشتقاق والتصريف اللغوي ، وكل هذا يقع في إطار تفسير اللفظة المفردة ، فضلا عن دراسة قوانين النحو والإعراب ، ومن علوم اللغة التي لها السهم الأوفر في بيان معنى النص ، هو علم البلاغة بتقسيماته الثلاثة ( المعاني ، والبيان ، والبديع ) مقرونة بالدراسة والتتبع والإبداع ، والتدبر ، وبالتمكن منها تصبح لدى المؤوّل ملكة إكتشاف دلالة النص [٤] .

---

٢ ـ ظ : مفهوم النص ، نصر حامد أبو زيد ص ٢٢٩ .

٣ ـ ظ : المصدر نفسه ص ٢٩٢٥ .
١ ـ البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٧٣ .

٢ ـ ظ : مفهوم النص ، نصر حامد أبو زيد ص ٢٣٧ .

● فضلا عن معرفة أبعاد النص ، ففيه أبعاد دلالية أعمق وأكثر بعدا من الظاهر ، بها حاجة إلى حركة ذهنية وعقلية داخل النص ، لأن التأويل يساعد العقل على تخطى خطوط المعنى ودوائره ، وهذه العملية بحد ذاتها هي عملية تفعيل لدى العقل الإسلامي [١] ، ومن خلال سبر أغواره يحتاج المفسر إلى الوسيط . ومن هنا تتضح الحاجة إلى دور العلوم الدينية واللغوية بما يطلق على هذا مصطلح ( التفسرة ) الأمر الذي يدعوا إلى الكشف عن دلالة النص ، وهي ذات الدلالة التي ينطلق منها المؤوّل للغور في أعماق النص بواسطة حركة الذهن أو الاجتهاد غير الخاضع للهوى أو الأيديولوجية ، وينصبّ مفهوم الاجتهاد على التأويل في مجال الفقه لاستخراج الأحكام من النص ، وعلى وفق هذا فالتأويل يتسّع لكل أقسام النص ، ولا ينفرد بما هو غامض أو على درجة من الكثافة الدلالية .

والنص المحمل بالتأويلات المختلفة الدلالة ، يدل على أن النص يحتمل تعدد القراءات وحينها يكون ممهدا إلى ظهور التأويل ، ولكن قد ترجح أي من هذه التأويلات بالاستناد إلى الدليل أو الحجة التي بنيت عليها ، وتبقى جميعا علامة من علامات الإعجاز [٢] ، على أن التأويل « لا يقترن مع كل نص ، إنما مع النصوص الكثيفة المعاني ، والمتعدية في افكارها نطاق اللفظ ، وهي المرحلة التي تستثمر النص وتفسّره ، وتمتلك آليات على مستوى البرهان والكلية والشمول » [٣] ، علما إن استثمار الطاقات اللغوية في التأويل دائما هي سبل موصلة إلى طرق التفسير الخفي وهو المسار الثاني للتفسير الذي يأخذ التأويل مساحات واسعة منه وهو التفسير

---

٣ ــ ظ : د . صباح عباس عنوز ، البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التاويلية ، ص٢٧ (بحث) .

١ ــ ظ : مفهوم النص ، نصر حامد أبو زيد ص ٢٣٧ .

٢ ــ التأويل وتفسير النص : ( بحث ) د . عبد الأمير زاهد ــ مجلة السدير العدد / ٤ .

« الذي يتطلب إعمال الفكر للكشف عن المعنى البعيد للنص عبر فك رموز كثيرة من خطوط المعاني » [1] .

وبالعودة إلى نصوص الآيات الكريمة التي ذكرت لفظ ( التأويل ) نجد أنها لا تعني مجرد الكشف والإبانة عن المعنى اللغوي بل هي تعني شيئا آخر ، وهو ما تؤول إليه تلك المعاني من خلال كشف وتفسير المعنى الدلالي لتلك المعاني « لأن كل معنى عام حينما يجده العقل في صورة معينة تكون هذه الصورة تأويلا له » [2] .

فالتأويل الذي يدعو إليه القرآن الكريم، هو كشف الحقيقة للمعاني الخفية بأدلة العقول ، ولعلنا نجد مصداق ذلك في قول الشريف المرتضى : « ولا بد ، مع وضوح الأدلة على أن الله تعالى ليس بجسم واستحالة الانتقال عليه ــ الذي لا يجوز إلا على الأجسام ــ من تؤوّل هذه الظواهر والعدول عما يقتضيه صريح ألفاظها ، قَرُبَ أم بَعُدَ » [3] .

وقد أكّد هذا المعنى بعض من المتأخرين من العلماء : « وقد أستعمل القرآن الكريم التأويل للأمور الخفية الغامضة والتي يخفي ظاهرها ما ضمّ عليه باطنها من أمور محجبة وراء هذا الظاهر » [4] .

لقد كثر استعمال لفظ التأويل ــ بعد وروده في القرآن الكريم ــ عند البلاغيين والأصوليين والمتكلمين ، على نحو يتجاوز تأويل الأحلام والأحاديث إلى أمور لا تتكشف بواطنها إلا لمن منحه الله سبحانه علما في الخوض في أصل الأشياء ومعرفة أسبابها الحقيقية ، وعبر أدوات وآليات وتدبّر لتغطي حاجة المسلم إلى التأويل [5] .

---

٣ ــ د . صباح عباس عنوز ، البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التفسيرية ص ٢ .

٤ ــ ظ : تفسير سورة الحمد ، محمد باقر الحكيم ص ٢٧ .

١ ــ الأمالي ــ الشريف المرتضى ٢ / ٣٩٩ .

٢ ــ محاسن التأويل ، القاسمي ٤ / ٧٦٨ .

٣ ــ ظ : منهج التأويل في الفكر الصوفي ، نضلة الجبوري ص ١١ ــ ١٢ .

ويتحقق ذلك من خلال رد المتشابهات إلى المحكمات اعتمادا على أصول اللغة ومجالاتها التعبيرية ، كاعتماد الحقيقة أو المجاز عما يراد التعبير عنه .

ومن المعايير والضوابط المعتمدة في التأويل ، هي :

ا ـ موافقة التأويل لروح النص مستمدا منه عناصر قبوله على نحو لا يتعارض مع ما جاء به ، أو يتناقض مع ركائز العقيدة وأصولها " ويصار إلى التأويل في معاني النصوص التي لا تهرم في حالة الأخذ بها أساسا من أسس الشريعة " (١) .

ب ـ خضوع التأويل للأصول المنهجية من حجج وأدلة ومرجعيات من غير تأثر بالهوى أو الرأي أو الأيديولوجية " إذ أن التأويل يجب أن يستند إلى الحجج والأدلة والمرجعيات وليس الرأي القائم على الهوى " (٢) .

ج ـ وجوب استبعاد كل تأويل يخالف كتاب الله وضرورة الاستناد إليه واعتماد وجوه التأويل المشهود لها بالقرآن الكريم ، استنادا إلى مقولة أن القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضا " وكتاب الله مقدم على الأحاديث والروايات ، و إليه يُتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها فما قضى به ، فهو الحق من دون سواه " (٣) .

د ـ امتلاك المؤوّل معرفة التدبر وآليات التأويل لحقائق النص القرآني بما يؤهله فهم أي نص قرآني بما يوافق العلم بأحكام الشريعة ، وأصول اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وهذه من المعايير المعتمدة في تأويل النص . فأصول اللغة واستعمالاتها معيار مهم في تحديد منطلقات التأويل ، وانتزاع أصول العقيدة منها

---

٤ ـ الأمالي ، الشريف المرتضى ٢ / ٣٠٠ .

١ ـ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، د . عرفان عبد الحميد ص ٢٠٨ .

٢ ـ منهج المتكلمين في فهم النص القرآني ، د . ستار الأعرجي ص ١٧٧ .

لأن القرآن الكريم يحاكي أصول اللغة العربية ، وعلى وفق ذلك يكون سلاح اللغة أساسا في عملية التأويل لجهة كشف الدلالة [١] .

هـ ـ اعتماد الأخبار والروايات الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) والمعصومين ( عليهم السلام ) والصحابة ، باعتبار السنة شارحة للقران الكريم ، ملبية جميع الحاجات الإنسانية ، مبتعدة عن الاختلاف كما جاء في قوله تعالى : (**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ()** ) [٢] . وما أكده الرسول ( صلى الله عليه وآله ) من التمسك بالقرآن الكريم، والأخذ به ، وعرض ما نقل عنه من أحاديث على كتاب الله : " فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه" [٣] .

و ـ يجب على المؤوّل أن يكون طاهرا نقيا بعيدا عن البدعة وأن يكون قلبه عامرا بالإيمان لا مكان للكبر والهوى فيه أو حب الدنيا ، مبتعدا عن قول مفسّر معتمد على علم الظاهر فهذه حُجب تفصل المؤوّل أو المفسر عن الوصول إلى ما أراد الله من كلامه [٤] .

وخلاصة القول فيما يراه الباحث هنا ، هو أن يكون المؤوّل ملما مدركا لكل العلوم النقلية والعقلية ، وغيرها التي تساعد على فهم الواقع وإدراك حركته عارفا بالسياقات اللغوية ودلالات الكلم فضلا عن ذلك فإن العلوم نقلية كانت أم عقلية ، قديمة أم حديثة إنما هي مجرد أدوات تأويل لا بد من استيعابها ، وأهمها التحليل المدروس ، ويبقى عقل المؤوّل له الدور الأساس في حركة التأويل ، لذلك يكون متسلحا بالوعي الأصيل ، وعارفا بحركة التاريخ واتجاه المستقبل لكي لا يتحول دور المؤوّل إلى مجرد حافظ غير متمعن .

---

٣ ـ ظ : الامالي ، الشريف المرتضى ص ١ / ٧١ ، ٥٩٠ ، ٢ / ١٩٧ ـ ١٩٨ .

٤ ـ النساء / ٥٩ .

١ ـ أصول الكافي ، الكليني ١ / ٦٩ .

٢ ـ ظ : البرهان ، الزركشي ١ / ١٨٠ ـ ١٨١ .

## التأويل والمجاز :

العبارة القرآنية بنيت على أساس بلاغي متين ، الله تعالى تحدى بها دهاقنة البلاغة .

فالوجوه البلاغية التي تضمنتها النصوص القرآنية أعطت للنصوص القرآنية الوجه المشرق ، وهذه القدرة البلاغية للآيات القرآنية صارت معينا لكل منشئ عربي اللسان ، ووفق هذه فان القرآن الكريم يمثل الثروة البيانية في الموروث البلاغي عند العرب بعيدا عن النمط الجاهلي في الألفاظ ، فهو يستقل استقلالا تاما عن مداليله [١] . ولا نجد هنا فاصلا بين اللغة والبلاغة في الدراسات الأسلوبية المعاصرة من حيث أن الأسلوب هو الطريقة المثلى التي يتم بها « إيصال المدلولات ، ولابد أن تحصل تلك الطريقة بأداء بياني تحت ظل الأسلوب » [٢] .

فالبيان لغة ، بمعنى الكشف والإيضاح والظهور [٣] ، وهو « معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة » [٤] .

فالطرق : الأساليب البيانية والوسائل التي تمثل الوعاء الحامل للمعنى [٥] .

فالبيان « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته »[١] .

---

١ ـ ظ : تطور البحث الدلالي ـ دراسة في النقد البلاغي اللغوي . د . محمد حسين علي الصغير ص ٥٥ .

٢ ـ الأداء البياني في شعر الشيخ علي الشرقي ، د . صباح عباس عنوز ص ١٣٣ .

٣ ـ مقاييس اللغة ،ابن فارس ـ مادة (بين) . وظ : جواهر البلاغة ، احمد الهاشمي ص٢٤٤.

٤ ـ مفتاح العلوم ، السكاكي ص ٧٧ .

٥ ـ ظ : دلالة البيان في تفسير النص القرآني ، د . صباح عباس عنوز ـ مجلة دراسات اسلامية العدد ٢ / ٣٢ .

فالبيان عند الجاحظ ، هنا ، الوسيلة التي تعبر عن المعنى كاشفة عن مراد صاحبها ، والله سبحانه وتعالى ، جعل آلة البيان ، كاشفة عن المعاني كونها المرجع الذي يُرجع إليه الاختلاف [٢] .

وفي ضوء ذلك يكون البيان مواكبا لفنون البلاغة يختلط بالمعاني حينا ويستوعب جملة من علم المعاني حينا آخر [٣] ، وهو في هذه الوسيلة التي تنقل الأفكار والمعاني المكتنزة في صدور أصحابها إلى الآخرين ، وإيصالها يكون عن طريق البيان ،لأنه « لكل أداء بياني رسالة يؤديها في النص ويتحقق بها طابع المبدع الخاص » [٤] ، وهذا يتفق مع رؤية أبي عبيدة في كلمة ( المجاز ) التي يراها الطريق التي يسلكها القرآن الكريم في تعبيراته [٥] . واستكمالا لصورة المجاز وعلاقته بتأويل متشابه القرآن الكريم، سنعرف في أدناه بالمجاز لغة واصطلاحا وأدلة المؤيدين والمنكرين له بشيء من التفصيل .

**المجاز : لغة :**

جاء في العين « جِزتُ الطريق جوازا ، ومجازا ، وجوازا ... والمجاز : المصدر ، الموضع ، والمجازات أيضا ... وجاوزته جوازا في معنى جزته . والتجاوز أن لا تأخذه بالذنب ، أي : تتركه » [٦] .

---

٦ ــ ظ : البيان والتبيين ١ / ٧٥ .
٧ ــ ظ : التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ، وليد قصاب ١ / ٧٩ .

١ ــ ظ : أصول البيان العربي في ضوء القرآن ، د . محمد حسين علي الصغير ص ١٥ .

٢ ــ أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية ، د . صباح عباس عنوز ص ٣٣ .

٣ ــ ظ : مجاز القرآن ١ / ١٨ . وظ: مجاز القرآن ، خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، د . محمد حسين علي الصغير ص٢٦ .

٤ ــ العين ، الفراهيدي ، مادة ( جوز ) .

« والجائز : الذي يمر على القوم ، وهو عطشان ، سُقي أم لم يُسق ، فهو جائز ... وجزْتُ الموضع : سرت فيه ، وأجزته خلفته ، وقطعته » [1] .

« وجزت الشيء أجوزه جوازا ، إذا قطعته ، وقال بعض أهل اللغة : من هذا

اشتقاق الجوزاء ، لأنها تعترض جوز السماء ، أي : وسطها » [2] .

ويرى ابن فارس : « أن الجيم ، والواو ، والزاي ، أصلان ، أحدهما وسط الشيء ، والآخر : قطع الشيء ، تقول : جزتُ الموضع ، إذا سرتُ فيه ، وتقول : أجزته ، إذا خلفته ، وقطعته » [3] .

وابن فارس هنا يجمع بين رأي الخليل ، والأزهري فيما تقدم من رأيهما والى هذا المعنى يذهب الجوهري ، إذ يقول : « جزتُ الموضع أجوزه جوازا : سلكته وسرت فيه ، وأجزته : قطعته ، وخلفته ، وأجزته : أنفذته ، قال الراجز :

**خَلّوا الطريق عن أبي سيارة حتى يُجيزَ سالما حماره**

والاجتياز : السلوك ... وجاوزت الشيء إلى غيره ، وتجاوزتهُ ... بمعنى : أي : جزته ، وتجاوز الله عنا وعنه ، أي : عفا ... وتجوّز في صلاته ، أي : خفّف ، وتجوز في كلامه ، أي : تكلم بالمجاز ، وقولهم : جعل فلان ذلك مجازا إلى حاجته ، أي : طريقا ومسلكا » [4] .

---

٥ ـ تهذيب اللغة ، الأزهري ، مادة ( جوز ) .

١ ـ جمهرة اللغة ، ابن دريد ، مادة ( جوز ) .

٢ ـ مقاييس اللغة ص ١٩٧ .

٣ ـ الصحاح ، الجوهري ، مادة ( جوز ) .

ويشير ابن معصوم المدني بقوله : « المجاز في اللغة مَفْعَل ، من جاز المكان إذا تعداه ، نُقل إلى اللفظ الجائز ، أي : المتعدي مكانه الجائز ، أو الملفوظ المجوّز به ، على معنى : أنهم جاوزوا به مكانه الأصلي » (١) .

**المجاز : اصطلاحا :**

قال الجاحظ : « المجاز : دلالة على جميع الصور البيانية تارة وعلى المعنى المقابل للحقيقة تارة أخرى ، بل على معالم الصورة الفنية المستخلصة من اقتران الألفاظ بالمعاني » (٢) .

ومن خلال هذا النص يبدو أن الجاحظ يقر بأن الحقيقة والمجاز توأمان لا افتراق بينهما . ويفرّق ابن جني بينهما ، فيقول : « الحقيقة ما أُقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضد ذلك » (٣) . والأفعال عنده تفيد معنى الجنسية « إن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة ، وذلك عامة الأفعال » (٤) .

ويبدو أن الأفعال تفيد المعنى المذكور ، كـ ( قام عمرو ) كان منه القيام ، وكيف يكون ذلك ، وهو جنس ، والجنس يطبّق على الماضي والحاضر والآتي ، ولا يمكن أن يجتمع ذلك على إنسان واحد فيكون معنى ( إن قام ) مجاز لا حقيقة (٥) .

---

٤ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع ٦ / ١٠٤ ـ ١٠٥ .

١ ـ الحيوان ، ٥ / ٢٣ ـ ٢٤ .

٢ ـ الخصائص ، ٢ / ٤٤٢ .

٣ ـ المصدر نفسه ، ٢ / ٤٢٨ .

٤ ـ ظ : المصدر نفسه ، ٢ / ٤٢٨ .

ويبدو أن الصورة الاصطلاحية للمجاز جاءت على نحو أكثر إيضاحا في ضوء الاستعمال القرآني عند السكاكي في كتابه : مفتاح العلوم يقول : « المجاز : الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا ، بالنسبة إلى نوع حقيقتها ، مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في هذا النوع » [1] .

وقيل : « هو أحد تلك الصور التي يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولا لمعنى بعد ذلك قد يستعمل في غير موضعه ولهذا كان المشهور عند أهل البيت التقسيم ان كان له مجاز فلا بد له من حقيقة ، وليس لكل حقيقة مجاز » [2] . فهناك علاقة قوية بين المجاز لغة والمجاز اصطلاحا ، مثل استطاعت الإنسان الانتقال من موضع إلى آخر ، فالكلمة يمكن أن تتخطى حدودها من موقع إلى آخر مع إرادة المعنى الجديد بقرينة تدل عليه ، وهذا ما يسمى بالانزياح ، أي انزياح المعنى بدلالة أخرى [3] .

ويتناول المجاز عملية تطوير اللفظ المنقول وحمله على المعنى المستحدث بما لا يستوعبه اللفظ نفسه فالمجاز واقع في القرآن الكريم ، وهو الركن الأساس من أركان البلاغة العربية ، التي يقوم على أساسها الفن القولي إذ احتفت سور القرآن الكريم وآياته بأبرز ملامحه وأصدق مظاهره ، ونجد تطبيقاته واضحة في نصوص القرآن الكريم . إن كثرة المجاز في القرآن الكريم يمكن استقراؤه ورصده من خلال الدلائل الفنية الموضوعة أمام من أراد الهداية والتدبر والاستزادة ، على الرغم من تعذر الوصول إلى جميعه ، لبعد أغواره ، وتجاوز أبعاده حدّ الاستيعاب .

وكان الشريف الرضي له الباع الطويل في ضم أساليب البيان بعضها لبعض تحت مفهوم المجاز ، وهذا ما نلحظه في كتاب مجازات القرآن الكريم، فكان مفهوم

---

٥ ــ مفتاح العلوم ص ١٧٠ .

١ ــ محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، ١ / ٢٢٢ .

٢ ــ ظ : أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية ، د . صباح عنوز ص ٨١ .

المجاز عنده أوسع من مفهومه الاصطلاحي اليوم ، ويتضح ذلك في النصوص التي فسّرها[1] .

ففي قوله تعالى : (**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ()** ) [2] .

هذه الآية لا تحمل على ظاهرها ، لأنه إن حُملت على ظاهرها فقد تُنسب الإزاغة إلى الله تعالى ، وهو منزّه عنها ، إذن فما معنى الدعاء بأنه عز وجل لا يفعلها ، وهذا لا يجوز عليه ــ سبحانه ــ إلا على سبيل المجاز ، لأن الله سبحانه لا يضل عن الإيمان كما أن هناك كثيرا من الدلائل التي تؤيد أن الله لا يفعل ذلك لأنه من القبيح ، و إذا لم يحمل على الظاهر فيحتاج إلى التأويل فهو إذن : متشابه كونه لا يُقتبس علمه من الظاهر فوجب رده إلى المحكم في هذا المعنى [3] . وهو قوله تعالى : (**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ()** ) [4] ، وقد قال العلامة الصغير " فالشريف الرضي في رده المتشابه إلى المحكم قد حمل معنى الإزاغة على معنى الجزاء والعقوبة كما هو الحال في قوله تعالى : (**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ()** ) [5] " [6] .

فالاعتداء أطلق على ظاهره ويراد به الجزاء والعقوبة إذ ليس الجزاء اعتداء ، فالزيغ الأول غير الزيغ الثاني ، فالأول زيغ عن الإيمان ، والثاني العقوبة على الميل.

---

٣ ــ ظ : مجاز القرآن ، د. محمد حسين علي الصغير ص ١٨ .

٤ ــ آل عمران / ٨ .

١ ــ ظ : حقائق التأويل ، الشريف الرضي ٥ / ٢٣ .

٢ ــ الصف / ٥ .

٣ ــ البقرة / ١٩٤ .

٤ ــ مجاز القرآن ، د . محمد حسين الصغير ص ١٤٩ .

وفي قوله تعالى : (**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** () ) [1] . تفسير هذه الآية على ظاهرها من خلال إسناد الختم إلى الله سبحانه وتعالى ، وفيه دلالة على المنع من قبول الحق والتوصل إليه ، وهذا قبيح ، والله سبحانه وتعالى ، يتعالى عن فعل القبيح كونه ــ جلّت قدرته ــ يعلم بقبحه ، وعلمه بغناه عنه وقد أكدت ذلك كثير من الآيات القرآنية فنصّت على تنزيه ذاته ، منها : قوله تعالى : (**وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** () ) [2] ، وقوله تعالى : (**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ** () ) [3] ، وقوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ** () )[4] . وهذا ما أكده الزمخشري في تفسيره الكشاف ، ولكن صاحب الكشاف أوضح ذلك بوجوه من التأويل [5] . وهي :

١ ــ إن أعراض القوم عن وجه الحق ، أصبحت أسماؤهم وقلوبهم متمكنة من ذلك شبّه بالوصف الخلقي المجبول عليه .

٢ ــ أُريد تشبيه قلوبهم بقلوب البهائم ، خلقت خالية من الفطن ، فعند إسناد الختم من باب التمثيل ، أي مُثلت حال قلوبهم بحال قلوب ختم الله عليها .

٣ ــ إن حقيقة الأمر تؤكد فعل الشيطان ، أو الكافر ، لكن لما كان صدوره عنه بأقداره تعالى إياه أُسند إليه إسناد الفعل إلى المسبب .

٤ ــ عدم إيمانهم طوعا ، كان مقطوعا بهم ، فلم يبق طريق إيمانهم إلا بالقسر ، ولم يقسرهم إبقاء على غرض التكليف ، عبر عن تركه بالختم ، فإنه سدّ لإيمانهم .

---

٥ ــ البقرة / ٧ .

١ ــ ق / ٢٩ .

٢ ــ الزخرف / ٧٦ .

٣ ــ الأعراف / ٢٨ .

٤ ــ الكشاف ١ / ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ . وظ : البحر المحيط ١ / ٨٠ ، وتفسير البيضاوي ١ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .

٥ ـ هو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم : (**قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ** () ) [1] .

٦ ـ إن الختم منه على قلوبهم ، وهو الشهادة على أنهم لا يؤمنون .

٧ ـ هؤلاء القوم المخصوصون ، وقد فعل ذلك بهم عقابا عاجلا لمّا عجّل بكثير من الكفار بعقوبات الدنيا .

٨ ـ أن يكون ذلك فعله بهم من غير أن يحول بينهم وبين الإيمان .

٩ ـ الآية القرآنية : (**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا** () )[2] ، أن يُفعل بهم في الآخرة .

١٠ ـ إن ذلك سمة وعلامة يجعلها الله في قلب الكافر وسمعه ، وهذا دليل للملائكة على أن هؤلاء كفار ، وإنهم لا يؤمنون [3] .

وقال القرطبي ، الختم على القلوب « عدم الوعي عن الحق سبحانه ، مفهوم مخاطباته ، والفكر في آياته ، وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تُلِيَ عليهم أو دعوا إلى وحدانيته ، وعلى أبصارهم عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته ، وعجائب مصنوعاته ، هذا قول ابن عباس ، وابن مسعود وقتادة » [4] .

وقد ردّ القراطبي على ما أوّله المعتزلة من أن معنى الختم والطبع والغشاوة ، التسمية والحكم ، والإخبار بأنهم لا يؤمنون لا الفعل . بقولهم : هذا فاسد ، وعللوا ذلك بأن حقيقة الختم والطبع إنما هو فعل ما يصير به القلب مطبوعا ، أي معنى يخلقه الله تعالى في القلب يمنع من الإيمان به ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى :

---

٥ ـ فصلت / ٥ .

١ ـ الإسراء / ٩٧ .

٢ ـ ظ : مجمع البيان / الطبرسي ١ / ٩٦ .

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ١٥ / ٢٥ .

(**كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ () لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ... ()** ) [1] ، وهذا الذي ذهبوا إليه مستفاد مما ذهب إليه إمام الحرمين من قبل [2] .

يظهر مما عرضناه أن إسناد الختم إلى الله ليس من الحقيقة في شيء بل جعلوه مجازا [3] .

وعلى قاعدة أهل السنة ليس هناك قبيح بالنسبة إلى الله ــ عز وجل ، بل الأفعال كلها بالنسبة إليه سبحانه ، ولا يتصور ظلم في أفعاله ، لأن الكل منه ، و به ، واليه حسب رأيهم ، وأنه يريد وقوع هذه الأفعال ، خيرها وشرها ، نفعها وضرها [4] .

فله تعالى أن يتصرف ما يشاء وحسب رأيهم ، الذي يوصف بالقبح والظلم أفعال العباد ، باعتبار كسبهم لها ، وقيامهم بها ، وليس باعتبار إيجاد الله تعالى إياها فيهم[5].

ويبدو أن الزمخشري لن يألُ جهدا في الانتصار لأصول المعتزلة والتي منها أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم ، وأنهم المحدثون لها ، كون بعضها ما هو ظلم وجور ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا [6] .

وقد أيّد العلامة الصغير مذهب الزمخشري وأثنى عليه بقوله : « كان الزمخشري يهدف في جهوده المجازية إلى أمرين ، الأول : هو الهدف المركزي ، وهو كشف

---

٤ ــ الحجر / ١٢ ، ١٣ .

٥ ــ ظ : كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، إمام الحرمين ص ٨٩ .

١ ــ ظ : أساس البلاغة ، الزمخشري ٢ / ٣ ، ٤ .

٢ ــ ظ : كتاب الإرشاد ، إمام الحرمين ص ٩٨ .

٣ ــ ظ : حاشية السيد الشريف الجرجاني ، هامش الكاشف ١ / ١٥٧ ــ ١٥٨ .

٤ ــ ظ : شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ٢ / ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ . وظ : استدلالهم على إيجاد العبد لأفعاله : القضاء والقدر ، الفخر الرازي ص ٢١٦ .

بلاغة القرآن الكريم وتأكيد إعجازه واثبات تميزه في التعبير على كل نص أرضـي ، وسماوي .

الثـاني : الـهدف الهامشي فـي دعـم الفكـر المعتزلـي القائـل باتـساع المجـاز فـي القـرآن الكريم ، وعند العرب بمنظور كلامي ، و أنا أذهب مذهبه فـي كـلا الأمـرين ، بأغلـب وجهـات نظـره البيانيـة لا علـى أسـاس معتزلـي ، فـلا علاقـة لـي بهـذا الملحظ بـل من خلال الذائقة البلاغية والفنية في تقويم النصوص العربية العليا ، ليس غير » [١] .

والى ما ذهب إليه الزمخشري وأستاذنا الصغير يجد الباحث نفسه متبنيا هذا الاتجاه بالاستناد إلى أدلتهما العقلية .

## المجاز .. بين منكريه ومثبتيه :

تنوعت دلالات القرآن الكريم بوصفه منظومة فكرية ، عقائدية ، رصـينة علميـا ، فجوهر إعجازه يتجلى بقابليته على تحمل وجوه المعاني ، وقد أكّد هذه الحقيقة السيد المرتضى ، بالقول : « وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض مـا يحتملـه ، إذا كان له شاهد من اللغة ، وكلام العرب ، لأن الواجب على من يتعـاطي تفسير غريـب الكلام ... أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعانـي » [٢] .

و التأويل ليس بيانا لمدلول الآية ، وتفسيرا لمعانيه اللغوية ، بل هو مـا تـؤوّل إليـه تلك المعاني . فالقرآن الكـريم غنـيّ بالمعـاني الحقيقيـة ، والمعـاني المجازيـة للألفـاظ ، تلك التي عدّت بمثابة المدخل لتأويل المتشابه من الآيات ، وهذا ما ذهب إليه كثير من العلماء لدى عرضهم وجوه الكلام وتأويلاتـه مـن خـلال صـرفهم الآيـات عن معانيهـا الحقيقية ، حيث لا بد لهم من اختيار وجه من وجوه المجاز اللغوي ، أو العقلي .

---

١٤ ـ مجاز القرآن ، محمد حسين الصغير ص ٣٨ ، ٣٩ .

١ ـ الأمالي ، السيد المرتضى ١ / ١٨ .

« لقد شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام ، والى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ ولما فيها من الدقة في التعبير ، ويتفرع المجاز عن الحقيقة في الغالب ، وليس لكل مجاز حقيقة يتفرع منها ، فلفظ ( الرحمن ) استعمل مجازا في المنعم ، ولم يستعمل معناه الوصفي ، وهو : الرقيق القلب » [١] .

ولدى متابعة تطور لفظ المجاز من حيث الوجهة التاريخية وجدنا آراء متباينة للعلماء المسلمين ، من فقهاء ، وكلاميين وبلاغيين في موضوع أثر المجاز في نشوء الحاجة إلى التأويل .

فمنهم من تبنى راية المجاز في تأويل النصوص القرآنية ، ومنهم من ذهب إلى الإنكار ، ليس في القرآن الكريم فحسب ، بل في اللغة كلها ، إلى حد رفض تأويل المبهمات في النص القرآني . وسنخص بالدراسة أدلة كلا الفريقين على نحو من التوثيق ، وكما يلي :

## أولا : المنكرون وأدلتهم :

من خلال التتبع رأى الباحث أن المسلمين لم يقفوا عند ظاهر اللفظ ، بل تجاوزوا ذلك إلى التأويل في النص من الذي لا يستقيم الظاهر منها مع العقيدة . فيما لو أُخذت هذه النصوص على ظواهرها .

فالذين وقفوا على الظاهر رأوا أنهم ليست بهم حاجة إلى التأويل ، ورائدهم في هذا بأن لا مجال للقول أن في اللغة مجازا ويذهبون إلى أن ألفاظ القرآن الكريم كلها حقيقة ، ولا يدخل المجاز في شيء منها . ولعل أبرز من ذهب إلى هذا الموقف ( أبو إسحاق ) إبراهيم بن محمد الاسفراييني ( ت ٤١٨ هـ ) إذ يقول : « لا مجاز في لغة العرب » [٢] ، وقد سبقه غيره في هذا النفي ، « فأما المجاز اختـُلف في وقوعه في

---

٢ ـ جواهر البلاغة ، احمد الهاشمي ص ٢٩٠ .

١ ـ المزهر في علوم اللغة ، السيوطي ١ / ٦٤ .

القرآن الكريم، والجمهور على الوقوع ، وأنكره جماعة ، منهم : ابن القاص ، من الشافعية ، وابن خويز منداد [1] من المالكية ، وحكى عن داود الظاهري وابنه وأبي مسلم الاصفهاني » [2] .

وحجتهم في عدم وقوع المجاز في القرآن الكريم أن المتكلم بالمجاز ، إنما يتكلم به لضيق الحقيقة عليه فيما يتوصل إليه من الكلام إلى المخاطب ، فكأنهم أرادوا تنزيه القرآن الكريم عن ذلك ، فرأوا : أن المجاز أخو الكذب ، والقرآن الكريم منزّه عنه وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة وذلك محال على الله [3] .

وعلّلوا ذلك : « أن الله عز وجل ــ لو خاطب بالمجاز لكان يجوز وصفه بانه متجوز ، وهذا غير لائق بالحكمة الإلهية ، والمجاز لا ينبئ معناه بنفسه ، فورود القرآن الكريم به يؤدي إلى أن لا يعرف مراد الله سبحانه ــ فيفضي إلى الالتباس وهو منزّه عنه ، ثم لا فائدة في العدول إلى المجاز مع إمكان الحقيقة ، فالعدول إليه يكون عبثا لا حاجة إليه ، وان كلام الله حق وصواب ، وكل حق فله حقيقة ، وكل ما كان حقيقة فلا يدخله المجاز » [4] .

وقد ظل الحال على ما هو عليه حتى مجيء ابن تيمية ومن بعده تلميذه ابن قيم الجوزية اللذين بالغا بالإنكار إلى حد إلصاق تهمة البدعة والضلال بمن يقول بالمجاز ، يقول ابن تيمية : « وقد أنكر طائفة أن يكون في اللغة مجاز لا في القرآن الكريم ولا غيره ، كأبي إسحاق » [5] .

---

٢ ــ وهو تلميذ الإمام الأبهري ، من علماء المالكية في البصرة ( ت ٤٠٠ هـ ) .

٣ ــ البرهان ، الزركشي ٢ / ٢٧٢ .

١ ــ ظ : البرهان ٢ / ٢٧٢ . وظ : الإتقان ، السيوطي ٢ / ٣٦ .

٢ ــ الطراز ، العلوي ص ١ / ٨٤ ــ ٨٥ .

٣ ــ الإيمان ، ابن تيمية ص ٧٤ .

أما ابن قيم الجوزية فقد نهج نهج شيخه ابن تيمية ، وله في المجاز رأيان : أما الأول فذهب فيه إلى دخول المجاز في لغة العرب ،وأما الثاني ، فرفض فيه المجاز جملة ونادى بهدم الطاغوت [1] الذي « لهج به المتأخرون والتجأ إليه المعطلة وجعلوه جنة يتترسون بها سهام الراشقين ، ويصدون به عن حقائق الوحي المبين » [2] .

والناظر في قول ابن القيم يجد أنه محض ترديد لأقوال ابن تيمية الذي يقول : أن المجاز « اصطلاح محض ، وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة » [3] .

## المجاز عند القائلين به :

حظيت مسألة وقوع المجاز باهتمام علماء الأمة المسلمين على اختلاف مشاربهم لا سيما الجمهور منهم والشيعة الإمامية ، والزيدية ، وأغلب المعتزلة فضلا عمن اتفق معهم من المتكلمين على حقيقة وقوع المجاز في القرآن الكريم .

والجاحظ [4] ألمح إلى هذه الحقيقة في كتابيه : الحيوان ، والبيان والتبيين ، ثم جاء من بعده ابن قتيبة حيثُ تصدى لمنكري وقوع المجاز في القرآن الكريم، وعلل ما ذهب إليه المنكرون ، بالجهل وقلة الفهم ، والبعد عن تصور الواقع والحقيقة ، وناقشهم باسلوب رصين وفق محاور مشفوعة بأمثلة من الذكر الحكيم . فيقول : « وأما الطاعنون على القرآن الكريم بالمجاز ، فأنهم زعموا أنه كذب ، لأن الجدار لا يريد ، والقرية لا تُسأل ، وهذا من أشنع جهالاتهم ، وأدلها على سوء نظرهم ، وقلة إفهامهم ، ولو كان المجاز كذبا ، وكل فعل ينسب للحيوان باطلا ، كان أكثر كلامنا

---

٤ ـ ظ : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، وعلم البيان ، ابن قيم الجوزية ص ١٠ .

١ ـ مختصر الصواعق المرسلة ، ابن قيم الجوزية ص ٢٤١ .

٢ ـ المصدر نفسه ص ٢٤١ .

٣ ـ ظ : الحيوان ، ١ / ٢١٨ . وظ : الخصائص ، ابن جني ٢ / ٤٤٧ . وظ : مجاز القرآن ، د . محمد حسين علي الصغير ص ٦٧ .

فاسدا ، لأنا نقول : نبت البقلُ ، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ... ورخص السعر . وتقول كان هذا الفعل منك في وقت كذا وكذا ، والفعل لم يكن ، وإنما كُوّن ، وتقول : كان الله ، وكان ، بمعنى : حدث ، والله ــ عز وجل ــ قبل كل شيء بلا غاية ، لم يحدث فيكون ، بعد أن لم يكن ، والله تعالى يقول : (**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ** ()) [1] ، وإنما كذب به . ويقول تعالى : (**فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ** ()) [2] .

وإنما يعزم عليه ... » [3] .

ويؤكد ابن جني مسألة وقوع المجاز في القرآن الكريم وذلك بحسب تصوره للمجاز الذي يراه متحققا في الاتساع ، بقوله : « وكذلك قوله تعالى : (**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا** ()) [4] ، فيها المعاني الثلاثة : أما الاتساع ، فلأنه استعمل لفظ السؤال مع لا يصح في الحقيقة سؤاله ... ألا تراك تقول : وكم من قرية مسؤولة ، وتقول : القرى وتسألك ، كقولك : أنت وشأنك ، فهذا ونحوه اتساع » [5] .

ويذهب ابن جني إلى أكثر من ذلك إذ يرى أن أكثر اللغة مجازا لا حقيقة [6] .

وقد ردّ السيوطي على المنكرين ، بوصف ما ذهبوا إليه ، شبهة وبطلانا ، إذ يقول : « وهذا باطل ، ولو وجب خلو القرآن الكريم من المجاز لوجب خلـوّه من التوكيد ، والحذف ، وتثنية القصص ، وغيره ، ولو سقط المجاز من القرآن الكريم لسقط شطر الحسن » [7] .

---

١ ــ يوسف / ١٨ .

٢ ــ محمد / ٢١ .

٣ ــ تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ص ١٣٢ .

٤ ــ يوسف / ٨٢ .

٥ ــ الخصائص / ابن جني ٢ / ٤٤٧ .

٦ ــ ظ : المصدر نفسه ٢ / ٤٤٧ .

١ ــ الاتقان ٣ / ١٠٩ .

فاستعمال المجاز في القرآن الكريم إنما هو نابع من حاجة القرآن الكريم إليه في بيان محسنات القرآن الكريم البلاغية ، والمجاز والحقيقة يتقاسمان شطر الحسن في الذائقة البيانية على حد قول الزركشي (١) .

وقد أضاف الشريف الرضي على ما ذكره ابن جني من أمر الاتساع والتوكيد ، المبالغة ، وزيادة المعنى ووضوحه ، كقوله تعالى : (**أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ()** ) (٢) . يقول معلقا على الآية الكريمة : « وهذه استعارة ، كأنهم إذا أكلوا ما يوجب العقاب بالنار ، كأن ذلك المأكول ، مشبها بالأكل من النار ، وقوله ـ سبحانه ـ ( في بطونهم ، زيادة معنى ، وإن كان كل آكل إنما يأكل في بطنه ، وذلك أفضع سماعا ، وأشد إيجاعا ، وليس قول الرجل للآخر : إنك تأكل النار ، مثل قوله : أنك تأكل النار في بطنك » (٣) .

ويفرّق الشريف الرضي بين ملحظين من استعمال لفظ المجاز فإطلاق المجاز عند الحديث عن الله سبحانه يختلف عن إطلاق المجاز على غيره ، فالغير إذا ضاقت عليه الطرق واستعصيت فيلجأ إلى المجاز ، وهذا محال على الله عز وجل ، لأنه تعالى يقول : (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ()** ) (٤) . يقول الرضي : « وليس إطلاقنا لفظ الاستعارة عليه سبحانه كإطلاقنا لذلك على غيره ، لأنه سبحانه لا يأتي بالكلام المستعار ، والمجاز لضيق العبارة عليه ... ولكن لأن ذلك اللفظ ، أبعد في البلاغة منزعا ، وأبهر في الفصاحة مطلعا والواحد منا في الأكثر إنما يستعير

---

٢ ـ ظ : البرهان في علوم القرآن ٢ / ٢٦٢ . وظ : مجاز القرآن ، د . محمد حسين علي الصغير ص ٦٧ .

٣ ـ البقرة / ١٧٤ .

٤ ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي ص ١١٩ .

٥ ـ يس / ٨٢ .

إغلاق الكلام ويعدل عن الحقائق إلى المجازات ، لأن طرق القول ضاق بعضها عليه فخالف السعة » [1] .

ويظهر لي من خلال النص أن الشريف الرضي يشير إلى منكري المجاز لا سيما عند أهل الظاهر من الذين يرون أن المجاز اخو الكذب ، والقرآن الكريم منزه عنه ، أو ذهابهم إلى إن العدول عن الحقيقة إلى المجاز بسبب ضيق الحقيقة على المتكلم ، وقد ثبت بطلان ذلك .

وقد كان الشريف الرضي يلح على هذا المعنى ، ويرى إن المجاز : « أحسن من الحقائق معرضا ، وأنفع للغة معنى ولفظا ، وأن اللفظة التي وقعت مستعارة ، لو وقعت في موضعها لفظة الحقيقة لكان موضوعها نابيا بها ، قلقا بمركبها ، إذ الحكيم سبحانه لم يورد ألفاظ المجازات لضيق العبارة عليه ، ولكنها لأنها أجلى في أسماع السامعين ، وأشبه بلغة المخاطبين » [2] .

وخلاصة ما يراه الباحث هنا ، أن الرضي يضع المجاز موضع المفاضلة مع الحقيقة ، وذلك ما للمجاز من أفضلية الوقع على النفوس في تلخيص مراد الله تعالى من نصوص آي الذكر الحكيم . وقد تقدم من أقوال العلماء ما يؤيد أحقية إثبات المجاز ووقوعه في الكلام والقرآن الكريم المجيد ، ولعل ما ساقوه من الأمثلة كفيل بتوكيد وجوده وسنحاول الإشارة إلى أمثلة أخرى يجدها الباحث ضرورية في هذا المقام :

ـ جاء في قوله تعالى : (**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ** () ) [3] ، فالرؤية المحمولة هنا على الحقيقة عند المفسرين قد تمثلت برؤية العين الباصرة ، وأخرى على الظن ، وقد ربطوا هذا في تفسير قوله تعالى في « منامك

---

١ ـ تلخيص البيان ، الشريف الرضي ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

٢ ـ المصدر نفسه ص ١ .

١ ـ الأنفال / ٤٤ .

» من قوله تعالى : (**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ** () ) [1] . وإنما هو في ( عينك ) إذا عبّر بالمنام عن العين ، لأن بهما يكون المنام . وقد رد الشريف الرضي هذا القول ، إذ قال : ( قول ظاهر التعسف شديد التكلف لا ينبغي أن يعتمد عليه ، لأن العبارة عن العين فيها لبس على السامع وعدول في الفصاحة عن الطريق الواضح ، فالعلاقة هنا جزئية ، والمجاز مرسل لأنه ذكر الجزء ( العين ) وأراد به الكل)[2] .

ـ وفي قوله تعالى : (**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** () ) [3] ، وفسّروا ( أردنا ) بمعنى ( دنا ) وهو يريد ( دُنُو ) وقت هلاك قوم لم يبق من زمان إمهالهم إلا قليلا ، أمرناهم ( ففسقوا ) ، أي : أمرناهم بالفسق ، ففعلوا ، ثم حمل لفظ الأمر على المجاز ، وذلك لامتناع أن يأمر الله تعالى بالفساد قائلا : والأمر مجاز ، لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم : افسقوا ، وهذا لا يكون ، فبقي أن يكون مجازا ،ووجه المجاز : انصبّ عليهم النعمة صبّا ، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي ، وإتباع الشهوات ، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إبلاء النعمة فيه » [4] .

ويظهر أن هذا التأويل من خلال حمله على المجاز قد نال استحسان أهل السنة[5] ، إلا في بعض الأمور حين قال ابن منير : « وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ، ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء وأقوياء ، وأقدرهم على الخير والشر » [6] ، لما فيه من تضمين القول من إرادة الله سبحانه للطاعة التي

---

٢ ـ الأنفال / ٤٣ .

٣ ـ حقائق التأويل ، الشريف الرضي ٥ / ٤٥ .

٤ ـ الإسراء / ١٦ .

٥ ـ الكشاف ، الزمخشري ٢ / ٤٤٢ .

١ ـ ظ : الكشاف / هامشه ٢ / ٤٤٢ .

٢ ـ الكشاف / هامشه ٢ / ٤٤٢ و ٣/ ٤٦١ .

خوّلوها ، لكنهم فسقوا ، وخرجوا على أمر الله ، لكن الأمر ليس هو الإرادة عن أهل السنة ، لقوله تعالى : (**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** () ) [1] . عدّوها دليلا ظاهرا على أن الأمر غير الإرادة [2] ، محتجين بان الله نهى عن قتل المؤمنين ، حمزة وأصحابه ، بيد أنه أراد قتلهم ، ونهى آدم عن الأكل من الشجرة ، وأراده ، فوقع ، ورأى بعضهم : إنما أمروا به غير الفسق ، لأن الفسق إنما هو ما قاموا ضد المأمور به ، فكون الفعل فسقا ينافي المأمور به وينسحب هذا على المعصية لأنها ليست في المأمور بها ، لذا يتبين أن دلالة الأمر يتجه إلى أن الذي أُمروا به ليس بفسق [3] .

وقد يكون المعنى كما ذهب الزركشي ، عن طريق التقدير « أي أمرنا مترفيها ، فخالفوا الأمر ففسقوا ، وبهذا التقدير ، يزول الإشكال في الآية ، وليس الفسق مأمورا به » [4] .

على الرغم من أنه ذكر في موضع آخر توجيه غرضه بالحذف إلى كونه مجازا عن تمكينهم وإقدارهم وذلك بتقدير الآية : أي : أمرناهم بالفسق [5] .

يخلص الباحث مما تقدم من الأمثلة وآراء العلماء إلى توكيد حقيقة أن القرآن الكريم بكل ما أكتنز من تفوق وامتياز لا تتأتى ملاحظة أسراره و إدراكها لمن كان دونها من الفصاحة والبلاغة والبيان ، وإنما يحتاج الأمر إلى الدربة والثقافة والمراس بلسان العرب ، وكل ما كان المرء أعرف ببلاغة الكلام وأدرى بأسرار النظم ، ولغة الشعر ومنثور الكلام ، كان أقدر على معرفة تأويل متشابه القرآن

---

٣ ــ الشورى / ٨ .

٤ ــ ظ : تفسير القرطبي ٤ / ٣١٩ ، وتفسير البيضاوي ٣ / ٢٩٩ ، والبرهان ٢ / ٧٩ .

٥ ــ ظ : البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ٧ / ٢٦ .

٦ ــ البرهان ، الزركشي ٣ / ١٥٧ .

١ ــ ظ : المصدر نفسه ٣ / ١٧٨ .

الكريم، ومعرفة آلياته ، والإحساس بما فيه من جمال وتفوق على أساليب القول المختلفة .

# الفصل الثالث

# مرجعيات تأويل المتشابه

# ومستويات فهمه



## المبحث الأول : مرجعيات تأويل المتشابه:

**ا ـ الباري ـ سبحانه وتعالى :**

الباري ـ سبحانه وتعالى ، هو المرجع الأول في تأويل المتشابه لأن هناك من القرآن ما لا يستطيع من البشر جميعا ، أن يصلوا إليه وحتى إن وصلوا إليه عن طريق فهم معنى ألمفردة القرآنية فإنهم لم يصلوا إلى كنه مراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ مثل العلم بذات الله ، وحقائق صفاته ، ووقت الساعة ، وتعيين الصغيرة من الكبيرة ، وتعيين الضابط لها ، وما بيننا وبين وقت الساعة من المدة ، وحقيقة ما يجري يوم القيامة ، فهذا نؤمن به ، وأما كيفية ذلك وحقيقته فلا ندركها في الدنيا ، لأن الله سبحانه وتعالى اختص بها من دون غيره [١] .

فالحقائق التي أخبر بها الله ـ سبحانه ، من الثواب والعقاب هي مما استأثر الله بعلمه ، فيكون مورد هذا التأويل عن طريق الباري ـ سبحانه ، لا غيره . قال ابن تيمية : « فمن قال لا يعلم تأويله إلا الله فأراد به ما يؤول إليه الكلام من الحقائق التي لا يعلمها إلا الله ، ومن قال : إن الراسخين في العلم يعلمون تأويله ، فالمراد به تفسير القرآن الذي بينه الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ والصحابة » [٢] .

ذكر الطوسي ، إن ما أختص الله تعالى بالعلم به لا يجوز لأحد أن يتكلف القول فيه ، ولا يتعاطى معرفته ، وذلك في مثل قوله تعالى : (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ** () ) [٣] ، ومثل قوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** () ) [٤] ، فتعاطي معرفة ما أختص الله به خطأ [٥] .

---

١ ـ ظ : حقائق التأويل ، الشريف الرضي ص / ٨ ، ومفاتيح الغيب ، الرازي ٧ / ١٢٢ ، والميزان ، الطباطبائي ٣ / ٤٥ .

٢ ـ مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١٦ / ٤٨٠ .

١ ـ الأعراف / ١٨٧ .

٢ ـ لقمان / ٣٤ .

٣ ـ ظ : التبيان ، الطوسي ـ المقدمة ص ٥ .

ويستخلص الباحث من ذلك كله ، أن الله ــ سبحانه وتعالى ، إنما هو المرجع الأول في تأويل المتشابه ، ثم يأتي من بعده ـ سبحانه ـ الراسخون ، وما علم هؤلاء إلا من علم الله الخالق جل جلاله ، وهذا ما سنبحثه لاحقا أن شاء الله .

**ب ـ القرآن الكريم ( الآيات المحكمة ) :**

إن دليل فهم ( المحكم ) يقوم على أساس معرفة أنه الواضح البين الذي ليس به حاجة إلى تأويل ، مثلما يقوم فهم ( المتشابه ) على أساس أنه ( الغامض ) الذي به حاجة إلى تأويل . وعلى وفق هذا اتفق العلماء على ضرورة ردّ المتشابه إلى المحكم ، أي بمعنى : تفسير ما كان ( غامضا ) استنادا إلى ( الواضح ) ، واتفاق العلماء في هذه المسألة ــ على خلافاتهم الايديولوجية ــ حول هذه القضية ، وغيرها كانوا ينطلقون من أن النص هو معيار ذاته ، إذ الواضح المحكم يعد بمثابة ( الدليل ) لتفسير ما هو غامض متشابه بغية فهمه ، ذلك أن أجزاء النص يفسر بعضها بعضا ، وليس العبرة أن يلجأ المفسّر إلى المعايير الخارجية لفض غوامض النص واستجلاء دلالتها [١] .

إن من نافلة القول أن نذكر الحقيقة الآتية : وهو أن النص القرآني يعد الأفصح والأدق والأوفى بياناً وأوثق ما عرفته العربية من فنون القول ، ولذلك صار القرآن في مقدمة النصوص التي يحتج بها سواء أتعلق الاستشهاد القرآني بالدراسات الإسلامية أم اللغوية ، أم غيرهما . والشاهد هنا إنما هو كلام الله تعالى ، فهو خير شاهد ودونه كل الشواهد .

إن أسلوب تفسير القرآن بالقرآن يجعل بعض آي القرآن شاهدا لبعضها الآخر . وهذا الأسلوب أيضا يستنطق القرآن في تبيين ما استنطق منه ، وحل إشكال ما أشكل

---

٤ ــ ظ : الاتجاه العقلي في التفسير ، حامد نصر أبو زيد ص ١١٤ وما بعدها .

منه ، أو تخصيص عمومه ، أو التوفيق بين الآيات التي يوهم ظاهرها بالتناقص والاختلاف ، مع أنها ليست كذلك [1] .

والذي يظهر أن علماء التفسير في عهودهم المبكرة التفتوا إلى هذا المنحى في التفسير ، ومصداق ذلك ، كتاب الأشباه والنظائر ـ لمقاتل بن سليمان ( ت ١٥٠ هـ ) والذي يعد من أوائل الكتب التي وظّفت أسلوب تفسير القرآن بالقرآن على نطاق واسع ، مع تميز المنهج ، فحين يعرض لتفسير لفظة ( الهدى ) في القرآن الكريم ، يذكر لها سبعة عشر وجها ،ففي الوجه الخامس نجده يقول : ( والوجه الخامس ( هُدى ) بمعنى ( معرفة ) ، ذلك في قوله في سورة النحل (**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** () ) [2] ، نظيرها في سورة الأنبياء : (**وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** () ) [3] ، يعني : يعرفون الطرق ... ) [4] .

لقد ثبت أن المحكم هو اللفظ الذي يدل على معناه بوضوح من غير حاجة إلى قرينة أو دليل ، كما أن المتشابه الذي يفتقر إلى توسط أمور بغية معرفة ما يراد منه ، تكون معرفته بالرجوع إلى المحكم لأجل توافق النصوص ، فإذا اتضح أن المتشابه هو الذي يفتقر إلى توسط أمور لمعرفة المراد منه وفهمه ، فإنه لا ينبغي أن يكون مثار تساؤل واستغراب لاحتواء القرآن الكريم عليه ، لأن ذلك من شأنه جلّ وعلا وهو جارٍ على وفق منهجه ـ سبحانه في الهداية ، والتوجيه .

---

١ ـ ظ : تفسير القرآن بالقرآن ، نشأته وتطوره ، بحث منشور ، د . كاصد الزيدي / مجلة آداب الرافدين ـ جامعة الموصل ع ١٢ ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م ص ٢٨٥ .

٢ ـ النحل / ١٦ .

٣ ـ الأنبياء / ٣١.

٤ ـ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ص ٩٢ . وظ : تفسير القرآن بالقرآن ، د . كاصد الزيدي ص ٢٩٨ ، بحث منشور في مجلة الرافدين / جامعة الموصل ع ١٢ ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

وقد أبان كثير من المفسرين عن وجوه ونكات دقيقة في إيراد مثل تلك المتشابهات [1] .

ولعل من أحسن التعليلات لسبب وجود المتشابهات ما ورد في فلسفة الفكر الديني أنه بدلا من أن نأسف لوجود هذه الآيات المتشابهات ينبغي أن نقرّ بها عينا لأنها محل العمل والعقل ومستحث الإيمان [2] .

على أن يقتضي التنبيه هنا إلى أن الوصول إلى المتشابه في القرآن الكريم ليس بالأمر العسير ، فقد ذكر الشريف الرضي أن المراد بالآية « وما يعلم تأويله إلا الله » ، أي : وما يعلم تأويله على التفصيل إلا الله ، ولا يعلم تأويله بعينه إلا الله ، لأن كثيرا من المتشابه ، يحتمل الوجوه الكثيرة وكلها غير خارجة عن أدلة العقول ، فيذكر المتأولون جميعا ، ولا يقع القطع منهم على مراد الله بعينه منها [3] .

ومن الأمثلة الأخرى في تفسير القرآن بالقرآن ، ما ذكر في كتاب البحار للمجلسي في إجابات أمير المؤمنين علي ــ عليه السلام ــ على ما طرحه بعض الزنادقة حيث نلحظ أن الإمام ــ عليه السلام ــ قد استعان بما احتج به من آيات القرآن.

ــ قال الزنديق : أجد الله يقول : (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ () إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ()** ) [4] ، وأجده يقول : (**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ()** ) [1] ، وقوله : (**وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى ()** ) [2] .

---

١ ــ ظ : المعجزة الخالدة ، هبة الدين الشهرستاني ص ٧٦ .

٢ ــ ظ : فلسفة الفكر الديني ، لويس غرديه / صبحي الصالح ٢ / ٥٩ . وظ : علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ص ١٤٥ .

٣ ــ ظ : حقائق التأويل ، السيد الشريف الرضي ٥ / ٩ ، ظ : وأمالي المرتضى للشريف المرتضى ١ / ٤٢٩ .

١ ــ القيامة / ٢٢ ، ٢٣ .

وقد رد الإمام ــ عليه السلام ــ مفسرا ما جاء به الزنديق ، قوله : إن المؤمنين يؤمرون بدخول الجنة ، فمن هذا المقام ظون إلى ربهم كيف يثيبهم ، أي : النظر إلى ما وعدهم الله عز وجل ، فذلك قوله تعالى : ( إلى ربها ناظرة ) . والناظرة في بعض اللغة : المنتظرة ، ألم تسمع قوله تعالى : (**فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ()**)[٣].

والملحظ على إجابات الإمام ــ عليه السلام ــ أنه استهدى بآيات أخر للاستعمال القرآني ، لكلمة ( ناظرة ) بمعنى منتظرة [٤] .

وإن تلك الدلالة هي عينها ما تدل عليه ناظرة في سورة القيامة ، أي بمعنى : منتظرة ، أما قوله تعالى : (**بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ()** ) [٥] ، وقوله تعالى : (

**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ()** ) [٦] ، وقوله تعالى : (**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ ()** ) [٧] ، وقوله تعالى : (**إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ()** ) [٨] .

قال أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ : يراد بذلك البعث ، فسماه الله لقاء ، وكذلك قوله عز وجل : ( **مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ()** ) [٩] .

---

٢ ــ الأنعام /١٠٣ .

٣ ــ النجم / ١٣ .

٤ ــ النمل / ٣٥ .

٥ ــ ظ : بحار الأنوار ص ٩٠ .

٦ ــ السجدة / ١٠ .

١ ــ الكهف / ١١٠ .

٢ ــ البقرة / ٤٦ .

٣ ــ التوبة / ٧٧ .

٤ ــ العنكبوت / ٥ .

يعني من كان يؤمن أنه مبعوث فان وعد الله لآت من الثواب والعقاب ، فاللقاء هنا ليس بالرؤية ، بل اللقاء هو البعث ، وكذلك قوله تعالى : ( **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ()** ) [1] . يعني أنه لا يزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون [2] .

ومن أمثلة رد المتشابه إلى المحكم من الآي ، لبيان مراد الله سبحانه وتعالى ، ما ورد في القرآن من ذكر ( الإزاغة ) بوجهي التفسير ـ المحكم والمتشابه ، حيث أن الضابط القرآني يقتضي رد متشابهه إلى محكمه ، فمثلا قوله تعالى : (**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ()** ) [3] ، فهذه الآية من المتشابه ولبيان مراد الله منها ، لا يجوز حمل المعنى على ظاهر الآية ، لأن ذلك يؤدي إلى القول إن الله ـ سبحانه ، يضل عن الإيمان ، والله سبحانه منزه عن ذلك ، وهو قبيح ، والله جل شأنه غني عنه ، وهو الأدرى باستغنائه عنه .

لقد حببنا الله جل وعلا ـ بالإيمان وأوجب علينا ترك الكفر ونهانا عنه ، وحذرنا منه ، و إذا لم يحمل كلام الله ـ سبحانه ـ على ظاهره ، لا بد من تأويله ، فوجب ردّه إلى ما جاء من المحكم في هذا المعنى ، وهو قوله تعالى : (**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ()** ) [4] ، فالزيغ الأول كان منهم والزيغ الثاني كان من الله ـ سبحانه ـ على سبيل العقوبة لهم فالزيغ الأول قبيح ومعصية ، والزيغ الثاني ، حَسَنٌ إذا كان جزاء وعقوبة [5] .

وهذا التحليل يصدر عن عقلية متبحرة في العلوم العقلية والكلامية واللغوية ، وقد عُرف الشريف الرضي بهذا كله للكشف عن مراد الله في رد متشابهه إلى محكمه ،

---

٥ ـ الأحزاب / ٤٤ .

٦ ـ ظ : بحار الأنوار ، المجلسي ص ٩٠ ـ ٩٨ .

٧ ـ آل عمران / ٨ .

١ ـ الصف / ٥ .

٢ ـ ظ : حقائق التأويل ، الشريف الرضي ص ٢٤ .

وتلك من نعم الله على العباد إذ هيّأ لهذا الدين الحنيف من ينافح عنه بطرد الشبهات وإقامة الدين الحق .

وقد أعتمد كثير من العلماء على هذا الأسلوب ، أي : أسلوب تفسير القرآن بالقرآن ، وذلك بحمل المتشابه على المحكم ، وهو مبدأ سليم وطريقة مثلى لفهم النص القرآني سيما في مجال تفسير متشابه القرآن ، فالقرآن يفسّر بعضه بعضا وينطق بعضه ببعض كما أسلفنا ، ومن أمثلة ذلك ما قيل في ردود من فسّر الزيادة في قوله تعالى : (**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** () ) [1] ، بالرؤية يوم القيامة . قال ابن شهر آشوب : " الظاهر أنه لا دلالة على ما قالوه ، لأن الزيادة لا تعقل بمعنى الرؤية ، ولا يجوز أن يخاطب الله تعالى بما ليس في لغتهم إلا مع البيان لذلك ، وإنما يصح ذلك في الشرع من حيث لم يكن لما أمر به في أصل اللغة اسم موضوع وليس كذلك الرؤية ، ولا بيان ــ ها هنا " [2] ، إلى أن قال : ( وقوله ( للذين أحسنوا الحسنى ) مثل قوله : (**الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى** () ) [3] . فمعنى ( الحسنى ) الثواب ، ومعنى ( السوأى ) العقاب ، ومعنى الآية مفسرٌ في القرآن في مواضع ، وهو أنه يعني به : أن للمحسن جزاء إحسانه وزيادة تحصل له لا يستحقها بفعله ، كما قال : (**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** () ) [4] . و (**لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ** () )[5] . فبين أن الزيادة من فضله ، ولم يقل : من رؤيته ، ولا معدّل عما بينه الله تعالى) [6]

---

٣ ــ يونس / ٢٦ .

١ ــ متشابه القرآن ، ابن شهر آشوب ١ / ١٠٠ .

٢ ــ الروم / ١٠ .

٣ ــ الأنعام / ١٦٠ .

٤ ــ فاطر / ٣٠ .

٥ ــ متشابه القرآن ، ابن شهر آشوب ١ / ١٠٠ .

. وفي قوله تعالى : (**مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** () ) [1] .

ففي الآية الكريمة لا يجوز أن يفسر النص على عمومه وتعليل ذلك أنه تعالى لا يشاء أن يضل الأنبياء والمؤمنين مثلما هو لا يهدي الكافرين ، والحجة في ذلك قوله تعالى : (**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى** () ) [2] ، وقوله تعالى : (**وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ** () ) [3] ، وقوله تعالى : (**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ** () ) [4] . وأن تأويل ( من يشأ الله يضلله ) ، أي : يخذله بأن يمنعه ألطافه إذ أعرض عن الأدلة ، فيكون كالأصم والأعمى [5] .

وفي قوله تعالى : ( **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** () [6] . والمعنى : في الآخرة ، بدلالة الآية الكريمة (**حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** () ) [7] .

وقد جاء في الأخبار ( أن كل آدمي يدخل جهنم يقرن بشيطانه الذي كان يقبل منه في دار الدنيا ) [8] .

ومما جاء أيضا في هذا الأسلوب من تفسير القرآن بالقرآن ، ما جاء في قوله تعالى : (**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا** () ) [1] على معنى : « نكِلُ بعضهم إلى

---

٦ ـ الأنعام / ٣٩ .

٧ ـ محمد / ١٧ .

٨ ـ إبراهيم / ٢٧ .

٩ ـ البقرة / ٢٦ .

١ ـ ظ : متشابه القرآن ، ابن شهر آشوب ص ١ / ١٣٩ .

٢ ـ الزخرف / ٣٦ .

٣ ـ الزخرف / ٣٨ .

٤ ـ متشابه القرآن ١ / ١٦٨ .

بعض في الآخرة ، فنكل الذين كانوا يعصون الله بأمر هؤلاء الظالمين وإتباع أهوائهم إليهم ليوقنوا بالإياس من رحمة الله ، إذ كانوا لا يملكون لهم في الآخرة نفعا ، ويدل على أنه في الآخرة ، قوله تعالى : (**بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ()** ) [٢] ، وهو مثل قوله : (**نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ()** ) [٣] ، أي : نكله إلى ما كان عبده في الدنيا من

الآلهة » [٤] .

وكذلك ما جاء بقوله تعالى : (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ()** ) [٥] ، علة معنى اقتضاء إثبات القدرة على تكوين ذلك الشيء ، وأنه تعالى : لو شاء أن يؤمن الكل على سبيل الجبر لآمنوا ، بدليل قوله تعالى : (**إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ()** ) [٦] .

ومما يدل على أن المراد به الإكراه قوله تعالى : (**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ()** ) [٧] . والمعنى انه لا ينبغي أن يريد إكراههم ، لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريده بسبب أن هذا ينافي التكليف [٨] .

ويورد ابن شهر آشوب مثالا آخر من القرآن مصداقا لهذا المطلب : ففي قوله تعالى : (**إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ()** ) [١] ، فلقد صرّح بتأويلها عندما

---

٥ ـ الأنعام / ١٢٩ .

٦ ـ الأنعام / ١٢٩ .

٧ ـ النساء / ١١٥ .

١ ـ متشابه القرآن ١ / ١٦٨ .

٢ ـ يونس / ٩٩ .

٣ ـ الشعراء / ٤ .

٤ ـ يونس / ٩٩ .

٥ ـ ظ : متشابه القرآن ١ / ١٤٢ .

جمع بينها وبين قوله تعالى : (**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ()** ) [2] . بقوله : لم يتناول نفي النسب ، وإنما تناول نفي أن يكون من أهله الذين وعد الله بنجاتهم ، كقوله تعالى : (**احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ()** ) [3] ، وبيّن ذلك قوله تعالى : (**وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ()** ) [4] . وهناك رأي آخر ، أي : ليس على دينك ، واستند إلى ما قاله الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ : ( **سلمان منا أهل البيت** ) [5] ، أما قوله تعالى : ( إنه عمل غير صالح ) ، على سبيل التعليل [6] .

وقال الحسن ومجاهد :انه كان لغيره ، وولد على فراشه فسأل نوح ــ عليه السلام ــ على الظاهر ، فاعلم الله باطن الأمر فنفاه منه على ما علمه ، فيكون على هذا هو نفسه عمل غير صالح . وقد ردّ على هذا ابن شهر آشوب منكرا بالقول « هذا سقيم»[7] .

وكذلك استهجن الشيخ الطوسي هذا القول وردّه قائلا : وهذا الوجه ضعيف ، لأن في ذلك طعنا على نبي ، وإضافة ما لا يليق به إليه [8] .

عندما نريد الحديث عن آيات القيامة ننظر إلى كلمة التأويل التي وردت فيها ، نظير قوله تعالى : (**هَلْ ظونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ()** ) [9] ، وحين نجمع بين

---

٦ ــ هود / ٤٥ .

٧ ــ هود / ٤٦ .

١ ــ هود / ٤٠ .

٢ ــ هود / ٤٥ .

٣ ــ عيون أخبار الرضا ( ع ) ، الشيخ الصدوق ١ / ٨٢ .

٤ ــ ظ : متشابه القرآن ١ / ٢١٧ .

٥ ــ المصدر نفسه ١ / ٢١٧ .

٦ ــ ظ : التبيان ، الطوسي ٥ / ٤٩٥ .

٧ ــ الأعراف / ٥٣ .

هذه الآية وأختها في قوله تعالى : (**لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** () ) [1] . نستنتج أن سنخ مشهد يوم القيامة ، وأوضاعها هو غيره من سنخ المشاهد الحسية في الدنيا ، مثلما تختلف أوضاع القيامة والأنظمة المتحكمة فيها عما هي عليه من أوضاع هذا العالم الذي نعيش فيه [2] ، الأمر الذي يشكل علينا من معاني الآيات ، فنعود فيه إلى آيات أخرى من كتاب الله نستنطقها ونستبينها ، إلى جوار ذلك نعتمد على ما يصلنا من أخبار متواترة عن الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ فضلا عن الأخبار التي تحمل معها دلائل صدقها ، وكذلك الأحاديث الواردة عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ التي يجب علينا الالتزام بها استنادا إلى حديث الثقلين ، وهذا ما سنتطرق إليه لا حقا . إن الذي يتدبر القرآن ، ويتمعن به ، لا بد أنه يجد لكل آية مدلولا يفصح عن معناه ، ويكشف عن مراد الله منه .

فالآيات ذوات المداليل الواضحة للعيان ليس بها حاجة إلى تمعن وتدبر ، أما الآيات التي تنطوي تحت أكثر من مدلول ، فهي المتشابهة ، وإرجاع هذه المداليل ، بعضها إلى البعض الآخر والجمع بينها ، يتضح المعنى الحقيقي الواقعي الذي تدل عليه الآية.

وهذا يعني من الناحية الواقعية أن هناك آيات هي الأساس والأصل والجذر لآيات أخر والتي يتضح معناها بإرجاعها إلى تلك الأصول [3] ، فعلى سبيل المثال : قوله تعالى : (**ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ** () ) [4] ، وكقوله تعالى : (**ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى**

---

١ ــ ق / ٢٢ .

٢ ــ ظ : مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي ، محمد حسين الطباطبائي ص ٣٣٢ .

٣ ــ ظ : المصدر نفسه ص ٣٢٠ .

٤ ــ الأنعام / ٦٢ .

**عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ()** ) [1] . أي : الرد إلى حكمه تعالى ، يوم لا حكم إلا حكمه ، وهو أسرع الحاسبين [2] . ونظير ذلك قوله تعالى : (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ()** ) [3] .

ومن خلال هذا التمثيل تتضح فكرة إرجاع بعض الآي إلى آيات الأصل والجذر ليتضح معناها ، على وفق مبدأ رد المتشابه إلى المحكم .

وتأسيسا على ما قدمنا في هذا المبحث من تفسير القرآن بالقرآن وجد الباحث موضوعا ذا صلة بهذا الضرب من التفسير ، وهو أن بعض الآيات ليس لها ارتباط بمواضع الإبهام والتشابه في نظيرتها لا من الناحية اللفظية أو المعنوية ، ويمكن أ ن تكون شاهدا على رفع ذلك الإبهام والتشابه ، ومن أمثلة ذلك آية السرقة (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ()** ) [4] . فقد أستدل الإمام الجواد ــ عليه السلام ــ بقوله تعالى : (**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ()** ) [5] ، لتعيين قطع اليد من موضع الأشاجع " مفصل أصول الأصابع " ، لأن مواضع السجود لله تعالى ، وأن الشيء الذي يكون لله ، فلا موضع للقطع فيه [6]

والذي يراه الباحث هنا أن آية السرقة ليست من آيات التشابه وإنما أحتج بها الإمام الجواد ــ عليه السلام ــ لاستنباط حكم شرعي حيث أنه دل على موضع القطع في اليد مستدلا بآية الجن (**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ** ) لإزالة التعارض بين حكمين شرعيين .

---

١ ــ الجمعة / ٨ .

٢ ــ ظ : التمهيد ، محمد هادي معرفة ص ١٣١ .

٣ ــ القصص / ٨٨ .

٤ ــ المائدة / ٣٨ .

٥ ــ الجن / ١٨ .

٦ ــ ظ : تفسير العياشي ١ / ٣١٩ ــ ٣٢٠ . وظ : التفسير والمفسرون ،محمد هادي معرفة ٢ / ٢٢ ــ ٢٥ .

والمفسر الدلالي إنما يتضح جهده حين يرد آية إلى آية أخرى ليفسرها بها « فإنما يقوم بعملية ذهنية ذاتية واضحة تتطلب قبل كل شيء تتبعا لنصوص القرآن في الذهن كما تتطلب مهارة وفهما » [١] .

ويتضح مثل هذا التفسير الدلالي الموازن عند الشريف المرتضى في بيانه ، لدلالة قوله تعالى : (**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ()** ) [٢] ، فقد ذكر قولا لـ ( قطرب ) وهو أن في الكلام ( قلبا ) والمعنى : خُلق العجل من الإنسان لكنه رفض هذا الرأي ، معللا : « لأن العجل فعل من أفعال الإنسان فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ، ولو كان كذلك لما جاز أن ينهاهم عن الاستعجال ، في الآية ، فيقول ( **سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ** ) لأنه لا ينهاهم عما خلقه فيهم » [٣] . وذكر قولا آخر ورجحه ، وهو أن يكون معنى القول : المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة . ويستند المرتضى في هذا إلى قرائن قرآنية متصلة وأخرى منفصلة ، فيقول : « ويشهد لهذا التأويل قوله في موضع آخر (**وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ()** ) [٤] ، ويطابقه أيضا قوله تعالى : (**فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ** ) ، لأنه وصفهم بكثرة العجلة ، وإن من شأنهم فعلها توبيخا لهم وتقريعا ، ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال » [٥] .

---

١ ــ تفسير القرآن بالقرآن ، د . كاصد الزيدي ( بحث منشور ) ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦ ، مجلة الرافدين ــ جامعة الموصل ع ١٢ السنة ١٤٠٠هـ .

٢ ــ الأنبياء / ٣٧ .

٣ ــ أمالي المرتضى ١ / ٤٦٦ ــ ٤٦٨ .

٤ ــ الإسراء / ١١ .

١ ــ أمالي المرتضى ١ / ٤٦٥ ــ ٤٦٦ .

وذهب القرطبي ( ت ٦٧١هـ ) إلى هذا المعنى ، إذ إنه حمل الكلام في الآية على المبالغة في الوصف [1] ، ورفض القول بالقلب كما قال ( قطرب ) وعلل ذلك « لا ينبغي أن يُجاب به في كتاب الله ، لأن القلب إنما يقع في الشعر اضطرارا » [2] .

والمسألة عند الزمخشري أن العجلة سجية وطبع عند الإنسان ولكن الله تعالى نهاهم وزجرهم عنها لذلك قد ذم الإنسان على إفراط العجلة لأن الإنسان مطبوع عليها ، ولا يرى الزمخشري من أن هذا من باب مما لا يطاق في التكليف لأن سبحانه وتعالى ركّب في الإنسان الشهوة ، وأمره أن يغلبها لأنه سبحانه أعطاه القدرة على قمع الشهوة وترك العجلة [3] ، وعلى هذا لا يرى الباحث أن في الكلام قلبا كما زعم ( قطرب ) ويتفق مع ما قرره الشريف المرتضى في أن العجلة من فعل الإنسان وله القدرة على التغلب عليها.

وخلاصة ما يراه الباحث أن أسلوب تفسير القرآن بالقرآن من الأساليب التي أعتمد عليها كثير من أئمة العلماء والمفسرين لتفسير النص وبيان دلالاته ، وهو أسلوب ـ كما أتضح بالدراسة ـ يقوم على حشد الآيات القرآنية لبيان مراد الله منها وتأييد مصاديقها ، فالمفسّر هنا يستنطق القرآن نفسه ويطبق الآراء التي استقاها من السياق القرآني ويسخرها أداة في التفسير، وهو قد يستعين بأكثر من أداة لأجل توضيح الآية دلاليا .

## ج ـ الراسخون في العلم :

### ١ ـ أهل البيت ( عليهم السلام ) خاصة :

---

٢ ـ ظ : الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٨٨ .

٣ ـ ظ : المصدر نفسه ١١ / ٢٨٨ .

٤ ـ ظ : الكشاف ، الزمخشري ٣ / ١١٤ ـ ١١٥ .

التأويل واجب وضروري لدواعي استخراج معاني القرآن واستنباط مراميه ، واكتشاف أبعاده طبقا لمنطوق تصريح القرآن الكريم بنفسه خاصة في الآية السابعة من آل عمران ، وقوله تعالى : (**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ () هَلْ ظونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ ()** ) [1] ، من الواضح أن هذه الآية تؤكد على الغوص في دلالات القرآن الكريم وأبعاده ، وفهم معاني القرآن لا تتأتى إلا لمن أمتلك بصيرة نافذة ، وعلم وافر ، وصفاء قلب ، وهذه الاشتراطات لا تتوفر إلا بمن اختارهم الله وهم الصفوة المختارة ، وهم النبي ( صلى الله عليه وآله ) وأهل بيته المعصومين ــ عليهم السلام ــ [2] .

فقد سُئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ـ عمّن يسألونه في فهم معاني القرآن ، فأجابهم ــ عليه السلام : « سلوا عن ذلك علماء آل محمد » [3] . وقد وردت عن ذلك روايات كثيرة بيّنت أن معاني القرآن لا يفهمها إلا أهل بيت نزل عليهم القرآن ، ومن أخذ عنهم من الرواة والمحدّثين والعلماء [4] .

ومن المقطوع به تثبيتا ورواية وأطروحة ، أن للقران محكمة ومتشابهه تأويلا ، وان العقول قاصرة في الوصول إلى التأويل والارتقاء إلى نيل درجات فهمه إلا نفوس طهرها الله وأزال عنها الرجس ،وهؤلاء أمكنهم الله وأودع فيهم قدرة مس القرآن والوقوف على حقائقه ، لكشف مراد الله سبحانه وتعالى ، وما قوله تعالى : (**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ () فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ () لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ()** ) [5] أكبر دليل

---

١ ــ الأعراف / ٥٢ ــ ٥٣ .

٢ ــ ظ : تفسير ( أبو حمزة ) الثمالي ص / ٦ .

٣ ــ بصائر الدرجات ، محمد بن الحسن الصفار ص ٢١٦ .

٤ ــ ظ : بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ٨٢ / ٩ .

١ ــ الواقعة / ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ .

على أن الكتاب لا يمسه إلا المطهرون ، والمس في الآية الكريمة يعني : العلم به ، وأما دلالة ( المطهرون ) فتعني : الذين عصمهم الله وطهر نفوسهم وقلوبهم من أرجاس المعاصي ، وقذرات الذنوب ، فأمست قلوبهم مرتبطة بربهم ــ جل وعلا ــ لا بغيره ــ سبحانه .

إن معنى التطهير هنا موافق لمعنى المس الذي هو العلم بعيدا عن الخبث أو الحدث [١] .

ومصداق ذلك ما جاء في قوله تعالى : (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** () ) [٢] ، فهي تدل على قصر إرادة الله سبحانه في إذهاب الرجس والتطهير عن أهل البيت ، أي : هم الذين خصهم الله بإرادته ، في إذهاب الرجس عنهم [٣] . وهناك كثير من الروايات سواء عن طريق أهل السنة أم عن جمع كثير من الشيعة تؤكد كلها على أن آل البيت هم الخمسة ــ عليهم السلام « فاطمة وعلي والحسن والحسين ـ إضافة إلى الرسول » ــ صلوات الله عليهم ــ .

قال الآلوسي في تفسيره : « أخرج الترمذي والحاكم وصححاه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، والبيهقي في سننه من طرق أم سلمة ( رضي الله عنها ) قالت : في بيتي نزلت (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ** ) وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين ، فجللهم رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بكساء كان عليه ، ثم قال هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » [٤] .

وذكر الطباطبائي في تفسيره ، أن هناك روايات كثيرة تزيد على سبعين حديثا ، ورد منها عن طرق أهل السنة ومنها عن طرق الشيعة . فطرق السنة عن طريق أم

---

٢ ــ ظ : الميزان ، الطباطبائي ١٩ / ١٣٧ .

٣ ــ الاحزاب / ٣٣ .

٤ ــ ظ : الميزان ١٦ / ٣٠٩ .
١ ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، الآلوسي ٢٢ / ٢١ .

سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري ، وسعد ، ووائلة بن الاسقع ، وأبي الحمراء ، وابن عباس ، وثوبان ، مولى النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ وعبد الله بن جعفر ، وعلي والحسن بن علي ــ عليهم السلام ــ في قريب من أربعين طريقا ، والذين رووه من الشيعة عن علي والسجاد والباقر والصادق ، والرضا ــ عليهم السلام ــ وأم سلمة وأبي ذر ، وأبي ليلى ، وأبي الاسود الدؤلي ، وعمرو بن ميمون الأودي في بضع وثلاثين طريقا ، وأكثر هذه الروايات تؤكد عدم شمول الآية لأزواج النبي ( صلى الله عليه وآله ) ، أي : شمول للخمسة فقط " صلوات الله عليهم وسلم " [1] .

فالرسوخ في العلم حسب المعنى اللغوي لهذه الكلمة فإنها تعني الذين لهم قدم ثابتة في العلم والمعرفة ، كما في قوله تعالى : (**لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** () ) [2] ، ومعنى الكلمة المشار إليها في الآية واسع يضم جميع العلماء والمفكرين ، وإنما المخصوصون أولئك الذين لهم مكانتهم الخاصة يأتون على رأس مصاديق الراسخين في العلم ، وتنصرف إليهم الأذهان عند سماع هذه الكلمة دون غيرهم ، وهذا ما تذهب إليه بعض الأحاديث لدى تفسيرها كلمة ( الراسخين ) من أن المقصود بهم ، النبي ( صلى الله وعليه وآله ) وأئمة الهدى ــ عليهم السلام .

قد تقدم من القول ، إن لكلمات القرآن ومفاهيمه معاني واسعة مصاديقها البارزة ، الشخصيات النموذجية التي تُذكر على رأس المفسرين والمؤولين للكلمات والمفاهيم.

عن برير بن معاوية ، قال : " قلت لأبي جعفر الباقر ــ عليه السلام ــ قول الله ( وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ) قال يعني : تأويل القرآن كلّه إلا الله والراسخون في العلم ، فرسول الله أفضل الراسخين ، وقد علّمه جميع ما أنزل عليه

---

٢ ــ ظ : الميزان ١٦ / ٣١١ .

٣ ــ النساء / ١٦٢ .

من التنزيل والتأويل وما كان الله منزلا عليه شيئا لم يعلمه تأويله ، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله » [1] .

وهناك أحاديث كثيرة أخرى تصب في هذا الاتجاه منها :

١ ـ محمد بن يعقوب عن معلى بن محمد عن محمد بن أورمة عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله ــ عليه السلام ــ ، في قوله تعالى : (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ** () ) [2] ، قال : أمير المؤمنين والأئمة ـ عليهم السلام ـ ( وأخر متشابهات ) قال : فلان وفلان ( فأما الذين في قلوبهم زيغ ) : أصحابهم وأهل ولا يتهم ، (**فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ) : أمير المؤمنين والأئمة ـ عليهم السلام ـ [3] .

٢ ـ وعنه عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن أيوب بن الحر ، وعمران بن علي عن أبي بصير عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال : ( نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله ) [4] .

٣ ـ وعنه بإسناده عن أحمد بن محمد عن محمد بن أبي عمير عن سيف بن عميرة عن أبي الصباح الكناني ، قال : قال أبو عبد الله ( عليه السلام ) : نحن قوم فرض الله ــ عز وجل ــ طاعتنا ، لنا الأنفال ، ولنا صفو المال ، ونحن الراسخون في العلم [5].

---

١ ـ ظ : تفسير العياشي ، العياشي ١ / ١٦٤ .

٢ ـ آل عمران / ٧ .

٣ ـ الكافي ، الكليني ، ١ / ٣٤٣ ح / ١٤ .

٤ ـ المصدر نفسه ١ / ١٦٦ ح / ١ .

١ ـ ظ : الكافي الكليني ١ / ١٤٢ ح / ٦ .

٤ ـ وعن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في حديث له مع معاوية ، قال ـ عليه السلام ـ : يا معاوية إن القرآن حق ونور وهدى ورحمة وشفاء للمؤمنين الذين آمنوا (**وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى** () )[1] . يا معاوية إن الله ـ عز وجل ـ لم يدع صنفا من أصناف الضلالة والدعاة إلى النار إلا وقد ردّ عليهم واحتج في القرآن ونهى عن اتباعهم وأنزل فيهم قرانا ناطقا عليهم ، علمهُ من علمه ِوجهلهُ من جهلهِ وإني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يقول : « ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولا منه حرف إلا وله حد ولكل حد مطلع على ظهر القرآن وبطنه وتأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . وأمر الله ــ عز وجل ــ سائر الأمة أن يقولوا : ( آمنا به كل من عند ربنا ) وأن يسلموا لنا وأن يردّوا علمه إلينا ، وقال الله ــ عز وجل ــ : (**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** () ) [2] ويطلبونه » [3] .

٥ ـ قال علي بن إبراهيم : حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت ، قال : حدثنا الحسن بن محمد بن سماعة عن وهيب بن حفص عن أبي بصير عن أبي عبد الله ــ عليه السلام ــ قال : سمعته يقول : إن القرآن زاجر آمر ، يأمر بالجنة ويزجر عن النار ، وفيه محكم ومتشابه ، فأما المحكم فيُؤمن به و يُعمل به ، ويُعتبر به ، وأما المتشابه ، فيؤمن به ولا يُعمل به ، وهو قوله : ( فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله

---

٢ ــ فصلت / ٤٤ .

٣ ــ النساء / ٨٣ .

٤ ــ ظ : كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ١٨٠ .

والراسخون في العلم ، يقولون آمنا به كل من عند ربنا ) قال : آل محمد الراسخون في العلم [1] .

٦ ـ وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ قال : ( وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ) ، نحن نعلمه [2] .

٧ ـ وعن أبي بصير عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ ، قال : نحن الراسخون في العلم ، فنحن نعلم تأويله [3] .

هذه الأحاديث وغيرها ، جُمع أغلبها في تفسير البرهان للبحراني، ونور الثقلين ، وكما ذكرنا أن تفسير ( الراسخين في العلم ) هم النبي ـ صلى الله وعليه وآله ـ وأئمة الهدى ـ عليهم السلام ـ ، وهذا لا يتعارض مع المفهوم الواسع في إرادة معنى ( الرسوخ ) ، فقد نقل عن ابن عباس ، أنه قال : " أنا أيضا من الراسخين في العلم " إلا أن كل امرئ يعرض للكشف عن أسرار التأويل بقدر ما يتحصل لديه من العلم ، لكن الذين يتصدرون هذا الباب إنما علمهم من علم الله اللا متناهي لا شك أنهم الأعلم بأسرار تأويل القرآن ، وأما الآخرون فإنهم يعلمون جزءا من تلك الأسرار[4].

أن التدبر والنظر إلى باطن القرآن لا يقوم على أساس الهوى والرأي الشخصي ، بل يخضع إلى قواعد وأسس وحجج وبراهين ، وكان اهتمام الأئمة ـ عليهم السلام ـ ببواطن القرآن الكريم نابع من مكانتهم الجليلة بوصفهم آل بيت النبوة .

فقد اعتنوا كثيرا بالتأويل [5] ، والتأويل عندهم ، هو التأويل العميق المقيد بقيود دينية [1] .

---

١ ـ ظ : تفسير القمي : ٢/ ٤٥٥ .

٢ ـ تفسير العياشي ، العياشي ١ / ١٨٧ ح ٦ .

٣ ـ ظ : المصدر نفسه ١ / ١٨٧ ح ٨ .

٤ ـ ظ : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٢/ ٢٧٧ـ ٢٧٨.

١ ـ ظ : تفسير الميزان ، الطباطبائي ١ / ٧ .

ثم بين الآملي أن التأويل لا يمكن أن يتحقق إلا لمن أرتبط بخالقه عملا وقلبا ، لأنه لا يتحقق إلا على قاعدة التوحيد وأصوله ، وقوانينه ، لأنه الأصل في الدين والأساس في الإسلام ، وعلمه أعظم العلوم ، وأشرفها ، وسرّه أعظم الأسرار وأنفعها (٢) .

قال أمير المؤمنين علي ــ عليه السلام ــ : « أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده ، الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة » (٣) .

ولعل هذا في مضامينه هو ذاته ما أشار إليه الإمام جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ بقوله : « اللهم إني أسألك بتوحيدك الذي فطرت عليه العقول ، وأخذت به المواثيق وأرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب ، وجعلته أول فرائضك ، ونهاية طاعتك ، فلم تقبل حسنة إلا معه ، ولم تغفر سيئة إلا بعده » (٤) .

وتعزيزا لمصاديق هذا المبحث فيما تقدم من القول بأن أهل البيت ــ عليهم السلام ــ ، بما عرف عنهم من الإهتمام والعناية بالتأويل ، بأنهم قد لمسوا من المتشابه وجه الشبه فيه أولا ، ليتمكنوا من الوصول إلى وجه تخريجه الصحيح في نهاية الأمر ، وأن صفة الراسخين في العلم هي أن الله عز شأنه ــ قد أودع فيهم علمه ، فعرفوا قواعد الدين ، ودرسوا واقع الشريعة ــ أصولها ومبانيها الرصينة ، فعندما جوبهوا بظاهر القرآن علموا أن له تأويلا صحيحا من خلال ما أودع الله فيهم من علمه ، وعلى هذا فهم يعلمون تأويل المتشابهات بفضل رسوخهم في فهم حقيقة الدين ــ تحت

---

٢ ــ ظ : القرآن في الإسلام ، الطباطبائي ص ٥٩ .

٣ ــ ظ : تفسير القرآن العظيم ، الآملي ١ / ٤٤٢ .

٤ ــ نهج البلاغة ، الإمام علي بشرح ابن أبي الحديد ــ الخطبة الأولى .

٥ ــ تفسير المحيط الأعظم ، حيدر الآملي ١ / ٢٢٩ .

عناية رب العالمين (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا () )** [1] ، (**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى () )** [2] ، وقوله تعالى : (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ () )** [3] ، وقوله تعالى : (**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا () )** [4] . والعلم بالشريعة السمحاء إنما هو من الماء الغدق ، شربة يفيضها الله على علمائه الصادقين الذين يطلعهم على أسرار الملك والملكوت في العالمين ، وكما ذكرنا فيما تقدم من قول الامام محمد بن علي الباقر ــ عليه السلام ــ ، أنه قال : أفضل الراسخين في العلم رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ ولم ينزل شيء عليه إلا ويعلم تأويله [5] .

ثم باب مدينة علمه أمير المؤمنين علي ــ عليه السلام ــ والأوصياء من بعده ــ صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الامام جعفر بن محمد الصادق ــ عليه السلام ــ : « إن الله علّم نبيه التنزيل والتأويل ، فعلّم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) عليا ــ عليه السلام ــ ، وعلّمنا والله » [6] .

وهكذا أستمر بين أظهر المسلمين عبر العصور رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فثبتوا واستقاموا على الطريقة فسقاهم ربهم ماء غدقا .

قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ( **يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين** ) [1] .

---

١ ــ العنكبوت / ٦٩ .

٢ ــ مريم / ٧٦ .

٣ ــ فصلت / ٣٠ .

٤ ــ الجن / ١٦ .

٥ ــ ظ : بحار الأنوار ــ المجلسي ٩٢ / ٧٨ .

١ ــ تهذيب الاحكام ،الشيخ الطوسي ٨ / ٢٨٦. ظ : وسائل الشيعة ، الحر العاملي ٢٢٤/٢٣.

الراسخ من أهل البيت لا يحكم إلا بما أمر الله به ، والحكم هنا بمعنى التعليم ، لأنه « الراسخ في العلم الإلهي والأوضاع النبوية وهو يحكم بحسب الظاهر والباطن على مجموع القرآن ظاهرا وباطنا إلى أن يصل إلى السبعة أبطن ، فإن ذلك كله مخصوص بعد النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ بأهل بيته وذريته » (٢) .

وما جاء عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من خطب وأقوال تدل على اختصاص التأويل بأهل البيت ، منها :

ـ ما جاء في خطبة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : « أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا أنا رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى ويُستجلى العمى ، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم » (٣) .

وعنه أيضا ، عليه السلام : ( أين تذهبون ، وأنى تؤفكون ، والأعلام قائمة ، والآيات واضحة ، والمنار منصوبة ، فأين يتاه بكم ، وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم ، وهم أزمة الحق وأعلام الدين ، وألسنة الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم العطاش ، أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ « أنه يموت من مات منا وليس بميت ، ويُبلى من بلى منا وليس ببالٍ) ، فلا تقولوا بما لا تعرفون ـ فإن أكثر الحق فيما تنكرون » (٤) .

---

٢ ـ سفينة البحار ، الشيخ عباس القمي ١ / ٥٥. وظ : التمهيد ، محمد هادي معرفة ص ٤٦.

٣ ـ كتاب نص النصوص ، سيد حيدر الآملي ص ٣٧ .

١ ـ نهج البلاغة / الخطبة ١٤٤ .

٢ ـ المصدر نفسه / الخطبة ٨٧ .

وقد نقلت هذه الأقوال في تفسير المحيط الأعظم ، وقد أطال فيها الآملي في معالجة من هم أحق بالتأويل [1] .

فأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم عِدل القرآن والناطقون عنه والمتلقون علمه عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ فهم القادرون على فهم معنى النص وتأويله ، وكشف دلالات معانيه ، وقد اختصوا بهذا الإرث العظيم ، وهذه الأهلية المتفردة ، ولهم الأولوية في معرفة مقاصد القرآن ، لأنهم ينابيع المعرفة والعلم الذي يتلقاه الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ عن طريق الوحي ، فهو صلى الله عليه وآله ، القائل : ( أنا مدينة العلم وعلي بابها ) ، فمن أراد المدينة فليأت من الباب [2] .

فالامام علي ـ عليه السلام ـ ، معلوم المنزلة من رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ووصيه ، ووارث علمه ، ومكمل لمهمته ، بل هو نفسه بدلالة آية المباهلة (**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**) ) [3] . فعلم الإمام ـ عليه السلام ـ من علم الرسول ـ صلى اله عليه وآله ـ و لا منازع في هذا وحسبنا في هذا عشرات الروايات التي نقلت عنه تأييدا لذلك . « إن ما نقل من أعاجيب المعارف الصادرة عن مقامه العلمي الذي يدهش العقول مأخوذة من القرآن الكريم » [4] ، ويؤكد ـ عليه السلام ـ ذلك لمن سأله :

ـ هل عندكم شيء من الوحي ؟ فقال : « لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبدا فهما في كتابه » [5] .

---

٣ ـ ظ : تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم ١ / ٤٣٤ .

٤ ـ المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ٣ / ١٢٦ .

١ ـ آل عمران / ٦١ .

٢ ـ الميزان ، الطباطبائي ٣ / ٧١ .

٣ ـ بحار الأنوار ، المجلسي ٨ / ١٢٦ .

فالإمام ــ عليه السلام ــ وأبناؤه من بعده الذين وُرثوا هذه الخصوصية العلمية ، خير من قام نافح عن الدين وتعاليمه بعد وفاة الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ ، إذ برزت قضايا جديدة استلزمتها طبيعة اتساع رقعة الدين وما تمخض عن ذلك من تلاقح فكري وحضاري وعقائدي ، فرض هذا الواقع على من يحمل مهمة الحفاظ على الدين مسؤوليات جسيمة للحفاض على العقيدة وحمايتها من العابثين في مناخ فكري فريد بعيد عن التعصب والتأويل المتعسف . ومع أن النص غير مقيد بفئة معينة ، إلا أن الناس كانوا يتفاوتون في القدرة على فهمه وكشف دلالاته وتدبر مفاهيمه ، وإحاطته بكل أبعاد التطور في كل زمان ومكان بوصفه تبيانا لكل شيء .

وهذا الأمر به حاجة إلى الاهتداء بعلامات وضوابط وآليات لا توفر إلا عند العقل المعصوم الذي خصه الله بالقدرة على استنطاق النص لمعرفة محكمه ومتشابهه وظاهره وباطنه ، فقد روى الكليني : أن الإمام الصادق ــ عليه السلام ــ ، فسّر قوله تعالى : ( وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ) أنه أمير المؤمنين والأئمة من ولده ــ عليهم السلام ــ [1] بالتلقي عن الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ[2].

وعن الإمام الصادق ــ عليه السلام ــ قوله : « إنا أهل البيت عندنا معاقل العلم وآثار النبوة ، وعلم الكتاب ، وفصل ما بين الناس » [3] .

وعلمهم ــ عليهم السلام ــ ، يتعدى ما في القرآن إلى الكتب السماوية الأخرى ، فقد روي عند أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ قوله : « لو ثنيت لي الوسادة ، لحكمت

---

١ ــ ظ : الأصول من الكافي ــ الكليني ١ / ٤١٥ .

٢ ــ ظ : تلخيص الشافي ، الطوسي ١ / ٢٥٣ .

٣ ــ الاختصاص ، الشيخ المفيد ص ٣٠٩. وظ : بحار الأنوار ، المجلسي ٢٦ / ٣٢ .

بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم » [١] .

ونطاق تحقق علمهم هم محكم الكتاب ومتشابهه على حد سواء وإن وجد غيرهم في مشاركتهم تأويل المحكم ، وأما المتشابه فلا يشاركهم في تأويله أحد ، لأنهم الأصل في الاختصاص بهذا المتشابه . ومعينهم الذي يصدرون عنه هو رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ ( الإمام لا يكون عالما بشيء من الأحكام إلا من جهة الرسول صلى الله عليه وآله ) [٢] .

ومعهم ، لا وجود للمتشابه ، إذ ينكشف المراد منه يقينا فـ « التشابه والإجمال ، إنما هو الاحتمال النقيض ، وهو من عدم العلم اليقيني ، فأما من علم يقينا جزما بمراد الله من هذا اللفظ ، وهم المعصومون يقينا ، فلا يكون مجملا أو متشابها بالنسبة إليه » [٣] .

ويستنتج الباحث من كل ما ذكر من الأدلة القطعية برسوخ قدم آل بيت النبوة ( عليهم السلام ) بعلم التأويل ، وكشف مراد الله ــ سبحانه . وطريق ذلك هو التعليم من رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وعلى وفق هذا يكون علم التأويل مختص بالله تعالى ، وبرسوله ( صلى الله عليه وآله ) والأئمة المعصومين ــ عليهم السلام ــ ومن تعلم منهم تعلما مباشرا وافيا لمختلف جوانب علوم القرآن ومراميه ، وليس من سمع منه ــ صلى الله عليه وآله ــ شيئا وفاتته أشياء .

وأما العلماء الذين لا يصدرون عن علم آل البيت في أمور فهمهم لعلم التأويل ، فلا يستطيعون إلى كنه هذا العلم وأن حاولوا . وهذا ما سنبحثه تفصيلا لاحقا .

---

٤ ــ المسترشد ، محمد بن جرير الطبري ص ٨٩ . وظ : عين العبرة ــ جمال الدين آل طاووس ص ١١ ، والصراط المستقيم ــ علي بن يونس العاملي ١ / ٢١٧ .

٥ ــ تلخيص الشافي ، الشيخ الطوسي ١ / ٢٥٣ .

١ ــ الألفين ، العلامة الحلي ص ٤١٢ .

**٢ ـ العلماء عامة :**

التأويل علم يفتح به الله على أصحابه ، وفهم يؤتيه الله لهم ، ويعتمد على الموهبة والملكة والتدبر ، وهذا لا يتحقق في كل مفسر ، ويقع التفاوت بين أهل التأويل على نحو بيّن ، فكل مؤول لا بد من أن يكون مفسّرا ضمانا لصحة تأويله ، في حين لا يصح أن يكون كل مفسّر مؤول [١] .

ذُكر أن التفسير والتأويل مرحلتان متتابعتان فلا يجوز تأويل القرآن قبل التمكن من تفسيره ، ذلك لأن من مقومات التفسير الدراسة والإطلاع وأما التأويل فو ملكة يهبها الله لمن يشاء من العلماء الربانيين ، والدليل على ذلك تفاوت العلماء في فهم معاني القرآن . فمنهم من لا يتعدى الوقوف على ظاهر الآية ، ويقف عند المعنى القريب المتبادر إلى الذهن . ومنهم من يذهب بعيدا في الغوص بتأويل الآية طلبا للتدبر فيها والوقوف على إشارتها للإمساك بالمعنى البعيد غير المتبادر للذهن ، لذلك ، المؤولون من العلماء وصلوا إلى هذه المدينة العلمية عن طريق العلم والدراسة والمعرفة والرياضة ، وقد أفاض الله عليهم الحق ، أي : على قلب كل منهم بواسطة التقوى ، وهذا الضرب من المؤولين قد ارتبطت قلوبهم بالله ، وجُعلت حياتهم كلها لخدمة الخالق مفرقين بين الحق والباطل ـ كاشفين عن الظاهر والباطن [٢] .

فهؤلاء المحبون الذين سلكوا سبيل الحق عن طريق التقوى ، والرياضة ، والمجاهدة ، إلى الحد الذي يكون فيه سلوكهم سابقا على قدرة الكشف عن مراد الله

---

٢ ـ ظ : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، د . صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ٣١.

١ ـ ظ : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، د . صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ٣١ ـ ٣٢ .

مصداقا لقوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ()** ) [1] ، وقوله تعالى : (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ () فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ()** ) [2] .

ولقوله في حديثه القدسي : « من تقرب إليّ شبرا تقربتُ إليه ذراعا ، ومن تقرب إليّ ذراعا تقربتُ إليه باعا ، ومن تقرب إليّ باعا مشيت إليه هرولة » [3] .

فالمؤمن الذي اتقى الله حق تقاته ، لقوله تعالى : (**وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ()** ) [4] ، زالت عن قلبه غشاوة الكثرة والتفرقة وزالت عن مرآة نفسه من الظلمة والغفلة ، حتى بلغت نفسه حدّ الصفاء التام ، وانكشف له عالم الملكوت والجبروت . قال ــ صلى الله عليه وآله ــ : « من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » [5] ، فأستحق أن تكشف له ملكة ما أراد الله من كتابه العزيز ، وقد أشار إلى محصول هذا ، الإمام علي ( عليه السلام ) في بعض أقواله ، قوله : « قد أحيا عقله ، وأمات نفسه حتى دقّ جليله ، ولطُف غليله ، وبرق له لامع كثير البرق ، فأبان له الطريق وسلك به السبيل ، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ، ودار الإقامة ، وتثبت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة ، بما استعمل قلبه وأرضى ربّه » [6] .

---

٢ ــ النحل / ١٢٨ .

٣ ــ القمر / ٥٤ ــ ٥٥ .

٤ ــ مسند احمد بن حنبل ٥ / ١٥٣ .

٥ ــ آل عمران / ١٠٢ .

١ ــ الأصول من الكافي ــ الكليني ٢ / ١٦ .

٢ ــ نهج البلاغة ــ مجموع ما أختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، ص ٢٢٠.

إذن لكل حسب إمكانياته ، واستعداده ، وقدرته ، قال تعالى : (**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ()** ) [١] ، فالتأويل إنما هو بحسب قدرة الفرد وإمكانياته ، ومدى استعداده وقابليته .

فقد قيّد التأويل بالتقوى و الهداية والصلاح والمجاهدة والرياضة كما ذكر آنفا ، وليس الفهم في القرآن حصرا على أحد ، وإنما يحصل التفاوت في الفهم بحسب الاستعداد للخوض في غمار جميع النواحي لذلك البحر ، ومن هنا تتضح الحكمة الإلهية في إنزال القرآن من حيث أن فهمه ليس حكرا على طائفة دون أخرى ، ولو كان كذلك لما كان هناك ضرورة لإنزال الكتب السماوية ولما دعت الحاجة إلى التدبر أو الترغيب والحث على فهم مراده ــ جل وعلا ــ [٢] .

ويتحصل لدى الباحث أن التأويل بمعناه العام مرتبتان ، تأويل كامل وتام ، وهو أعلى درجات التأويل ولا يتأتى لأحدهم بلوغه إلا إذا كان نبيا ، أو وليا ، والمرتبة الأخرى ، تأويل يتأتى لآخرين في قابلية بلوغه والاستعداد لنيله بفضله ــ سبحانه وتعالى ، وهذا يسمى بالتأويل المطلق .

قيل إن للصحابة والتابعين النصيب الأوفر في تفسير متشابه القرآن ، وأشتهر من الصحابة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ ، وعبد الله بن عباس ، وأُبي بن كعب ، وغيرهم ، ثم أخذ كثير من التابعين عن الصحابة وتكونت ما يعبر عنه بالمدارس في التفسير ، واشتهر في هذه المدارس ثلاث [٣] .

يقول ابن تيمية : " وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس ، كمجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة ، وغيرهم من أصحاب ابن

---

٣ ــ الرعد / ١٧ .

٤ ــ ظ : تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم ، الآمدي ١ / ٣٥٧ ــ ٣٥٩ .

١ ــ ظ : الإتقان ، السيوطي ٢ / ١٢٢٧ . والتفسير والمفسرون ، الذهبي ١ / ٦٣ .

عباس ، كطاووس ، وأبي الشعثاء ، وسعيد بن جبير وأمثالهم ، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب عبد الله بن مسعود ، ومن ذلك ما تميزوا عن غيرهم ، وعلماء أهل المدينة في التفسير ، مثل : زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك في التفسير ، وأخذ عنه أيضا ابنه عبد الرحمن وعبد الله بن وهب » [١] .

وكان تفسير الآيات المتشابهة وبيانها مطلبا من مطالب تلك الفترة ، ولئن كان سؤال أصحاب الرسول للرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ عن الآيات المتشابهة قليلا ، فقد كان سؤال التابعي للصحابة أكثر ، وسؤال إتباع التابعين أكثر من غيرهم ، فكان الأمر يتناسب تناسبا عكسيا ، فكلما كان الزمان زمان فضل وعلم ، قلّت الحاجة إلى كشف المتشابهات نظرا لقلة طرحها ، وكلما كان الزمان زمان جهل وبعد عن آثار النبوة ، دعت الحاجة إلى بيان المتشابه ، نظرا لكثرة وروده على أهل ذلك الزمان[٢].

وعلى هذا فبيان المتشابه كان قليلا في عهد الصحابة والتابعين ، وكان من أشهر الصحابة في تأويل المتشابه عبد الله بن عباس ، ويظهر ذلك جليا لمن يطالع ما ورد عن ذلك الصحابي في كتب التفسير ، وما ورد عنه في كتب السير والتراجم [٣] ، وهذا ما سنتطرق إليه فيما يلي من البحث .

روى احمد في مسنده عن عبد الله بن عباس ، قال : " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في بيت ميمونة ، فوضعت له وضوءا من الليل ، فقالت ميمونة : يا

---

٢ ـ مقدمة في أصول التفسير ص ٦١ .

٣ ـ ظ : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١٧ / ٣٠٧ .

١ ـ ظ : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١٧ / ٣٠٧ .

رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس ، فقال ــ صلى الله عليه وآله ــ ( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ) » [1]

كان الصحابة مفسرين للقران مع تفاوت بينهم في العلم ، وهناك قلائل منهم مؤولون ، فعبد الله بن عباس كان مفسرا ومؤولا ، وهو من السابقين الذين اتصفوا بهذه الصفة [2] .

وكذلك أشتهر من الصحابة ، عبد الله بن مسعود بعلم التفسير والتأويل ، وقد جاء عنه قوله : « ما نزلت آية من كتاب الله إلا و أنا أعلم فيم نزلت ، و أين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته » [3] .

وكان من الذين يردون الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة ، وخصوصا فيما يتعلق بتنزيه الباري ــ عز وجل ــ عن الجسمية ، وهذا ما سنتناوله لاحقا .

وكذلك كان مشاهير المفسرين والمؤولين ، الصحابي الجليل أُبي بن كعب ، فقد كان سيد القراء وأحد كتاب الوحي وحبرا من أحبار اليهود قبل إسلامه ، العارفين باسرار الكتب السماوية مما جعله على مبلغ كبير من العلم ومعرفة آيات الكتاب المجيد [4] ، ويعد من أشهر المفسرين من الصحابة [5] .

ويقال أن التفسير الوارد عن أُبي بن كعب ، مأخوذ عن النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ والروايات التفسيرية الواردة عن أُبي والموقوفة عليه قليلة جدا ، ومما جاء

---

٢ ــ مسند احمد ــ بتحقيق شعيب ٤ / ٢٢٥ / ح ٢٣٩٧ .

٣ ــ ظ : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ٣٢ .

٤ ــ الاتقان ، السيوطي ٤ / ٢٣٤ .

١ ــ ظ : تاريخ التفسير ، قاسم القيسي / ٥٢ .

٢ ــ ظ : أعيان الشيعة ،محسن الأمين ١ / ٣٦١ .

عنه في قوله تعالى : (**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ()** ) [1] .

فقد روى الطبري بسنده عن أُبي بن كعب أنه قال « من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها » [2] .

والصحابة المشهورون أخذوا أغلب علمهم من علم آل بيت الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ و الإمام علي ( عليه السلام ) ، من خلال ثنائهم على الإمام علي ( عليه السلام ) .

« قال ابن عباس : جلّما تعلمت من التفسير ، من علي بن أبي طالب ، وقال: علي عَلِمَ علما علّمه رسول الله ورسول الله علّمه الله ، فعلم النبي من علم الله ، وعلم علي من علم النبي ، وعلمي من علم علي ــ عليه السلام ــ وما علمي وعلم أصحاب محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر » [3] .

وفي حديث آخر :« فإذا علمي بالقرآن في علم علي ــ عليه السلام ــ ، كالقرارة في المتعنجر . قال : القرارة : الغدير ، والمتعنجر : البحر ، وقال : لقد أعطي علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ تسعة أعشار العلم ، و أيم الله ، لقد شاركهم في العشر العاشر الأمر الذي ـ أحوج الكل إليه ، واستغنى عن الكل » [4] .

وقد أخذ ابن مسعود بعد الرسول العلم من علي ــ عليه السلام ــ ، وليس من غيره.

« عن علقمة قال : قال ابن مسعود ذات يوم ، وكنا في حلقته ، لو علمت أن أحدا أعلم مني بكتاب الله عز وجل لضربت إليه آباط الإبل . قال علقمة : قال رجل من

---

٣ ــ الأحزاب / ٧٢ .

٤ ــ جامع البيان ، الطبري ٢٢ / ٥ .

٥ ــ بحار الأنوار ، المجلسي ٨٩ / ١٠٥ ــ ١٠٦ .

١ ــ المصدر نفسه ٨٩ / ١٠٥ ــ ١٠٦ . وظ : سعد السعود ، ابن طاووس ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦.

الحلقة :ألقيت عليا ـ عليه السلام ـ قال نعم قد لقيته وأخذت عنه واستفدت منه وكان خير الناس وأعلمهم بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ لقد رأيته كان بحرا يسيل سيلا » [١] .

وقيل : إن أُبي بن كعب من الثابتين على ولاية بيت الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ والمتخصصين بهم في العهد الأول بعد وفاة الرسول [٢] .

ويظهر للباحث بعد تسجيل هذه الأقوال وتوثيقها ، أن علم هؤلاء الصحابة قد أكتسب هذه الدرجة الوثقى من علمهم إنما هو بسبب أخذهم من علم آل بيت النبوة ـ عليهم السلام ـ أخذا مباشرا ، منبعا ومآلا .

● أما التابعون فلم يلتزموا حدود التفسير الوارد عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ فعاد التفسير في عهدهم يزخر باجتهاداتهم واستنباطاتهم ، من مثل تفسيرهم (**وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ** () ) [٣] ، بأنهم قالوا : " لا تجعلنّ عرضة ليمينك : أن لا تصنع الخير ، ولكن كفّر عن يمينك واصنع الخير" [٤] ، وقد روي هذا التفسير عن أغلب التابعين عن ابن عباس ، فهذا وأمثاله لا شك فيه [٥] ، ولكن لا يُنكر أن قسما من الآيات القرآنية قد أختلف التابعون في تفسيرها بصورة لا تقبل الجمع بينها ، كاختلافهم في تفسير قوله تعالى : (**وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ** () ) [٦] .

---

٢ ـ سعد السعود ، ابن طاووس ص ٢٨٥ .

٣ ـ ظ : سفينة البحار ، الشيخ عباس القمي ١ / ٨ .

٤ ـ البقرة / ٢٢٤ .

١ ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ١ / ٤٧١ .

٢ ـ ظ : المصدر نفسه ١ / ٤٧٢ .

٣ ـ الأحزاب / ٥٢ .

فعن مجاهد : « لا يحل لك من النساء من بعد المسلمات ، لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، ولا تبديل بالمسلمات غيرهن من الكوافر » [١] . وبمقتضى هذا التفسير يحل للنبي ـ صلى الله عليه وآله ـ أن يستبدل أزواجه بغيرهن من المسلمات ، وعن الضحاك : ولا تبدل بأزواجك اللواتي هن في حبالك أزواجا غيرهن ، بأن لا تطلقهن وتنكح غيرهن [٢] ، وهذا يعني أنه لا يحل للنبي ـ صلى الله عليه وآله ـ التزويج بغير نسائه مطلقا لا من مسلمة ولا من كافرة .

وقيل في تفسير هذه الآية : ولا تبادل من أزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته [٣] .

وقد نسب هذا القول إلى ابن زيد ، وهو يخالف القولين السابقين صراحة [٤] .

وعليه ، ولوجود هذه الاختلافات ، يعتمد تأويل وتفسير التابعي إذا كان موافقا لكتاب الله أو السنة النبوية ، أو مقتضيات العقل ، وغير معارض بدليل نقلي أو عقلي، وانعقد عليه إجماع المسلمين فيؤخذ به ، بل يمكن عدّه من المأثور في هذه الناحية وغير ذلك لا يقبل أبدا .

---

٤ ـ جامع البيان ، الطبري ٢ / ٣١ .

٥ ـ ظ : المصدر نفسه ٢ / ٣١ .

٦ ـ ظ : المصدر نفسه ٢ / ٣١ .

٧ ـ ظ : المصدر نفسه ٢ / ٣١ .

## المبحث الثاني : مستويات فهم المتشابه :

### أولا : المستوى البلاغي :

بقدر تعلق الأمر ببلاغة القرآن ، نقول : إن علم البلاغة هو الموصل إلى فهم مراد الله ــ سبحانه وتعالى ــ من التنزيل الحكيم ، وأن علوم اللغة العربية في مستوياتها كافة تنتهي إلى هذه الغاية الجليلة ، أي " فهم المراد من الذكر العزيز " ، كما أن المفسرين والمؤولين كلهم لا بد لهم من انتهاج سبيل اللغة وعلومها ، وفهم أسرارها ، شرطا من شروط المفسر والمؤول ، فكل من تصدى للتأويل أو التفسير لابد لهم من التزود من زاد العربية ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، إذ يكون اجتهاد كل مفسر من المفسرين بحسب حصيلته من علوم العربية ، من نحو ، وصرف ، وبلاغة

، وأصوات ، وقراءات ، وحفظ للشواهد الشعرية ، لأن الشعر كما قال ابن سلام : « ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون » [١] . ولأن هذه المعرفة تزود المفسر والمؤول بالإلمام بأصل وضع الكلام العربي ، وطرق وضعه في السياق المناسب ، وكل ذلك يأتلف ليشكل وحدة موضوعية وبنائية ولغوية واحدة متسقة لا شذوذ فيها ولا غريب ولا مستوحش . ومن أهم المستويات البلاغية هي :

**ا ـ أثر البيان في تحريك دوائر المعنى التأويلي في آي القرآن الكريم :**

إن مستويات ملكة البيان تقوي طريقة الأداء للمعنى بما للبيان من دور مهم في حصول الانزياحات . فالعلاقة بين البيان بوصفة حاملا للمعنى ، والتأويل الذي هو نتاج حركة دوائر المعنى الايحائية وهو يصدر عن الأداء الوظيفي لمقومات الشكل والمضمون بما فيها البيان ، وهذه العناصر التي يقوم عليها النص ، كثيرا ما يطوعها المؤول [٢] .

ولعل المنهج البياني الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية ، من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز وتمثيل وما إلى ذلك من الاستعمال الحقيقي ، أو الاستعمال المجازي « يعد بحثا أصيلا في جوهر الإعجاز القرآني ، ومؤشرا دقيقا في استكناه البلاغة القرآنية » [٣] .

لأن « البيان يعد وسيلة مهمة في تحريك دوائر المعنى ، ومن ثم فانه رافد مهم من روافد التأويل في النص القرآني » [٤] .

---

١ ـ طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام ص ٢٢ .

١ ـ البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التأويلية / د . صباح عباس عنوز ، مجلة القادسية مجلد ( ١١ ) العدد ( ١ ـ ٢ ) السنة ٢٠٠٨م ، ص ٣٢ .

٢ ـ المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، د . محمد حسين علي الصغير ص ١١٠ .

٣ ـ البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التأويلية ص ٣٧ .

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني ( ت ٤٧١هـ ) في كتابيه ( دلائل الإعجاز ) و ( أسرار البلاغة ) مؤصّلا ومعمقا لضروب هذا الفن لما عُرف عن هذا الرجل من ثقافة واسعة ، ورهافة حس ، وذكاء متوقد ، فكان بحق الكاشف عن المعالم المجازية لآيات القرآن الكريم من خلال استنباط الأصول الاستعارية والأبعاد التشبيهية « حتى إذا جاء جار الله الزمخشري ( ت ٥٣٨هـ ) فتح لنا عمق دراسة جديدة في البلاغة القرآنية التطبيقية ... » [١] ، واستكمالا لهذه الصورة سيلجأ الباحث إلى دراسة المباحث البلاغية بما انطوت عليه من ضروب التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والمجاز بنوعيه ، العقلي والمرسل ودورها في تأويل النص القرآني الكريم .

**١ ـ التشبيه :**

يعد النقاد والبلاغيون العرب التشبيه قوام البيان العربي ، ويرتبط عندهم بالوظيفة الإفهامية ، والغاية الإبلاغية النفعية [٢] ، فقد كان من أكثر الأنماط جذبا لأنتباهم ، وإثارة لإعجابهم [٣] ، لأنه عامل مساعد في البث الإيحائي للصورة عبر التكثيف الحسي لها ، إذ يعتمد فيه أكثر من مدرك حسي يساعد في توسيع خيال

---

٤ ـ المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ص ١١٠ .

١ ـ ظ : البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسين إسحاق إبراهيم ص ١٣٠ والنكت في إعجاز القرآن ( ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ) للرماني ص ٧٥ ـ ١١٣ ، والعمدة في محاسن الشعر ، القيرواني ص ١ / ٢٩٠ ، والإشارات والتنبيهات ، محمد بن علي الجرجاني ص ١٧١ ، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، العلوي ١ / ٣٤٨ .

٢ ـ ظ : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د . جبار عصفور ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

الصورة وفضاءاتها الدالة [1] ، ويبدو « أن شيوع التشبيه يرجع إلى كونه المستوى الأول من مستويات التصوير الفني ، ومنطق التدرج يقتضي أن يكون هو الأكثر شيوعا من حيث التطبيق والتنظير ، وهذا ما حدث فعلا في تاريخ التفكير البلاغي »[2] .

والذي يتأمل الصورة التشبيهية في القرآن الكريم يتيقن إن إدراك كثير منها لا يمكن أن يحصل إلا إذا ارتبط بمفهوم وضع الشيء في غير محله لغرض بلاغي فني ، ففي قوله عز وجل : (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** () ) [3] ، ينزه الله سبحانه ذاته العظيمة عن أي شيء يماثلها ، ثم يقول : ( وهو السميع البصير ) فإذا ما أخذنا الحقيقة في التشبيه تكون الرسالة المنبعثة من الصور التي تشبه الذات الإلهية معطلة و لا يمكن تحقيقها ، وليس للقارئ إلا أن يركن التأويل ، وهذا يعني : إننا ملزمون بالقول في إيمائية التشبيه ، و إذا ما عدنا إلى سياق الآية السابقة نجدها تحقق حالة من التنافر بين قوله : ( ليس كمثله شيء ) وقوله : ( وهو السميع البصير ) لأن السمع والبصر من حواس مخلوقات كثيرة ، ونجد كذلك في قوله تعالى : (**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** () ) [4] .

---

٣ ـ ظ : الداء البياني في شعر الشيخ علي الشرقي ، د. صباح عباس عنوز ص ١٧٥ ، مطبعة الضياء النجف الأشرف ٢٠٠٢م .

٤ ـ في البنية والدلالة ، د . سعد أبو الرضا ، ص ١٧٥ .

٥ ـ الشورى / ١١ .

١ ـ النور / ٣٥ .

فالمشهد يبدأ بالصورة التشبيهية ، يمثلها قوله : ( الله نور السموات والارض ) ، وهذه الصورة بمثابة البؤرة التي تتشكل حولها معطيات الخيال ، وقد رسمت بواسطة التشبيه ، إذ تكررت لفظة ( النور ) في هذا المشهد أربع عشرة مرة والصورة التشبيهية المشار إليها ذات طابع استعاري أصبح فيه الله تعالى مصدرا للنور بكل ما يتضمنه من تداعيات ودلالات مجازية يدخل التأويل عنوة عند المتلقي لاستيعاب مضامين النص .

أما الصور التشبيهية ـ مقام هذا البحث ـ في قوله تعالى : ( مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ) فترتبط مع الصورة المجازية السابقة بعلاقة تعارض ، ارتبط نور الله بعلاقة مشابهة معلنة مع المشكاة . وهذا ينسف معيارية التشبيه القائلة : « إن من شروط بلاغة التشبيه أن يشبّه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم » [1] ، لصنع حال من المقارنة .

بينما في الأمثلة السابقة نجد ما يسمى عند البلاغيين بالتشبيه المعكوس ، ذلك أن الأصل في التشبيه هو أن يجري على السنن المعروفة عند العرب الذي يتمثل في أن يُلتمس المشبه به مما هو معروف ومألوف في حياتهم ، حتى ولو كان المشبه أقوى وأعظم في الصفة التي يشترك فيها مع المشبه به ... وأمثلة ذلك كثيرة ، كمثال اشتهار ( حاتم الطائي ) بالجود ... والأسلوب العربي يقضي أن يجعل من مَثَل ( حاتم ) عَلَما مشبها به ، سواء أوجد بعده من هو أعظم منه في الصفة وأقوى أم لم يوجد .

« وقد سلك القرآن الكريم هذه السنن ، فشبّه نور الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو بلا شك أقوى الأنوار ، بنور المصباح في مشكاة ، لأن العرب جروا على عادة أن يجعلوا نورا لمصباح أكبر الأنوار وأعظم الأضواء » [2] . ومن هنا لا يمكن تجاهل

---

٢ ـ المثل السائر ، ابن الأثير ٢ / ١٣٢ .
١ ـ علم البيان ، د . عبد العزيز عتيق ص ١٠٠ .

الأداء البياني في النص القرآني إذ « تعد الدلالة البيانية عنصرا مهما من عناصر كشف النص القرآني بوصف البيان علما متطورا نما بفعل الدراسات البلاغية القرآنية » [١] .

ولبيان آفاق التأويل في النص القرآني من وجهة نظر علم البيان ، نقول بداية : أن العلاقة بين البيان بوصفه حاملا للمعنى ، والتأويل بوصفه نتاجا لحركة دوائر المعنى الإيحائية ، تقوم على وفق تغيير دلالات المعاني في سياقات الكلام عبر المزاوجة بين مهمة البيان البلاغية ووظيفته التأويلية [٢] ، ويطوعها المؤول بالرغم من اتساقها في نسق سياقي معين بقصد الوصول إلى المعنى المنشود .

فلقد ورد من النصوص القرآنية الكثيرة ما لا يمكن حملها على الظاهر لأن في ذلك ما يدعو إلى طلب الاستفهام ومحظورية الوقوع في ملتبسات لا يقبلها العقل الإسلامي . ولنأخذ مثالا على ذلك قوله تعالى : (**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ()**)[٣] .

إن ملحظ الخيال في هذه الصورة قد ابتعد عن الواقع الذي يستمد منه معطياته . فالمشبه به ( رؤوس الشياطين ) لا محسوس له في الواقع ، غير أنه يمكن إدراكه بإحدى الحواس الخمس تبعا لمحصول المتحقق في ذهن المتلقي ، فمن مخيلته « نبتت صورة الشياطين ، وهي كثيرة في نفسه من حيث الفزع والرعب ، وهو يتصورها ، ويستحضرها كل حين » [٤] .

---

٢ ـ دلالة البيان في تفسير النص القرآني بين الدال والوظيفة الافهامية ، د . صباح عباس عنوز ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، العدد الثاني ، السنة الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٦م .

٣ ـ ظ : البيان من مهمته البلاغية إلى وظيفته التأويلية ، ص ٢٧ .

١ ـ الصافات / ٦٥ .

٢ ـ مشاهد القيامة في القرآن الكريم ، سيد قطب ص ١٣٥ .

وعلى الرغم من محاولة المفسرين [١] وبعض البلاغيين [٢] إيجاد معان مادية لشجرة الزقوم ، ورؤوس الشياطين فإنهم في الغالب ما يرجحون المعنى الخيالي .

فالأداة ( كأن ) غالبا ما تحلّق في فضاء الخيال ، وعند ذلك تصبح العملية التشبيهية في أعلى مستويات التصوير الفني ، خاصة لدى اقترانها بعنصر الزمن ، كما في قوله عز وجل : (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا () فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا () إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا () إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا () كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ()** ) [٣] . فقد تهيأ للصورة التشبيهية أشارات إلى الزمن بلفظ الساعة ثم أستعمل ( أيان ) الزمانية ونقلها إلى المكانية . وهنا نجد أداة التشبيه ( كأن ) قد تجاوزت دورها في التشبيه فلا مكان لتحديد أطراف العملية التشبيهية وإنما لا بد من الركون إلى دلالات المعنى الذي خلفته الأداة ( كأن ) وراءها .

إن لاسلوب البيان أهمية فاعلة في مرجعية النص وحمله على التأويل ، حين يتعارض ظاهر النص مع العقل في حمله على ما هو عليه ، ففي قوله تعالى : (**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ()** ) [٤] .

نرى إن التشبيه التمثيلي في هذه الآية الكريمة قد رسم لنا صورة كان وجه الشبه فيها مركبا عقليا منتزعا من أمور عقلية ، أو هي بعض منها حسيّ والآخر عقلي ،

---

٣ ــ ظ : الكشاف ، الزمخشري ٤ / ٤٦ ــ ٤٧ ، ظ : وتفسير الطبري ، الطبري ٢٣ / ٤١ ، في ظلال القرآن ، ظ : سيد قطب ٢٣ / ٢٩٨٨ ــ ٢٩٨٩ ، ظ : وصفوة البيان لمعاني القرآن الشيخ حسنين محمد مخلوف ، ص ٥٦٨ .

٤ ــ ظ : العمدة ، ابن رشيق ١ / ٢٨٨ ، ظ : والإيضاح ، القزويني ٢ / ٢٢٠ ، ظ : والتلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ص ٢٤٤ .

١ ــ النازعات / ٤٢ ــ ٤٦ .

٢ ــ الجمعة / ٥ .

فوجه الشبه هنا بين الذين كلفوا بالعمل بما ورد في التوراة ولم يعملوه ، وبين الحمار الذي يحمل أسفارا دون قدرة على الانتفاع منها ، أي : حرمانه من الانتفاع على الرغم من تعبه والكد في استصحابه .

وملاك الأمر في هذا التأويل تعذر حمل النص على الظاهر لأن النص يشير إلى حمل التوراة وامتناع الحمل في آن معا فهذا من باب المفارقة كما يبدو ظاهريا ، وعليه لا بد من وجوب مراجعة الوظيفة التأويلية التي أدّاها التشبيه .

ومآل التشبيه في الآية الكريمة كمآل الذين يجمعون الكتب ثم لا ظون ما فيها ولا ينتفعون بثمرتها من علوم وغيرها . وهكذا هو مآل ( الحمار ) الذي يحمل الأسفار من دون علاقة بها وذلك هو حال اليهود الذين كلفوا بالعمل في التوراة ولم ينتفعوا منها [١] .

ومن ممكنات الإفادة من تأويل التشبيه بصرف ما دل عليه إلى غيره ، إبعادا للتجسيم ما جاء في أمالي السيد المرتضى في قوله تعالى : (**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّـهِ ()** ) [٢] ، من لفظ ( الوجه ) في قوله تعالى : ( فثمّ وجه الله ) لا على معنى الحلول ، ولكن على معنى التدبير والعلم ، ويحتمل أن يراد به : فثمّ رضا الله وثوابه والقربى اليه ، وقد احتمل السيد المرتضى أن يراد بالوجه : الجهة ، والإضافة على معنى الملك والخلق والإنشاء والإحداث ، وقد علل ذلك محتجا بسورة البقرة (**وَلِلَّـهِ**

---

١ ــ الصورة الفنية في المثل القرآني ، محمد حسين علي الصغير ص ١٩٧، ظ : أساليب البيان في القرآن الكريم ، جعفر الحسيني ص ٣٢٦ ، وتفسير القرآن الكريم ، السيد عبد الله شبر ٢٨ / ٥٥٣ ، والبيان في مهمته البلاغية إلى الوظيفة التأويلية ، د . صباح عباس عنوز ( بحث منشور ) مجلة القادسية مج ١١ / ع ١ ــ ٢ / ٢٠٠٨ ، ص ٢٧ .

٢ ــ البقرة / ١١٥ .

**الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ) أي أن الجهات كلها تعالى تحت ملكه [(١)] .

ومن آ راء العلماء في تأويل لفظ ( الوجه ) في الآية المتقدمة قيل : ( فثمّ وجه الله ) ، أي : جهته التي أمر بها ورضيها [(٢)] . وقد أختلفوا في وجه ( الله ) : أ لله وجه أم لا ، على ثلاث فرق [(٣)] :

ـ الأولى : لله وجه ، قال به أبو الهذيل العلاف .

ـ الثانية : له وجه ، توسعا ، وتثبت لله وجها ، هو هو ، لأن العرب تقيم الوجه مقام الشيء ، لقولهم : ( **فعلت هذا على وجهك** ) ، أي : لولا أنت لما فعلت ، وقد قال به النظام .

ـ الثالثة : تذهب إلى نكران ذكر الوجه .

وللنسفي في تفسيره ، تأويل لدلالة الوجه في الآية الكريمة بالجهة التي أمر الله بها ورضيها ، بقوله : « فأينما : شرط . تولـّوا : مجزوم به ، أي : في أيّ مكان فعلتم التولية ، يعني : تولية وجوهكم شطر القبلة ، بدليل قوله تعالى : (**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ()** ) [(٤)] . والجواب : ( فثمّ وجه الله ) ، أي جهته التي أمر بها ورضيها والمعنى : أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام ، أي في بيت المقدس ، فقد جعلت لكم الأرض مسجدا ، فصلـّوا في أية بقعة من بقاعها ، وافعلوا التولية فيها ، فان التولية ممكنة في أي مكان » [(٥)] .

---

٣ ـ ظ : أمالي المرتضى ، الشريف المرتضى ص ١ / ٥٥٦ .

٤ ـ ظ : الكشاف ، الزمخشري ٢ / ١٤ ، وأساس البلاغة ص ٣٧ .

٥ ـ ظ : مقالات الإسلاميين ، للأشعري ١ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

١ ـ البقرة / ١٤٤ .

٢ ـ تفسير النسفي ، النسفي ١ / ٦٦ .

وذكر الزركشي : أن الواحدي حكى عن أكثر المفسرين في قوله تعالى : ( فأينما تولوا فثمّ وجه الله ) أن الوجه : صلة ، والمعنى : فثمّ الله يعلم ويرى ، قال : الوجه يرد صلة مع اسم الله كثيرا ، كقوله تعالى : (**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ** () ) [1] ، وقوله تعالى : (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ** () ) [2] ، وقوله تعالى : (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** () ) [3] ، ويخلص الزركشي إلى أن المراد بوجه الله : ذاته ، كما في قوله تعالى : (**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ** () ) [4] .

ويرى الباحث أن في تأويلات السيد المرتضى للفظ ( الوجه ) في آية البقرة شمولا وإحاطة بالمعاني التي جاء بها لاحقوه من علماء هذا الباب ، وما قالوه لاحقا ، كان قد سُبقوا فيه فذكروا : الجهة ، والصلة ، والذات ، وقد أضاف لها السيد المرتضى معاني ، التدبر ، والعلم ، والخلق ، والإنشاء ، والإحداث ، والثواب ، والقربى من الله . وهذا كله إبعاد لشبهة التجسيم للذات الإلهية .

## ٢ ـ الاستعارة :

عرفها أبو هلال العسكري بالقول : « نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى ، وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيده ، والمبالغة فيه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه » [5] . ونلحظ في التعبير الاستعاري اختباء « المعنى وراء

---

٣ ـ الرحمن / ٢٧ .

٤ ـ الإنسان / ٩ .

١ ـ القصص / ٨٨ .

٢ ـ البقرة / ١١٢. وظ : البرهان في علوم القرآن ٢ / ٢٧٨ .

٣ ـ كتاب الصناعتين ص ٢٧٤ .

تركيز التصوير الاستعاري » [1] الذي يمكن أن يسهم إسهاما جادا في عملية التأويل ، فإذا كنا ما نحرص عليه هو مضمون النص فان المضمون المتوخى والمتوفر من إنتاج الصورة يتوافر في علوم البلاغة أكثر من غيرها [2] .

ففي قوله تعالى : (**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ()** ) [3] ، نجد في الآية الكريمة استعارة في كلمتي ( الظلمات ، والنور ) « قُصد بالأولى ( الضلال ) وبالثانية ( الهدى والإيمان ) فقد أستعير ( الظلمات ) للضلال ، لعلاقة المشابهة بينهما في عدم اهتداء صاحبها كذلك استعير ( النور) للهدى والإيمان لعلاقة المشابهة بينهما والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي في كلا المجازين ، قرينة حالية تفهم من سياق الكلام » [4] .

ومن أمثلة الاستعارة الأخرى فيما له علاقة بالتأويل ، قوله تعالى : (**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ()** ) [5] ، فلفظ ( ينعق ) في الآية بمعنى : يصيح ، أي : « مثل داعي الذين كفروا كمثل الناعق في البهائم ، التي لا تسمع إلا تصويته ، ولا تفهم معناه ( صم بكم عمي ) عن الهدى ( فهم لا يعقلون ) لتركهم ) [6] . فمثل الكافر ( كمثل الذي ينعق من البهائم بما لا يُسمع من نعيقه إلا دعاء ونداء ، فينزجر بمجر قرع الصوت سمعه من غير أن يعقل شيئا فهم ( صم ) لا يسمعون كلاما يفيدهم و( بكم ) لا يتكلمون بما يفيد المعنى ،

---

٤ ـ الإداء البياني في شعر الشيخ علي الشرفي / د . صباح عنوز ، ص ١٧٦ .

٥ ـ ظ : البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التأويلية / د . صباح عنوز ، مجلة القادسية المجلد ١١ ، العدد ( ١ ـ ٢ ) ص ٣١ .

١ ـ إبراهيم / ١ .

٢ ـ علم البيان ، د . عبد العزيز عتيق / ص ١٧٧ .

٣ ـ البقرة / ١٧١ .

٤ ـ تفسير القرآن ، السيد عبد الله شبر ٢ / ٢٦ .

و ( عمي ) لا يبصرون شيئا ، فهم لا يعقلون شيئا ، لأن الطرق المؤدية إلى التعقل مسدودة عليهم » [1] . ولا يخفى هنا من أن للبيان الدور المؤسس في إيضاح دلالة النص من خلال الاستعارة المكنية ، فقد استعار النعيق للكافر ، وهو المستعار له ( المشبه ) وتوارى المستعار منه ،وهو المشبه به ( البهائم ) . ولعل مرد ذلك يعود إلى أهمية وقيمة الاستعارة التي نقلت الفكر إلى حيز التأمل من خلال الوظيفة التأويلية التي أنضجت وظيفتها على أكمل وجه ، لأن الاستعارة « تعطي الكثير من المعاني بأقل الألفاظ ، فهي تجعل الاسم الموضوع له في أصل اللغة بدليل الحال ، وأفصح المقال بعد السؤال ، أو بفحوى الكلام » [2] .

إن من يستقرئ آي القرآن الكريم يتضح له أن كثيرا منه قد حفل بالتأويل ، ومنها : قوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** () )[3]

.

ويلحظ هنا أن الاستعارة المكنية أنجزت مهمة دلالة التوصيل إلى التأويل ، ذلك أن النفس ليست مما يباع ويشترى فلا بد إذن من استكناه عنصر المعنى داخل إطار اللفظ المرصوف « وذلك أنه سبحانه لما أمرهم ببذل نفوسهم وأموالهم في الجهاد عن دينهم والمنافحة عن رسوله ـ عليه السلام ، وضمن لهم على ذلك الخلود في النعيم والأمان من الجحيم ، كانت نفوسهم وأموالهم بمنزلة العروض المبيعة ، وكانت الأعواض المضمونة عنها بمنزلة الأثمان المنقودة ، وكانت الصفقة رابحة لزيادة الأثمان على السلع وأضعاف الأعواض عن القيم » [4] .

---

٥ ـ الميزان ، محمد حسين الطباطبائي ١ / ٤٢٠ .

١ ـ أسرار اللغة ، عبد القاهر الجرجاني / ص ، ٢٩٧ ، ظ : أصول البيان العربي ، د . محمد حسين الصغير ص ٩٢ وما بعده .

٢ ـ التوبة / ١١١ .

٣ ـ تلخيص البيان في مجاز القرآن ، ص ١٥١ .

والملحظ البلاغي المستخلص هنا أن الاستعارة قد أنجزت مهمتها في التأويل لأن من وظائفها تقريب الشبه ومناسبة المستعار للمستعار منه [1] .

ولو تأملنا قوله تعالى : (**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ()** ) [2] ، نلحظ في هذا النص أن الاستعارة أنتجت لنا معنى تاويليا لأن الإدبار للحيوان وليس للنجوم « فكأن الله سبحانه وصفها بالإدبار بعد الإقبال ، والمراد بذلك الأفول بعد الطلوع ، والهبوط بعد الصعود » [3] .

وقد جاء في الحديث الشريف : ( **أن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر** ) [4]. فنصوصه صالحة لكل زمان ومكان وهذا مدعاة لأن يتعامل العقل معه من منطلقات التأمل والتدبر وهناك ثمة علاقة بين التأمل وإيحاءات البيان التي تفضي إلى التأويل .

ومن الاستعارة التمثيلية ، قوله تعالى : (**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ()** )[5] . الاستعارة في الآية الكريمة استعارة تمثيلية ، قائمة على تشبيه حال أولئك الماكرين بحال قوم بنو بنيانا شديد الدعائم فانهدم ذلك البنيان ، وسقط عليهم فأهلكهم ، والجامع إنما عدّوه سببا لبقائهم عاد سببا لفنائهم [6] .

ومن هنا يظهر دور الاستعارة في اظهار العدول أي الانزياحات وكل ذلك ينعكس على تأويل النص القرآني . لأن « التأويل ما هو إلا نهاية لدوائر المعنى التي

---

١ ــ ظ : البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التأويلية ، د . صباح عباس عنوز ( بحث ) منشور / مجلة القادسية مج ١١ / ع ١ ــ ٢ / ٢٠٠٨م ص ٣٤ ــ ٣٥ .

٢ ــ الطور / ٤٩ .

٣ ــ تلخيص البيان في مجاز القرآن ، ص ٣١٦ .

٤ ــ سفينة البحار ، الشيخ عباس القمي ٢ / ٤١٣ .

٥ ــ النحل / ٢٦ .

٦ ــ ظ : صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ١٤ / ١٢٤ .

ينتهـي إليهـا المطـاف مـن خـضم العمليـة الأسـلوبية ومـا يتعلـق بهـا مـن مقومـات الأسلوب » [1] .

**٣ ـ الكناية :**

وهي لفظ أريد بـه لازم معنـاه مـع جـوازه إرادة معنـاه الأصـلي ، كقولـك : فلانـة نؤوم الضحى ، وهي المرفهة المخدومة غير محتاجة إلـى السعي بنفسها فـي إصـلاح المهمات [2] .

ومما ورد في ذلك مـا ذكره الآلوسـي عند تفسيره لقولـه تعـالى : (**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ()** ) [3] ، أي : ندموا كما ورد عن ابن عبـاس [4] . وهـي عند آخـرين كنايـة عن شـدة الندم وغايته ، لأن النادم حين يشتد ندمه يعض يده غما فتكون يده مسقوطا فيها [5] .

وهب الله سبحانه وتعالى للإنسان عقلا وفتح له فضاءات المعرفة عبر خصيصة التأمل وبيّن إيحاءات البيـان التـي تـدل علـى التأويـل ، ومـن خـلال قـدرة الإنسـان علـى إعمال العقل والاستنباط المبني على علمية ودراية ودربة .

---

١ ـ البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التأويلية ، د . صباح عباس عنوز / مجلة القادسية مجلد ١١العدد ( ١ ـ ٢ ) ص ٣١ .

٢ ـ ظ : معجم علوم اللغة العربية ، د . محمد الأشقر ص ٣٤١ .

٣ ـ الأعراف / ١٤٩ .

٤ ـ أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس . ظ : الدر المنثور ، السيوطي ٣ / ٥٦٣ .

٥ ـ ظ : روح المعاني ، الآلوسي ٥ / ٦٤ ـ ٦٥ .

ففي قوله تعالى : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ () )[1] . إن دوائر المعنى في هذه الآية الكريمة تحركت بفعل المعنى الكنائي للوصول إلى القصدية الكامنة في نهي الإله ـ سبحانه ـ عن البخل والإسراف غير المسوّغ ، وكلا من المنهي عنه ( البخل والإسراف ) صفتان معنويتان ، غير أن التأمل العميق في سياق النص الذي تكون عبر ألفاظ لم تحسب في نتاج دلالاتها على الظاهر ، وإنما على المخبوء ما وراء اللفظ من ذلك المستور مما أسهم في فتح فضاء التأويل ، بفعل دور الكناية في ذلك وقد أصبح مفهوم الإسراف والتبذير منتجا معنويا لهيمنة الأداء البياني للكناية منذ اللحظة التي سيّرت الكلام بالنهي بالأسلوب الإلهي ( و لا تجعل ) و ( لا تبسطها ) ، فهنا نجد الكناية بوصفها أداء بيانيا ــ تتراوح بين مهمتها في احتضان المضمون ، ووظيفتها في فتح منفذ العقل أمام التأويل وهكذا أصبحت مهيمنة على طرفي العملية الإبداعية ، وهما : إنتاج الدلالة لدى المنشئ ، والمتلقي ( المستلم ) ، وهذا ما نجده في كل أداء بياني ينتخب لإيصال المعنى [2] .

وهناك كناية عن موصوف ، وهي التي يطلب بها نفس الموصوف، أي : تذكر الصفة ليتوصل بها إلى الموصوف وهي مختصة بالمكنى عنه ، وهذا من شرطها ، بحيث لا تتعداه ، وبذلك يحصل الانتقال . من مثل قوله تعالى : (**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** () ) [3] ، كنّى عن النساء بأنهن يُنشأن في الحلية ويرفلن في النعيم ، ولا شأن لهن بصعاب الأمور ، والتامل في دقائق المعاني ، وإنما

---

١ ـ الإسراء / ٢٩ .

٢ ـ ظ : البيان من مهمته البلاغية إلى وظيفته التأويلية ، د . صباح عباس عنوز ( بحث ) منشور ـ مجلة القادسية مج ١١ / ع ١ ـ ٢ / ٢٠٠٨م ، ص ٣٦ .

١ ـ الزخرف / ١٨ .

همهن التجمل وإظهار الزينة ، ولو أن الله سبحانه أظهر الكلام بلفظ ( النساء ) لم يُشعر بشيء من قوة البلاغة وشدة المبالغة [1] .

ومن أفضل التعريض مما يجلّ عن جميع الكلام قوله عز وجل : (**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** () ) [2] ، أي : الذي كان يقال له هذا ، أو يقوله ، هو أبو جهل ، لأنه قال : ٠ ما بين جبليها ، يعني : مكة : أعز مني ولا أكرم ، وقيل بل ذلك على معنى الاستهزاء به [3] .

وتُعد الكناية « أكثر الأساليب البيانية التي تتيح للمتكلم قول كل شيء » [4] . ولعلها أكثر التصاقا بالتأويل من أساليب البيان الأخرى كونها تركز على إثبات معنى من المعاني كنحو قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** () ) [5] ، فالكناية هنا آخذة بيد الدلالة إلى التأويل ، على معنى : " لا تنجذبوا للشيطان في قيادة ، لأن المنجذب في قيادة غيره تابع لخطواته » [6] . وهذه الكناية كناية تحذير من طاعة ما يوسوس به الشيطان ، ولا بد من التأويل باعتبار الكناية عن موصوف ، لأن الشيطان لا تعقل رؤيته في اقتفاء الإنسان لآثاره . فالشيطان تتمثل به سبل الخداع والمراوغة في منع المؤمن من الوصول إلى مرامي الخير ، وهذا ما يدلنا عليه البيان باتساقه مع مكونات الاسلوب

---

٢ ـ ظ : أصول البيان العربي محمد حسين الصغير ص ١١٩. ظ : أساليب البيان في القرآن الكريم ، جعفر الحسيني ص ٧٤٨ .

٣ ـ الدخان / ٤٩ .

٤ ـ ظ : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، القيرواني ٢ / ٥١٧ .

٥ ـ علم البيان ، عبد العزيز العتيق ص ٢٢١ .

٦ ـ البقرة / ١٦٨ .

١ ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن ص ١١٨ .

،لأن التأويل « تفسير باطن اللفظ بصرف معناه الظاهر إلى معنى من المعاني الخفية المحتملة التي ينطوي عليها ، أو كشف ما انغلق من المعنى » [1] .

**٤ ـ المجاز ، وأقسامه :**

يقسّم علماء البلاغة المجاز على قسمين :

ا ـ **المجاز العقلي** ، وعلاقته اسنادية ، أي : في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له ، ويسمى المجاز الحكمي [2] والإسناد المجازي [3]، ولا يكون إلا في التركيب.

ب ـ **المجاز اللغوي** ، وهو في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أُخر بينهما مناسبة وصلة ، ويكون في المفرد ، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له [4] .

وفي أدناه أمثلة تطبيقية على كلا القسمين :

ا ـ **المجاز العقلي** : ما ورد في قوله تعالى : **(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ())** [5] . ففي هذه الآية الكريمة نجد أن كلمة ( يذبح ) وكلمة ( يستحيي ) استعملتا استعمالا حقيقيا ، ولكن إسناد التذبيح والاستيحاء إلى فرعون ليس اسنادا حقيقيا ، لأن فرعون ليس هو الذي ذبح الأبناء واستحيا الناس ، وإنما جنده الذين فعلوا ذلك ،

---

٢ ـ منهج التأويل في الفكر الصوفي ، نظلة الجبوري ، ص ٩ .

٣ـ ظ : أسرار البلاغة / عبد القاهر الجرجاني ص ٣٣٨ ـ ٣٧٦ .

٤ ـ ظ : الكشاف / الزمخشري ١ / ١١٨ .

٥ ـ ظ : علم البيان ، د . عبد العزيز عتيق ص ١٤٣ .

١ ـ القصص / ٤ .

وكان هو السبب والآمر بذلك العمل . فالمجاز جاء هنا بالإسناد ، والذي حكم بوجود المجاز ، هو العقل وليست اللغة ، فلذلك سميّ مجازا عقليا [1] .

وللمجاز العقلي علاقات أيضا ، وهو كل ما يتعلق الأمر به ـ في صورته العامة ـ في التركيب والجملة .

وقد سميّ الزمخشري هذا النوع المنسوب من المجاز بالإسناد المجازي [2] ، أي: الإسناد المنسوب إلى المجاز ، واختلف عن المجاز المرجل من حيث وجوب توفر المشابهة فضلا عن القرينة الدالة على أن الحمل مجاز والعلاقة التي تسوّغ المجاز عقلا وذوقا وهو ما يتجلى فيه الانزياح في الدلالة . ومن ذلك قوله تعالى : (**لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا ظ إِلَيْهِمْ ()** ) [3] .

- هنا لا بد من قيام التأويل ، فالمجاز حاصل في اسناد الكلام إلى الله ـ سبحانه ـ بعلاقة سببية ، أي : ما بُني إلى الفاعل وأسند إلى السبب ، فاسناد عدم الكلام إلى الله ـ سبحانه ـ كان سببا لعدم رضاه ـ جل وعلا ـ عن هؤلاء القوم [4] .
- وقد تكون العلاقة ما بني الكلام فيها للفاعل وأسند إلى المفعول به ، كنحو قوله تعالى : (**أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ()**) [5] ، فالحرم لا يكون آمنا ، لأن

---

٢ ـ ظ : البلاغة العربية ـ عبد الرحمن الميداني ٢ / ٢٢١ ، والإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ١ / ٨٢ و ٥ / ٤ .

٣ ـ الكشاف ١ / ١١٨ .

٤ ـ آل عمران / ٧٧ .

١ ـ ظ : البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التاويلية ، د . صباح عباس عنوز ، ( بحث منشور ) مجلة القادسية مج ١١ / ع ١ / ٢٠٠٨م ، ص ٣٣ .

٢ ـ القصص / ٥٧ .

الاحساس من صفات الأحياء ، إنما هو مأمون ، فجعله فاعلا وهو مفعول به يقع عليه الأمان .

- وتأتي العلاقة على ما بُني للمفعول وأسند إلى الفاعل من مثل قوله تعالى : (**وَإِذَا قَرَأْتَ القرآن جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ()** ) [1] ، أي : حجابا ساترا . فالمستور في الأصل هو القرآن [2].
- وربما جاءت العلاقة مكانية ، وفيها يسند الفعل أو ما في معناه إلى المكان المسند إليه . قال تعالى : (**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ()** ) [3] . فالفعل ( أخرج ) أسند إلى مكانه فالأرض لا تتصف بإخراج الأثقال ، لأن الإخراج فعل القادر المختار ــ الله ــ فالمسند إليه حقيقة هو الله [4] .
- وقد يسند الفعل أو ما في معناه إلى زمان حدوثه ، نحو قوله تعالى : (**وَالضُّحَى () وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ()** ) [5] ، فالليل لا يسكن ، ولكن في الليل تهدأ حركات الناس ، فاجرى الله تعالى صفة السكون عليه ، كون الليل هو الزمن الذي يقع عليه السكون [6] .

---

٣ ــ الإسراء / ٤٥ .

٤ ــ ظ : أصول البيان العربي محمد حسين الصغير ص ٤٣ وما بعدها ، ظ : أساليب القرآن الكريم ، جعفر الحسيني ص ٤٢٢ .

٥ ــ الزلزلة / ٢ .

٦ ــ ظ : أصول البيان العربي محمد حسين الصغير ص ٤٣ وما بعدها ، ظ : أساليب القرآن الكريم ، جعفر الحسيني ص ٤٢٦ .

١ ــ الضحى / ١ ــ ٢ .

٢ ــ ظ : أصول البيان العربي محمد حسين الصغير ص ٤٥ ، ظ : أساليب القرآن الكريم ، ص ٤٢٨ .

- وتأتي العلاقة مصدرية ، بإسناد الفعل إلى مصدره ، كقوله تعالى : **(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ()** ) [1] . فالمسند الفعل ( ينزغ ) والمسند إليه ، المصدر ( نزغ ) والأصل : ينزغ الشيطان الإنسان ، وأما قوله تعالى ( ينزغنك نزغ ) فيه اجتياز للاستعمال الحقيقي ، إذ نسب الفعل إلى مصدره ، ولم ينسب إلى صاحبه وهو الشيطان لأجل القرينة العقلية [2] .

**٢ ـ المجاز اللغوي ، ومنه المجاز المرسل :**

وهو مجاز لغوي علاقته غير المشابهة بين المعنى الأول والمعنى الثاني الذي أستعمل فيه ، وهذه العلاقة ، أنواعها كثيرة [3] .

ومثاله في القرآن الكريم ، قوله تعالى : **(قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ()** ) [4] ، وقوله تعالى : **(لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ()** ) [5] ، والمراد بالقيام في الآيتين : الصلاة ، والعلاقة بين الصلاة والقيام ، هنا ، هي الجزئية ، فالقيام جزء من الصلاة [6] .

ومن الأمثلة الأخرى أيضا ، ما ذكره المفسرون حول الإشكال الوارد في قوله تعالى : ( **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ**

---

٣ ـ الأعراف / ٢٠٠ .

٤ ــ ظ : أصول البيان العربي محمد حسين الصغيرص ٤٦، ظ : أساليب القرآن الكريم ، ص ٤٣٠ .

٥ ـ ظ : الايضاح القزويني / ٢٧٠ . ظ : أصول البيان العربي محمد حسين الصغير ص ٥٣ ، ظ : علم البيان ، د . عبد العزيز عتيق ، ص ١٤٣ .

١ ـ المزمل / ٢ .

٢ ـ التوبة / ١٠٨ .

٣ ــ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، البهاء السبكي ص ٤ / ٤٥ ، وفيه : ( أن الجزئية هي أقوى العلاقات في المجاز المرسل ) .

**أصَابَتْهُ فِتْنَـةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِـهِ خَسِرَ الـدُّنْيَا وَالْـآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ () يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَـا يَضُرُّهُ وَمَـا لَـا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ () يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ()** ) [١] .

قال الأمام البغوي : « هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة :

ـ أولها : قالوا : قد قال الله في الآية الأولى : ( يدعوا من دون الله ما لا يضره ) ، وقال ها هنا : ( لَمَن ضَرّهُ أقربُ ) فكيف التوفيق بينهما ؟ » [٢] .

ولعل وجه الإشكال ظاهر من بيان الإمام البغوي ، حيث إن الله تعالى نفى الضر والنفع معا عن ذلك المعبود من دون الله ، ثم أثبته في الآية الثانية حين قال : (**يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ** ) ، ولأن صيغة ( أقرب ) التفضيلية دَلّت على أن هناك نفعا وضرا ، ولكن الضرّ أقرب من النفع [٣] .

وقد ذكر المفسرون في ذلك عددا من الأجوبة [٤] .

ـ الأول : أنه لا نفع من قِبَل هذا المعبود ولا ضرّ أصلا ، كما في الآية الأولى ، وإنما جاءت الآية الثانية على لغة العرب ، فهم يقولون في الشيء الذي لا يكون : هذا بعيد ، كقوله تعالى : (**ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ()** ) [٥] ، أي : لا رجع أصلا ، فلما كان نفع الصنم بعيدا ، على معنى أنه لا نفع فيه أصلا ، قيل : (**ضَرُّهُ أَقْرَبُ** ) لا أنه كائن .

---

٤ ـ الحج / ١١ ـ ١٣ .

٥ـ معالم التنزيل ، البغوي ٥ / ٣٦٩ .

١ ـ ظ : أضواء البيان ، الشنقيطي ٥ / ٤٥ .

٢ ـ ظ : جامع البيان ، الطبري ١٧ / ١٢٤ ، والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٣ / ٢٦١ ، وزاد المسير ، ابن الجوزي ٥ / ٤١١ ، ومفاتيح الغيب ، الرازي ٢٣ / ١٤ ، والبحر المحيط ، أبو حيان ٦ / ٣٥٥ ، وتفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ص ١٢٦٥ ، وروح المعاني ، الآلوسي ١٧ / ١٢٥ ، وفتح البيان ، صديق حسن خان ٩ / ٢٢ .

٣ ـ ق / ٣ .

ـ الثاني : أن النفع والضر المنفي ، هو بالنسبة لعبادة الأصنام أما الآية الأخرى ، فهي فيمن عبد الطغاة من دون الله تعالى ، كفرعون ، فان أمثال هؤلاء قد يغدقون النعم الدنيوية على عابديهم ، فضرّ هذا المعبود بخلود عابده في النار أقرب من نفعه بعرض قليل زائل من حطام الدنيا .

ـ الثالث : إنها في الحقيقة لا تضرّ و لا تنفع ، وذلك ظاهر من الآية الأولى ، وإنما أثبت الضر والنفع في الآية الأخرى على طريق التسليم ، بمعنى : لو سلمنا كونها ضارة نافعة ، لكان ضرّها أكثر من نفعها .

ـ الرابع : وهو أن إثبات الضرر والنفع في الآية الثانية على معنى أنه يدعو من ضرره الحاصل بسبب عبادته أقرب من نفعه الحاصل بسبب عبادته لا أن هذه المعبودات تضر وتنفع بنفسها ، فالنفع والضر المثبت في الآية الأخرى متعلق بما يحصل للعابدين بسبب عبادتهم لهذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع بنفسها .

قال ابن تيمية في قوله تعالى : (**يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ** () ) [1] ، نفي عام ، كما في قوله تعالى : (**وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا** () ) [2] . فهو لا يقدر أن يضرّ أحدا سواء عَبَدَهُ أم لم يعبده ، ولا ينفع أحدا سواء عبده أم لم يعبده ... و إذا كان كذلك فتقول : المنفي قدرة من سواه على الضر والنفع ، وأما قوله : « ضَرّهُ أقربُ من نفعِهِ فنقول أولا : المنفي هو فعلهم بقوله : ( ما لا يضره وما لا ينفعه ) والمثبت : اسم مضاف إليه ، فانه لم يقل : يضرّ أعظم مما ينفع ، بل قال ( لمن ضره أقرب من نفعه ) ، والشيء يضاف إلى الشيء بأدنى ملابسة ، فلا يجب أن يكون الضر والنفع المضافان من باب إضافة المصدر الى الفاعل بل يقد يضاف المصدر من جهة كونه اسما كما تضاف سائر الاسماء ، وقد يضاف إلى محله

---

١ ـ الحج / ١٢ .

٢ ـ طه : ٨٩ .

وزمانه ومكانه وسبب حدوثه وإن لم يكن فاعلا ... فما يدعى من دون الله هو لا ينفع ولا يضر ،لكن هو السبب في دعاء الداعي له وعبادته إياه ، وعبادة ذاك وادّعاؤه هو الذي ضرّه ، فهذا الضر المضاف إليه غير الضر المنفي عنه » [1] . ان في الآية مجازا عقليا ، كما يذهب إليه ابن تيمية وإن لم يصرح به ، إذ ذكر في أثناء دفعه للإشكال من علاقات المجاز العقلي ثلاثا ، وهي : المكانية ، والزمانية ، والسببية ، ثم طبّق علاقة السببية على ما في الآية من إضافة الضر وهو مصدر مستعمل استعمال الأسماء ، لأن بين الضر الحاصل من الله تعالى لعابدي الأصنام ، والأصنام نوع تعلق ، فبسبب عبادتها أضرّ الله عابديها فنسب الضر إليها على منهج المجاز العقلي [2] . وهناك علاقات تميز المجاز عن غيره من أساليب البيان في إظهار المعنى المخفي بطريق التأويل ، كما في قوله تعالى : (**فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ()** ) [3] .

- فالتأويل هنا لا بد منه ، إذ وقع المجاز بذكر الجزء وأُريد به الكل . فـ ( تقر عينها ) بمعنى تهدأ نفسها وجسمها ، فأخذ الجزء وعوّض به عن الكل ، فالعين مجاز مرسل ، فالعلاقة جزئية [4].
- أما العلاقة الكلية ، فمثالها في قوله تعالى : (**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ()** ) [5] . فالإصبع لا يوضع كله ، وإنما المراد طرفه ، فالعلاقة كلية [1].

---

٣ ــ مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١٥ / ٢٧٢ ــ ٢٧٤ ، وهو مذكور في دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ٤ / ٣٧٤ ــ ٣٧٦ .

١ ــ ظ : المجاز في اللغة والقرآن الكريم ، د . عبد العظيم المطعني ٢ / ٨٤٧ .

٢ ــ طه / ٤٠ .

٣ ــ ظ : أصول البيان العربي محمد حسين الصغير ص ٥٤ ــ ٥٦،أساليب البيان في القرآن ، جعفر الحسيني ص ٣٩٩ .

٤ ــ البقرة / ١٩ .

- وقد يطلق لفظ السبب ، ويراد به المسبب ، أي : إطلاق السبب على المسبب ، نحو قوله تعالى : (**مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ** () ) [٢] . أطلق هنا السبب ، والمراد به القبول والعمل بالقرآن الكريم ، لأن ذلك نتيجة السمع فالعلاقة سببية [٣].
- وقد تكون من باب طلاق لفظ المسبب ويراد به السبب من مثل قوله تعالى : (**وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا** () ) [٤] . فالرزق لا ينزل من السماء ولكن الذي ينزل من السماء المطر ، يروي الأرض وينشئ النبات ، فيعطي ثماره فالرزق مسبّب عن المطر .
- وتأتي العلاقة باعتبار ما كان في الماضي [٥]، نحو قوله تعالى : (**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا** () ) [٦] ، أي : كان مجرما في الحياة الدنيا .
- وقد تكون العلاقة باعتبار ما يكون ، أي : يطلق الوصف على شيء باعتبار أتصاف الشيء بهذا الوصف في المستقبل [٧]. قال تعالى : (**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ**

---

٥ ــ ظ : أصول البيان العربي محمد حسين الصغير ص ٥٦ ــ ٦٠ ،أساليب البيان في القرآن ، جعفر الحسيني ص ٤٠٢ .

٦ ــ هود / ٢٠ .

١ ــ ظ : الاداء البياني في لغة القرآن الكريم / د . صباح عنوز ص ٣١ ــ محاضرات القاها على طلبة الدكتوراه في كلية الفقه سنة ٢٠٠٦ ــ ٢٠٠٧ .

٢ ــ غافر / ١٣ .

٣ ــ ظ : أساليب البيان في القرآن ، جعفر الحسيني ص ٤٠٣ .

٤ ــ طه / ٧٤ .

٥ ــ ظ : أساليب البيان في القرآن ، جعفر الحسيني ص ٤٠٤ ، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع / احمد الهاشمي ص ١٢٨ .

**لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا () إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ()** ) [1] . فالمجاز المرسل في ( فاجرا كفارا ) لأن المولود حين يلد لا يكون كذلك . أي : أريد به الرجل الفاجر باعتبار ما يكون بعد الولادة .

- وقد يطلق المحل [2] ، ويراد به الحال [3] ، أي : كون الشيء يحل فيه غيره ، نحو قوله تعالى : (**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ()** ) [4] ، ويراد به : اللسان الموجود في الفم .

إلى غير ذلك من العلاقات الأخرى مما يكشف عن علاقة المجاز المرسل بالتأويل .

**ب ــ مقاصد التأويل المتأثرة بعلم المعاني :**

هناك إسهامات عديدة لعلم المعاني في تطور آليات التفسير والتأويل القرآني ، وهذا من محصلات علم البلاغة الذي يشتمل على دلالات من شأنها الإفصاح عن قصدية السياق القرآني .

فالقرآن نص عربي جاء على نظام اللغة العربية وأن عملية فهم اللغة العربية لا بد من أن يكون لها الدور في فهم القرآن وتأويله [5] .

يقول الزمخشري في هذا السياق : « ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما : علم المعاني ، وعلم البيان ،

---

٦ ــ نوح / ٢٦ ــ ٢٧ .

١ ــ ظ : أساليب البيان في القرآن الكريم ، جعفر الحسيني ص ٤٠٦ .

٢ ــ ظ : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، الهاشمي ، ص ١٨٢ .

٣ ــ آل عمران / ١٦٧ .

٤ ــ ظ : تفسير سورة الحمد ، محمد باقر الحكيم ص ٥٨ .

وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مضانها ، همةٌ في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم )» [1] .

ولفضل هذين العلمين ( المعاني والبيان ) على عملية فهم النص القرآني المجيد ، والتعب في تحصيلهما يؤكد السكاكي حقيقة ( إن الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى ، وتقدس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين كل الافتقار ، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير ، وهو فيهما راجل ) [2] ، أي : غير متسلح بالعلم .

فهذان القولان يبحثان في تأثير علميّ ، المعاني والبيان في تأويل وتفسير آي الذكر الحكيم ، مما يستوجب على المفسر والمؤول الغوص في حقيقة هذين العلمين ، واستخراج مكنوناتهما ، والمفتقر لهما مفتقر لآليات التأويل .

ويذهب إلى هذا المنحى أيضا صاحب الطراز ، بالقول : « إن علم المعاني من أجلّ العلوم قدرا ، لأنه يستولي على استخراج أسرار البلاغة من معادنها ، وهو الغاية التي ينتهي إليها فكر النظار ، والضالة التي يطلبها غاصة البحار وعليه التعويل في الإطلاع على حقائق الإعجاز » [3] .

وعلى هدي ذلك فإن الغوص في أساليب علم المعاني بغية الوقوف على مراد الله تعالى على نحو يؤدي إلى مستويات فهم الآي الذي يمر بآليات الحذف تارة ، وإبدال شيء مكان شيء أو إبدال حرف بحرف ، أو أسم باسم ، أو فعل بفعل تارة أخرى وقد

---

١ ـ الكشاف ، الزمخشري ١ / ٧ .

٢ ـ مفتاح العلوم ، السكاكسي ، ص ٢٤٩ .

٣ ـ الطراز ، العلوي ، ص ١٣ .

يكون بسبب التكرار ، والإطناب ، أو الاختصار ، أو الإيجاز أو غيرهما من أفانين علم المعاني [1] .

ـ **الإطناب :** وفيما يلي توضيح لمعالم الإطناب في اللغة ، والاصطلاح وأمثلته .

فالإطناب ، لغة ، هو الإطالة ، واصطلاحا : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة [2] .

ولعل من الجدير الإشارة هنا ، هو أن القرآن الكريم بليغ أصلا ، لا زيادة فيه ، إلا أن التطويل في بعض آيات التنزيل الحكيم يقصد منه جلاء المعنى الدلالي لإفهام المخاطب ولا يتحقق هذا إلا بواسطة الإطناب الذي يعدّ رافدا من روافد علم المعاني ، إذ أن وجود الإطناب يصبح ضرورة للمخاطب على مختلف مستوياته ، ومن مواضعه :

- الإيضاح بعد الإطناب ، وهو المعنى إذا كان مجملا تشوقت النفس إلى تفصيله وإيضاحه ، وهكذا إذا انتظرت المعنى الذي يأتيك شيئا فشيئا تشعر بلذة بانتظار الحصول عليه بعد جهلك به قبل تحصيله [3] .

ففي قوله تعالى : (**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** () ) [4] .

الوصف هنا فيه إسهاب ( إطناب ) ، ولكن ساعد هذا الإطناب في توسع فضاءات المعنى ، ومن خلاله تم التوصل إلى مقاصد الآية الكريمة ، فلو اقتصر الوصف على الذلة بالنسبة إلى المؤمنين ، لتُوهم إن ذلتهم على معنى الضعف ، فلما قال تعالى :

---

٤ ــ ظ : أصول التفسير وقواعده ، خالد عبد الرحمن العك ص ٢٠١ .

١ ــ ظ : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، ص ١٤٥ .

٢ ــ ظ : الإيضاح ، القزويني ص ١٥١ ، وعلم المعاني ، عبد العزيز عتيق ص ١٥٧ والبلاغة والتطبيق ، د . أحمد مطلوب ص ٢٠٣ ، وأصول البيان العربي ، د . محمد حسين الصغير ص ٢٢٤ .

٣ ــ المائدة / ٥٤ .

(**أعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ) عُلم إنها تواضع منهم ، وقد وضحت المقصود من قوله تعالى : (**أذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ) .

قال القزويني : ( ويجوز أن تكون التعدية بـ ( على ) لأن المعنى : إنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضوا لهم أجنحتهم ) [1] ، ولو لم تأت عبارة (**أعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ) لتوهم أنهم أذلة على المؤمنين لضعفهم ، ولكن أسلوب الاحتراس أزال الإبهام وبيّن منزلة المؤمنين .

- ومما ورد في هذا السياق ، قوله تعالى : (**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ()** ) [2] .

وهنا يكون المعنى من دون قوله تعالى : (**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ** ) موهما في أن يكون ذلك البياض لمرض ، كالبرص ، أو سوء أصاب اليد وعلى هذا جاء قوله تعالى (**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ** ) دفعا لهذا الإبهام [3] .

ومن أمثلة الإطناب الذي أوضحه البلاغيون :

- ذكر الخاص بعد العام ، أي : التنبيه على فضل خاص وزيادة التنويه بشأنه ، وكأنه ليس من جنس العام ، ومثال ذلك ، قوله تعالى : (**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ()** ) [4] ، فالله ــ سبحانه وتعالى ــ خص الصلاة الوسطى بالذكر مع أنها داخلة في عموم الصلوات ، تنبيها وتأكيدا

---

١ ــ الإيضاح ، ص ١٥٧ .

٢ ــ القصص / ٣٢ .

٣ ــ ظ : علم المعاني ، د . عبد العزيز عتيق ص ١٦١ .

٤ ــ البقرة / ٢٣٨ .

علـى فضلها الخـاص ، حتـى أنهـا لفضلها جنس آخـر مغـاير لمـا قبلهـا ، فالغرض البلاغي من هذا الإطناب هو التنويه بالشأن الخاص [1] .

- ذكر العـام بعد الخـاص : أي : إفـادة العمـوم مـع العنايـة بالشأن الخـاص ، وهو الغرض منه ، من مثل قولـه تعـالى : (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ()** ) [2] ، فلفظ ( لـي ولوالـدي ) زائد في الآية ، لدخول معناه في عموم المؤمنين والمؤمنـات ، أي : ألفاظ المؤمنين والمؤمنات عام يدخل في عمومها ، لفظ ( لـي ) و ( لوالـدي ) ، والغرض من هذه الزيادة لإفادة العموم مع العناية بالخـاص لـذكره مـرتين ، مرة وحده ، ومرة مندرجا بعد العام [3] .

وهنـاك مواضـع أُخـر ذكرهـا البلاغيـون ، جـاء منهـا فـي قولـه تعـالى : (**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ()** ) [4] ، قال الشريف الرضـي : ( وهـذه اسـتعارة ، فأمـا الفائـدة فـي قولـه تعـالى : ( **وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ) والقلب لا يكون إلا في الصدور ، فان هذا الاسم الذي هو القلـب ، لمـا كـان فيـه اشـتراك بـين مـسميات ، كقلـب الإنـسان ، وقلـب النخلـة والقلـب ، هـو الـصميم والصريح في قولهم : ( هو عربـي قلبـا ) والقلب الـذي هـو مـصدر قلـب الـشيء أقلَـبَهُ قلبا ، وحَسُن أن يزال اللبس ، بقوله تعالى : (**الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ) احترازا من تجويز الاشتراك ) [5] .

---

٥ ـ ظ : علم المعاني ، د . عبد العزيز عتيق ص ١٥٨ .

١ ـ نوح / ٢٨ .

٢ ـ ظ : علم المعاني ، ص ١٥٩ .

٣ ـ الحج / ٤٦ .

٤ ـ تلخيص البيان ، الشريف الرضي ص ٢٣٩ .

والإطناب عند الرضي ، أنما يؤتى به لإفادة زيادة المعنى وتقريب الصورة إلى الذهن ، كما في نحو قوله تعالى : (**مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ** () ) [1] . يقول : « وهذه استعارة ... وفي قوله تعالى (**فِي بُطُونِهِمْ** ) زيادة معنى ، وأن كان كل آكل إنما يأكل في بطنه ،وذلك أفظع سماعا ، وأشد إيجاعا ، وليس قول الرجل للآخر : إنك تأكل النار ، مثل قوله : إنك تأكل النار في بطنك » [2] .

والمتحصل من تفسير الرضي لهذه الآية أنه استفاد معنى نفسيا لم يكن ليتحقق لولا إفادته من هذا المورد لما قرّ من معنى الرهبة في القلب والمرارة في النفس ، وذلك مستفاد من نص الآية . موضع الاحتجاج .

**الإيجاز :**

- الإيجاز ، ويعني في اللغة : التقصير ، تقول : أوجزت الكلام ، أي : قصرته ، وكلام موجز ، ومن أوجز [3] .

والإيجاز في الاصطلاح : ( التعبير عن المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ مع الوفاء به ، وإلا كان إخلالا يفسد الكلام ) [4] .

- والايجاز « القصر والحذف ، فالقصر : تقليل الألفاظ ، وتكثير المعاني ، وهو قول الله عز وجل : (**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ()) » [5] . ويتبين فضل هذا الكلام ، إذا قرنته بما جاء عن العرب في معناه : وهو قولهم : ( القتل

---

٥ ـ البقرة / ١٧٤ .

١ ـ تلخيص البيان ، ص ١١٩ .

٢ ـ ظ : البلاغة والتطبيق ، د . أحمد مطلوب و د . كامل حسن البصير ، ص ١٧٩ .

٣ ـ النكت في إعجاز القرآن ( ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ) ، : د . محمد خلف الله ص ٧٦ . ظ : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، الفخر الرازي ص ١٤٥ .

٤ ـ البقرة / ١٧٩ .

أنفى للقتل ) ، فصار لفظ القرآن فوق هذا القول لزيادته عليه في الفائدة ، وهو إبانة العدل لذكر القصاص وإظهار الغرض المرغوب عنه فيه لذكر الحياة ، واستدعاء الرغبة والرهبة لحكم الله به « والإيجاز في العبارة ، فإن الذي هو نظير قولهم : ( القتل أنفى للقتل ) إنما هو : القصاص حياة ، وهذا أقل حروفا من ذلك ولبعده عن الكلفة بالتكرير ، وهو قولهم ( القتل أنفى للقتل ) » [1] .

ويقسم الإيجاز بالقصر إلى ضربين :

الأول : دلالة لفظه على محتملات متعددة ، ويكون بالإمكان التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها ، ومن أمثلته قوله تعالى : (**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى () فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ()** ) [2] ، فقوله سبحانه : (**فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ** ) فيه من جوامع الكلم التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة [3] ، بمعنى : غشيهم من الأهوال والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه ، ولا يحيط به غيره .

ومنه أيضا قوله تعالى : (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ()** )[4] ، فجمع ــ سبحانه ــ في الآية جميع مكارم الاخلاق ، لأن الأمر بالمعروف من صلة الأرحام ، والامتناع عن الغيبة والكذب وفيه أيضا من معاني الإعراض عن الجاهل بما يقتضيه الصبر والحلم .

---

١ ــ كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ص ١٨١ .
٢ ــ طه / ٧٧ ــ ٧٨ .
٣ ــ ظ : البلاغة والتطبيق ، د . احمد مطلوب ص ١٨٤ .
٤ ــ الأعراف / ١٩٩ .

الثاني : دلالة لفظه على محتملات متعددة لا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها . بل ويستحيل ذلك .وهذا من أعلى طبقات الإيجاز مكانا [1] .

قال تعالى : (**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ()** ) [2] ، ففي هذه الآية من الإيجاز ما يفوق كل كلام مما ورد في باب الإيجاز من كلام العرب .

- **إيجاز الحذف :**

وهو على قول ابن الأثير « ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام

على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه » [3] .

وقال أيضا واصفا هذا الأسلوب : « وأما الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر شبيه بالسحر ، وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون مبينا إذا لم تبيّن ، وهذه جملة تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر . والأصل في المحذوفات جميعا على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف ... » [4] .

وأما الحذف ، فعلى وجوه ، منها :

---

١ ــ ظ : البلاغة والتطبيق ص ١٨٥ .

٢ ــ البقرة / ١٧٩ .

٣ ــ المثل السائر ٢ / ٧٨ .

٤ ــ المصدر نفسه ٢ / ٨١ .

ـ أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وحذف المضاف في « كلام العرب واشعارها وفي الكتاب العزيز أكثر من أن يحصى وأحسنه ما دل عليه معنى أو قرينة أو نظير أو قياس »[١]،نحو قوله تعالى : (**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** () )[٢] ، أي أهلها .
ـ أو أن يوقع الفعل على شيئين ، وهو لأحدهما ، ويُضمر للآخر فعله ، نحو قوله تعالى : (**فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ** () ) [٣] . على معنى : وادعوا شركاءكم .
ـ أو يأتي الكلام على مراد الجواب ، فيقع الحذف لعلم المخاطب ، نحو قوله تعالى : (**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ**

**الْأَمْرُ جَمِيعًا** () ) [٤] .

على معنى : لكان هذا القرآن ، فحذف [٥] .

وفي موضع حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها ، ما جاء في تفسير الرضي لقوله تعالى : (**لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ** () ) [٦] ، قوله : « وتلخيص المعنى : ليس لوقعتها كذب ولا خلف ، وقيل : ليس لها قضية كاذبة ، لإخبار الله ــ سبحانه ــ بها ، وقيام الدلائل عليها ، فحذف الموصوف ، وأُقيمت الصفة مقامه ... » [٧]

---

١ ـ الأمالي الشجرية / ابن الشجري ١ / ٥١ . وذكر ابن جني إن حذف المضاف كثير وواسع ، ونقل الزركشي عنه أن في القرآن منه ألف موضع . ظ : الخصائص ٢ / ٣٦٢ ، والبرهان في علوم القرآن ٣ / ١٤٦ .

٢ ـ يوسف / ٨٢ .

٣ ـ يونس / ٧١ .

٤ ـ الرعد / ٣١ .

٥ ـ ظ : كتاب الصناعتين ص ١٨٨ .

٦ ـ الواقعة / ٢ .

١ ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي ، ص ٣٢٥ .

- **أدلة الحذف :**

وهي كثيرة نجتزئ منها ما يلي [1] :

ا ـ أن يـدل العقل على الحذف ، وبدلالـة المقصود الأظهـر على تعيين المحذوف ، ومن نحو قوله تعالى : (**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ()** ) [2] . فهنا وقع الحذف بدلالـة عقلية ويرشدك إلى هذا المقصود الأظهر ، إذ التقدير : حُرّم عليكم تناول الميتة والدم ولحم الخنزير لأن الغرض منه الأظهر منها تناولها .

ب ـ أن يـدل العقل على الحذف والتعيين ، ومن نحو قوله تعالى : (**وَجَاءَ رَبُّكَ ()** )[3] . والمقصود : أمر ربك ، أو عذابه أو بأسه .

جـ ـ أن يدل العقل على الحذف ، والعادة على التعيين ، نحو قوله سبحـانه حكاية عن امرأة العزيز : (**فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ()** ) [4] . فهذه دلالة العقل بسبب أن الإنسان إنما يلام على كسبه فيحتمل أن يكون التقدير ، في حبه لقوله : (**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ()** ) [5] ، وان يكون في مراودته لقوله : (**تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ()** ) [6] . وقد دلت العادة على تعيين المراودة ، لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه في العادة لقهر صاحبه ، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التي يكون بمقدوره دفعها عن نفسه .

---

٢ ـ ظ : الإيضاح القزويني ص ١٩٣ . و ظ : شروح التلخيص ، مسعود بن عمر التفتازاني . ظ : البلاغة والتطبيق ، احمد مطلوب ص ١٨٦ .

٣ ـ المائدة / ٣ .

٤ ـ الفجر / ٢٢ .

٥ ـ يوسف / ٣٢ .

٦ ـ يوسف / ٣٠ .

١ ـ يوسف / ٣٠ .

د ـ أن تدل العادة على الحذف والتعيين ، من نحو قوله تعالى : (**لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ()** ) [1] .والمسوّغ على الحذف هنا أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب ، فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها فتعين الحذف لذلك ، وتقديره : ( مكان قتال ) ، أي : أنكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال ، ويُخشى عليكم منه .

هـ ـ الشروع في الفعل : نحو قول المؤمن ( بسم الله الرحمن الرحيم ) عند الشروع في القراءة أو أي عمل يقدم عليه ،فهذا يفيد أن المراد ( بسم الله أقرأ ) ويقدر المحذوف ما جعلت التسمية مبدأ له .

و ـ اقتران الكلام بالفعل ، فهذا يفيد في التقدير ، كقولك لمن أعرس : ( **بالرفاء والبنين** ) ، على تقدير : بالرفاء والبنين أعرست .

**جـ ـ علم البديع وأثره في تأويل القرآن الكريم :**

وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ، ووضوح الدلالة . وقد أطلقوا مصطلح البديع على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية ولا سيما الصور البيانية التي تشتمل على محسنات لفظية ، وعلى محسنات معنوية [2] .

وللبديع ضروب ، منها المطابقة ، وتسمى الطباق والتضاد أيضا ، وهي الجمع بين المتضادين ، أي : معنيين متضادين في الجملة ، كما في قوله تعالى : (**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى () وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى () فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى () وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى () وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى () فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ()** ) [3] . فإن المراد بـ ( استغنى ) أنه زهد فيما عند الله ، أي : أنه مستغن بما عند الله بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتقِ.

---

٢ ـ آل عمران / ١٦٧ .

٣ ـ ظ : الإيضاح ، القزويني ص ٢٥٥ .

١ ـ الليل / ٥ ـ ١٠ .

وقال السكاكي : المقابلة : أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ، ثم إذا شرطت هنا شرطا ، فلا بد أن يكون هناك ضده ، كقوله تعالى : (**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى** ) .

فلما جعل التيسير مشتركا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده ، وهو التعشير مشتركا بين الأضداد تلك ، وهي المنع والاستغناء والتكذيب [1] .

● **وهناك أغراض أخرى:**

منها كالمشاكلة ، والمبالغة ، والالتفات والتورية .

أما المشاكلة ، فهي في اللغة : المشابهة والموافقة ، وفي الاصطلاح ذكر الشيء بلفظ غيره ، لوقوعه في صحبته ، نحو ما جاء في قوله تعالى : (**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ()** ) [2] . والمعنى : وجزاء سيئة ، عقوبة مثلها ، وقد استبدلت كلمة ( عقوبة ) بكلمة ( سيئة ) .

ومنها أيضا : ما جاء في قوله تعالى : (**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ()** ) [3] . قال الرضي : « هذه استعارة ، لأن حقيقة المكر لا تجوز عليه تعالى ، والمراد بذلك : إنزال العقوبة بهم جزاء على مكرهم ، وإنما سمي الجزاء على المكر مكرا ، للمقابلة بين الألفاظ على عادة العرب في ذلك » [4] .

والمبالغة ، إنما هي على طريق المجاز والاستعارة كما يراها الرضي في تفسيره لقوله تعالى : (**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ()** ) [5] . قال الرضي : «

---

٢ ـ ظ : الإيضاح ، القزويني ص ٢٦٠ .

٣ ـ الشورى / ٤٠ .

٤ ـ آل عمران / ٥٤ .

١ ـ تلخيص البيان ، ص ١٢٣ .

٢ ـ النور / ٣٥ .

وهذه مبالغة في وصف الزيت بالصفاء والخلاصة على طريق المجاز والاستعارة حتى يقارب أن يضيء من غير أن يتصل بالنار ... » [١] .

وقد أُشير إلى الالتفات وما يتطلبه هذا الفن من البلاغة كما في نحو قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ())** [٢] .

وقد ردّ الشريف الرضي على من تساءل عن مغزى الالتفات الوارد في الآية ، من المواجهة إلى الغيبة ، حيث قال : « أن يكون الكلام على مثال قوله تعالى : **(حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ())** [٣] ، وذلك مما يراد في كلام العرب وأشعارها ، فتعرف بها قدرتها على التصرف في أقطار الكلام ، والتفسح في أعطان الخطاب ، فتارة تكون مواجهة ، لأنه أبلغ في المخاطبة ، وتارة يكنى عن المخاطبين كما يكنى عن الغائبين ، لأن ذلك أشد تصرفا ،وأقرب طريقا ومذهبا » [٤].

والذي يبدو للباحث من خلال هذا النص وما سبقه أن الشريف الرضي وإن كان لم ينص صراحة على مصطلح الالتفات كما هو معروف لدى البلاغيين المتأخرين إلا أنه دل على وعي دقيق بكلام العرب وتصرفهم فيه ، وقد وقف على مصطلح الاستعارة في القرآن الكريم ودلّ عليه عندما وقفنا على مواضعه ، وان هو أطلقه على عموم المجاز مما لم تكن علاقته المشابهة .

أما التورية ، فهو أن يذكر لفظ له معنيان ، سواء بالإشتراك أو التواطؤ ، أو الحقيقة ، أو المجاز ، أحدهما قريب والآخر بعيد ، ويقصد بالبعيد ان يورى عنه

---

٣ ــ تلخيص البيان / ٢٤٥ .

٤ ــ النساء / ٤٧ .

٥ ــ يونس / ٢٢ .

١ ــ حقائق التأويل ، الشريف الرضي ص ٣٥٧ .

بالقريب فيتوهمه السامع أول وهلة ، و إذا كانت التورية بابا لطيفا ، دقيقا « لا ترى بابا في البيان أنفع ولا أعون منه على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله » [1] ، كقوله تعالى : (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ()** ) [2] .

فإن الاستواء على معنيين : الاستقرار على مكان ، وهو المعنى القريب المورّى به الذي هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه .

والثاني : الاستيلاء والملك ، وهذا المعنى البعيد المقصود ورّى عنه بالقريب المذكور ، وهذه التورية مجرّدة ، لأنها لم يذكر فيها شيء من لوازم المورّى به ، لا المورّى ، يقابله تورية مرشحة يذكر فيها شيء من لوازم المورّى به والمورّى ، كقوله تعالى : (**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ()** ) [3] . فإنه يحذف اليد الجارحة وهي المورّى بها ، وقد ذكر من لوازمها على جهة الترشيح ( البنيان ) ويحتمل القدرة والقوة ، وهو البعيد المقصود [4] .

ومن ذلك قوله تعالى : (**قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ()** ) [5] . فالضلال على ما نرى يحتمل معنيين ، الحب ، وضد الهدى ، فاستعمله أولاد يعقوب على معنى : ضد الهدى ، تورية عن الحب ، فإذا كانت التورية بابا من أبواب البلاغة ، فيه دقة ولطف في المنسج والدلالة ، يوجد فيها في جانب آخر مدعاة إلى الغموض والإبهام [6] .

---

٢ ــ الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣ / ٢٢٧ .

٣ ــ طه / ٥ .

١ ــ الذاريات / ٤٧ .

٢ ــ ظ : الاتقان ، ٣ / ٢٢٧ . وظ : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، د . هادي نهر ، ص ٤٦٢ .

٣ ــ يوسف / ٩٥ .

٤ ــ ظ : علم الدلالة التطبيقي ، د . هادي نهر ، ص ٤٦٢.

## ثانيا : المستوى اللغوي:

اتسمت اللغة العربية بسمات تجلت فيها منزلتها ومكانتها ، ومن تلك السمات ، سمتان جوهريتان :

ـ طاقة معنوية تشد من وجودها وأصولها .

ـ وقوة دلالية تجدد من نمائها وبقائها ، وتعاظمت هاتان السمتان بنزول القرآن الكريم ، إذ استطاعت هذه اللغة ( أن تتحمل هذا القدر الهائل من المفارقة بين كلامين ، كلام هو غاية في البيان فيما تطيقه هذه القوى ببيان ظاهر المباينة له من كل الوجوه ) [1] .

إن هذه اللغة في دلالاتها الكثيرة ، ومعانيها الوفيرة قادرة على التعبير بأكثر من دلالة ، والبيان بأكثر من وجه ، فكان هناك من الألفاظ ، المشترك ، والمتضاد ، والمتقابل ، والنظير ، والمترادف والمتباين ، وسنتناول في أدناه بشيء من الاختصار بعض هذه الألفاظ ، وبما يتسق مع ضرورات منهج الدراسة .

### ١ ـ المشترك اللفظي :

هو « أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر » [2] .

جاء في التعريفات للجرجاني : « ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير ، كالعين لاشتراكه بين المعاني » [3] .

---

٥ ـ الظاهرة القرآنية ، مالك بن بني ، مقدمة الاستاذ محمود شاكر ص ٢٧ .

١ ـ الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس ص ٢٢٥ . وظ : إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، الشوكاني ، ص ١٨ ، والمزهر ، السيوطي ١ / ٣٦٩ .

٢ ـ التعريفات : الشريف الجرجاني ، ص ١١٩ .

واختلف علماء اللغة في المشترك اللفظي ، وجودا وعدما ، فمنهم من قال به ، كالخليل بن احمد (١) وسيبويه (٢) وأبي زيد الأنصاري (٣) وابن قتيبة (٤) .

ومنهم من أنكر وقوع المشترك في اللغة كابن درستويه الذي فسر ذلك بقوله : « فإذا اتفق البناء ان في الكلمة والحروف ثم جاءا بمعنيين مختلفين لم يكن بد من رجوعهما إلى معنى واحد يشتركان فيه فيصيران متفقيّ اللفظ والمعنى » (٥) .

والباحث يرى أن المشترك أمر لا ينكر ، لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ ، ومن أمثلة ذلك ، قوله تعالى : (**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**) ) (٦) . يقول الشريف المرتضى : « النفس في اللغة لها معان مختلفة ، فالنفس نفس الإنسان ، وغيره من الحيوان ، وهي التي إذا فقدها خرج عن كونه حيا ، ومنه قوله تعالى : (**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**) ) (٧) . والنفس ذات الشيء الذي يخبر عنه ، كقولهم : فعل ذلك فلان نفسه ، إذا تولى فعله ، والنفس الأنفة ، من قولهم : ليس لفلان نفس ، أي : لا أنفة له ،والنفس الإرادة ، والنفس : العين التي تصيب الإنسان ، والنفس : الغيب ، يقول القائل : إني لا أعلم نفس فلان ، أي : غيبه ، وعلى هذا تأويل قوله تعالى : (**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**) (٨) » (١) .

---

٣ ــ ظ : المزهر ، السيوطي ١ / ٣٧٢ ، وفصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب ص ٣٢٥، وارشاد العقول ، للشوكاني ص ١٩ .

٤ ــ ظ : الكتاب ١ / ٢٤ .

٥ ــ ظ : النوادر في اللغة ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

٦ ــ ظ : تأويل مشكل القرآن ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦ .

٧ ــ تصحيح الفصيح ، ابن درستويه ١ / ٢٤٠ .

١ ــ المائدة / ١١٦ .

٢ ــ آل عمران / ١٨٥ .

٣ ــ المائدة / ١١٦ .

**٢ ـ الأضداد :**

وهي في اللغة جمع ضد « وضد كل شيء ، ما نفاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل ، والشجاعة والجبن ، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له ، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليس ضدين ، وإنما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم ، فالاختلاف أعم من التضاد ، إذ كان كل متضادين مختلفين وليس كل مختلفين ضدين » [٢] .

فالأضداد اذن : ألفاظ لكل منها معنيان أحدهما ضد الآخر ومن هنا يعد التضاد ضربا من الاشتراك اللفظي [٣] .

ففي قوله تعالى : (**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ** () )[٤] . « ومعنى الظن : قيل : فيه وجهان : أحدهما : أنه أراد الظن المعروف الذي هو بخلاف اليقين ، والوجه الآخر ، أنه أراد به العلم واليقين ، لأن الظن قد يرد بمعنى العلم ، كقوله تعالى : (**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا** () ) [٥] ، وليس يجوز أن يكون أهل الآخرة ظانين ، بل عالمين قاطعين » [٦] .

---

٤ ــ أمالي المرتضى ١ / ٣٢٤ ــ ٣٢٦ . وظ : معاني القرآن ، الزجاجي ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ ، ومفردات الراغب الأصفهاني ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ .

٥ ـ الأضداد ، أبو الطيب اللغوي ١ / ١ وظ : الأضداد ، ابن الانباري ـ المقدمة .

١ ـ ظ : المزهر ، السيوطي ١ / ٣٨٧ ، أبو بكر بن الانباري وجهوده اللغوية والنحوية في كتابه الزاهر ص ٢٤ ، د . موسى حسين الموسوي ص ٢٨٨ .

٢ ـ ص / ٢٤ .

٣ ـ الكهف / ٥٣ .

٤ ــ تنزيه الأنبياء ، الشريف المرتضى ص ١٢٤ . و ظ : أدب الكاتب ، ابن قتيبة ص ١٨٠ / ومعاني القرآن ، الزجاج ١ / ١٢٦ ، ٣٣١ ، ومفردات الراغب ص ٣٢١ ( ظن ) .

وقد رجح الفراء هذا الرأي ، أي أن الظن بمعنى العلم واستشهد بقوله تعالى : (**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ** ) ، أي : علم [1] .

ومما تحصّل لدى الباحث أن ( الظن ) التي بمعنى العلم والتي بمعنى الشك ، قد وردت في آيات القرآن الكريم ، وهذان المعنيان مستفادان من سياق الآيات المعبرة عنهما ، وقدّ مر بنا ورود ( ظن ) بمعنى اليقين ، وورودها بمعنى الشك في آيات عدة ، منها قوله تعالى : (**وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ()** ) [2] ، والظن شك ويقين عند أبي عبيدة في نحو قوله تعالى : (**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ ()** )[3] ، والمعنى : يوقنون [4] .

**٣ ـ الترادف :**

الترادف لغةً: تتابع شيء خلف شيء [5] . واصطلاحا : دلالة عدة كلمات مختلفة

ومنفردة على المسمى الواحد دلالة واحدة [6] .

---

٥ ـ ظ : معاني القرآن ، الفراء ٢ / ٤٠٤ ، والأشباه والنظائر ، مقاتل بن سليمان ص ٣٢٧ .

٦ ـ الجاثية / ٢٤ .

١ ـ البقرة / ٤٦ .

٢ ـ ظ : مجاز القرآن ١ / ٣٨ ـ ٤٠ .

٣ ـ اللسان ، ابن منظور ( ردف ) ٩ / ١١٤ .

٤ ـ ظ : التعريفات ، الجرجاني ص ٢١٠ ، والمرصع ، ابن الأثير ص ٣٥٢ ، والمزهر ، السيوطي ١ / ٤٠٢ ، وموسعة اصطلاحات العلوم ، التهانوي ٣ / ٥٧٨ ، وأبو بكر الأنباري وجهوده اللغوية والنحوية ، د . موسى حسين الموسوي ص ٣٨٤ .

وقد أختلف اللغويون في هذه الظاهرة بين قائل بها ومنكر لها [1] . وقد عبر سيبويه عن هذه الظاهرة بـ « اختلاف اللفظين والمعنى واحد » ومثل له بقولهم : ذهب وانطلق [2] .

ومن مظاهر توسع هؤلاء العلماء في مقولة سيبويه المذكورة آنفا ما قاله المبرد : « من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد ... وإنما اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، قولك : ظننت وحسبت ، وقعدت وجلست ، وذراع وساعد ... » [3] ، ومثل ذلك ما قاله ابن الانباري [4] .

وأيا كانت تلك المواقف والآراء فإن الدراسة الفاحصة على هدى التطور الدلالي للألفاظ كفيلة بإماطة اللثام عن حقيقة هذا التطور بوصفه المسؤول عن ترادف كثير مما ضمته كتب اللغة ومعجمات المعاني ، لا سيما في تلك الألفاظ التي يجمعها التقارب في المعنى .

وقد أحصى الدارسون كثيرا من الأمثلة التي لا يحيط بها عدّ، أو حصر باختلاف وجوه الدلالة فيها .

فمما جاء من هذا ، مثلا ، وتناقلته كتب اللغة : أن أصل ، الوِرْد ، هو إتيان الماء ، ثم صار إتيان كل شيء وردا [5] ، وقد وردت اللفظة بهذا المعنى أيضا ، في نحو

---

٥ ــ ظ : الفروق اللغوية،أبو هلال العسكري ص ١٣،والصاحبي في فقه الله ، ابن فارس ص ٩٦.

٦ ــ ظ : الكتاب ١ / ٨ . وظ : الأضداد ، قطرب ص ٢٤٣ .

١ ــ ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢ ــ ٣ ، المبرد ، وعنه في المزهر ١ / ٢٨٨ .

٢ ــ ظ : الأضداد ، ابن الانباري ص ٦ ــ ٧ ، وعنه في المزهر ١ / ٣٩٩ .

٣ ــ ظ : جمهرة اللغة ــ ابن دريد ٣ / ٤٣٣ ، والمزهر ١ / ٤٢٩ .

قوله تعالى : ( **... فَأَوْرَدَهُمُ النَّار ()** ) [1] ، وكذا في قوله تعالى : (**لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ()** ) [2] .

## ثالثا : المستوى الروائي

### ا ـ روايات أهل البيت (عليهم السلام ) :

إذا كان من الثابت والمعلوم أن الرسول الأعظم ( صلى الله عليه وآله) كان هو المفسر للقران الكريم في حياته ، فكيف كان حال التفسير بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ؟ ومن هم الذين آلت إليهم هذه المهمة فيما بعد ؟ نقول :

كثيرون تلقوا الآيات في زمن النبي ( صلى الله عليه وآله ) وعرفوا دلالات بعض نصوص القرآن ، ولكن هل كانوا متساوين في الوعي والإدراك ؟ وهل تلقوا تفسير القرآن كله ؟ .

إن منطق العقل يؤكد أن أكثر الناس قربا من النبي ( صلى الله عليه وآله) هم أهل بيته ، وهذا ابن عمه علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) الذي نشأ في أحضان النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ وتشرّب كلماته قبل البعثة وبعدها ، فأهل البيت ـ عليهم السلام ـ تشربوا آيات القرآن ، وأدركوا أسراره ، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم : (**لَا**

---

٤ ـ هود / ٩٨ .

٥ ـ الأنبياء / ٩٩ .

**يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** () )[1] ، وقد قال سبحانه : (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** () )[2] . فهناك إذن آصرة قوية تجمع بين القرآن الكريم وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ وهي الآصرة التي أشار النبي ( صلى الله عليه وآله ) بقوله : ( **إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي** )[3] ، وهذه الآصرة لا تتوقف ولا تنتهي ، ما بقيت الدنيا .

مما لا شك فيه أن المفسر لا يمكن أن يستغني عن الحديث في تأويل المتشابه ، وقد أعتمد كثير من المفسرين في موارد تفاسيرهم على الروايات إلى الحد الذي قد يكتفي بالرواية دون أدنى رأي ، أو قول ، أو يسوقها كمؤيد ، أو شاهد لما يقول أو لتعضيد ما يذهب إليه ، وكثير منهم عوّلوا في تفاسيرهم على روايات أهل البيت ـ عليهم السلام ـ .

ففي تفسير قوله تعالى : (**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** () )[4] ، قيل : « نسبه إلى نفسه ، أما في البحر ، فلأنه بالريح والله تعالى المحرك لها دون غيره ، وأما في البر ، فلأنه كان باقتداره وتمكينه وتسبيبه »[5] ، « قال رجل للصادق ـ عليه السلام ـ ما الدليل على وجود الله ؟ ولا تذكر لي العالم والجوهر والعرض ، فقال ـ عليه السلام ـ هل ركبت في البحر ؟ قال : نعم ، قال فهل عصفت بكم الريح حتى خفتم الغرق ؟ قال : نعم ، قال : فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين ؟ قال :

---

١ ـ الواقعة / ٧٩ .

٢ ـ الاحزاب / ٣٣ .

٣ ـ صحيح مسلم / كتاب فضائل الصحابة / الحديث ٤٤٢٥ ، ومسند احمد ٥ / ٨٢ ـ ٨٩ .

١ ـ يونس / ٢٢ .

٢ ـ متشابه القرآن ، ابن شهر آشوب ١ / ٢٧ .

نعم ، قال : فهل تتبعك نفسك أن ثـَمّ من ينجيك ؟ قال : نعم ، قال : فإن ذلك هو الله تعالى ، قال تعالى : (**ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ** () ) [1] » [2] .

روى علي بن إبراهيم في تفسيره ، أن أباه حدّثه عن سليمان بن داود المنقريّ عن أبي حمزة الثمالي ، عن شهر بن حوشب ، قال : قال لي الحجاج بن يوسف ، بأن آية في كتاب الله قد أعيتني ، فقلت أيها الأمير ، أيةُ آيةٍ ، هي ؟ فقال : قوله تعالى : (**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** () ) [3] . والله لآمر باليهودي والنصراني فيضرب عُنـُقه ، ثم أرمقه بعيني ، فما أراه يحرك شافتيه حتى يخمد ، فقلت : أصلح الله الأمير ، ليس على ما تأولت ، قال : كيف هو ؟ قلت : إن عيسى ابن مريم ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة ، يهودي ولا نصراني ، إلا آمن به قبل موته ، ويصلي خلف المهدي ، قال : ويحك ، أنى لك هذا ؟ ومن أين جئت به ؟ فقلت : حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ . فقال : جئت بها ، والله ، من عين صافية [4] .

وقد أورد الرازي هذا الحديث ولكن بلفظ آخر ، ناسبا إياه إلى محمد بن الحنفية ، قال : فأخذ ينكث في الأرض بقضيب ثم قال : لقد أخذتها من عين صافية [5] .

وفي قوله تعالى : (**الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** () ) [6] . ففي رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر ( عليه السلام ) في مسألة الزواج فقال ــ عليه السلام ــ في تأويله لهذه الآية ، إن

---

٣ ــ النحل / ٥٣ .

٤ ــ متشابه القرآن ١ / ٢٧ . وظ : التوحيد ، الشيخ الصدوق ص ٢٤١ .

١ ــ النساء / ١٥٩ .

٢ ــ ظ : تفسير القمي ١ / ١٥٨ ، ومجمع البيان ، الطبرسي ٣ / ١٣٧ .

٣ ــ ظ : مفاتيح الغيب ، الرازي ١١ / ١٠٤ .

٤ ــ النور / ٣ .

الآية نزلت في أصحاب الرايات فأما غيرهن ، فإنه يجوز أن يتزوجها ، وإن كان الأفضل غيرها ، ويمنعها من الفجور [1] .

وفي قوله تعالى : (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ()**)[2] . قال علي بن إبراهيم بصدد تفسير الآية : أريتم إن أصبح إمامكم غائبا فمن يأتيكم بإمام مثله واحتج لقوله : بحديث للإمام الرضا ـ عليه السلام ـ عندما سئل عن هذه الآية ، فقال : ماؤكم : أبوابكم ، أي : الأئمة ـ عليهم السلام ـ ، والأئمة أبواب الله بينه وبين خلقه ( فمن يأتيكم بماء معين ) يعني : بعلم الإمام [3] .

وجاء في تفسير الصافي : ( الماء المعين ) كناية عن العلم الصافي عن أكدار الشبهات ، أمر معروف [4] ، واحتج بقوله تعالى : (**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ()** ) [5] .

وعن تفسير المراد بـ ( الكرسي ) في قوله تعالى : (**إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ()** ) [6] . لقد وردت لفظة ( الكرسي ) في هذه الآية فقط من القرآن الكريم ، وأما لفظة ( العرش ) فقد وردت في أكثر من عشرين مرة ، وفرّق أهل الحشو بين العرش والكرسي ، فقالوا : إن العرش هو سرير ملكه الله تعالى متربع عليه ، والكرسي هو دكة ، أو مصطبة دون العرش ، حيث يكون موضع قدميه تعالى شأنه ، ورووا في ذلك أحاديث اعتمدوا

---

٥ ـ ظ : التبيان ، الطوسي ٢ / ٣٦١ ، ظ : ومتشابه القرآن ،ابن شهر آشوب ٢ / ٢٣٠ .

١ ـ الملك / ٣٠ .

٢ ـ ظ : تفسير القمي ٢ / ٣٧٩.

٣ ـ ظ : تفسير الصافي ، المولى محسن الفيض ٢ / ٧٢٧ .

٤ ـ الجن / ١٦ .

٥ ـ البقرة / ٢٥٥ .

على ظواهرها من غير تعمق [1] . أما أهل التدبر ، فقد أبطلوا هكذا روايات لكونها مخالفة لضرورة العقل ومقاصد الشريعة ، وفسّروا ( العرش ، والكرسي ) بالعلم والقدرة ، عن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ ان قال في تفسير ( وسع كرسيه ) : أي : وسع علمه [2] ، وقد أكد ابن معرفة بعد دراسته لكثير من الروايات ، وما استخلصه من معنى الآيات « إن العرش والكرسي تعبيران عن معنى واحد ، هو جليل قدرته تعالى ، وسعة علمه المحيط بكل شيء ، غير أن الكرسي جاء تعبيرا عن ملكه تعالى بالذات ، والعرش تعبيرا عن جانب تدبيره لشؤون الخلق كله ، فالكرسي ، كرسي المُلك ، والعرش ، عرش التدبير ... » [3] .

وتباينت معاني لفظة الكرسي عند بعض اللغويين والمفسرين . قال ابن فارس في معجمه : الكرسي : أصل عربي ، يدل على تلبد شيء فوق شيء ، وتجمعه ، ومنه اشتقت ( الكرّاسة ) اسما لمجموع أوراق يكتب فيها بعضها على بعض ، والكرسي : أصل البناء أيضا لضخامته ، قال الزمخشري : يقال : هو طيب الكرسي ، أي : الأصل . والكرسي منسوب إلى كرسي الملك ، وهو ما يعتمد عليه ، ومن ثم أطلق على العلماء ( الكراسي ) لأنهم عماد الأمة ومرجعها فيما ينوب ، وقد قيل : خير الحيوان الأناسي ، وخير اللأناسي الكراسي ، أي : العلماء العقلاء العارفون بشؤون التدبير [4].

وأما لفظة ( العرش ) فتأويلها في رواية أهل البيت وهي على وجهين :

---

٦ ـ ظ : تفسير ابن كثير ( ذيل آية الكرسي ) ١ / ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

١ ـ ظ : التبيان في تفسير القرآن / الشيخ الطوسي ٢ / ٥٤ و ظ : مجمع البيان ، الطبرسي ٢ / ٣٦٢ .

٢ ـ التمهيد ٣ / ١٢٢ .

٣ ـ ظ : معجم مقاييس ، ابن فارس ص ٦٨٩ ، وأساس البلاغة ، الزمخشري ص ٦٤٤ .

الأول : العلم ، والثاني : كل ما سوى الله تعالى ، فقد جاء عن الإمام أبي الحسن الرضا ــ عليه السلام ــ « والعرش أسم علم وقدرة ، وعرش في كل شيء ، ثم أضاف الله تعالى الحمل إلى غيره في قوله : (**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ** () ) [1] خلق من خلقه لأنه تعالى : استعبد خلقا بحمل عرشه ، وهم حملة علمه ، وخلقا يسبحون حول عرشه ، وهم يعملون بعلمه » [2] .

وقد علق هادي معرفة عل ذلك ، بأن الإمام الرضا ــ عليه السلام ــ كان يعني : تدبيره ــ تعالى ، الشامل الدال على علم وقدرة ، وعن الإمام أيضا أن حملة علمه ، الذين يعملون بعلمه ، ويقومون بتنفيذ تدبيراته في شؤون هذا العالم ، كما أن قوله تعالى : (**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** () ) [3] ، أي : أن تدبيره تعالى قبل خلق السموات والارض لم يكن قد تعلّق بشيء إلا الماء ، كون الماء هو المخلوق أولا من الماديات [4] .

قيل : من شرائط التأويل ، على المؤول أن يراعي المناسبة بين ظهر الكلام وبطنه ، أي بين الدلالة الظاهرية والدلالة الباطنية للكلام . فالتأويل ، مفهوم عام منتزع من فحوى الكلام ، ولابد من أن تكون هناك مناسبة في اللفظ أو المعنى انتزعت هذا الانتزاع ، ففي قوله تعالى : (**وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** () ) [5] . فالميزان هو الآلة الموضوعة لضبط الوزن ، وقد أمر الله تعالى بإقامتها وعدم البخس فيها ، وإذا جرّد اللفظ من قرائن اللفظ ، وغيره ، وتم تخليصه من ملابسات الأنس الذهني ، فهنا يكون الأخذ بالمفهوم العام : كل ما يوزن به الشيء

---

١ ــ غافر / ٧ .

٢ ــ الكافي / الكليني ١ / ١٣١ .

٣ ــ هود / ٧ .

٤ ــ ظ : بحار الأنوار، المجلسي ١ / ١٠٢ ، و ٥٧ / ٣٨٠ والتمهيد ص ١٢٥ .

٥ ــ الرحمن / ٩ .

ماديا كان أو معنويا ، فهو لا يختص بهذه الآلة المادية . قال الشيخ الطوسي : الميزان آلة التعديل ف النقصان والرجحان ، والوزن يعدّل في ذلك ، إذ من غير الميزان فلا عاصم للحقوق من هدرها ، ولأجل هذا نبه الله تعالى على النعمة فيه ، والهداية إليه ، وقيل : الميزان هو العدل ، لأن موازن الأسباب تكمن في المعادلة [1] .

روى محمد بن العباس المعروف بـ ( ماهيار ) بإسناده إلى الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قال : الميزان الذي وضعه الله للأنام هو الإمام العادل الذي يحكم بالعدل ، وبالعدل تقوم السموات والأرض ، وقد أُمر الناس أن لا يطغوا عليه ، ويطيعوه بالقسط والعدل ، وألا يتوانوا في امتثال أوامره ولا يبخسوا من حقه [2] .

جاء في تأويل قوله عز وجل : (**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** () ) [3] ، ما ذكره محمد بن العباس ، قال : حدثنا علي بن احمد بن حاتم عن حسن بن عبد الواحد ، عن القاسم بن الضحاك ، عن أبي حفص الصائغ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ، أنه قال : (**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ) قال : والله ما هي بالطعام والشراب ، ولكن ولايتنا أهل البيت [4] .

حدثنا احمد بن القاسم عن احمد بن محمد عن محمد بن خالد ، عن محمد بن ابي عمير ، عن أبي الحسن موسى الرضا ــ عليه السلام ــ في قوله عز وجل : (**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ) ، قال : نحن نعيم المؤمن ، وعلقم الكافر [5] .

---

١ ــ ظ : التبيان ، الشيخ الطوسي ٩ / ٤٦٣ .

٢ ــ ظ : تأويل الآيات الظاهرة ، شرف الدين الاستربادي ٢ / ٦٣٢ ــ ٦٣٣ ، والتفسير والمفسرون ، محمد هادي معرفة ١ / ٢٧ .

٣ ــ التكاثر / ٨ .

٤ ــ ظ : بحار الانوار ٢٤ / ٥٧ ، وتاويل الآيات الظاهرة ، شرف الدين الحسيني ٢ / ٨٥٠ .

٥ ــ ظ : المصدر نفسه ٢٤ / ٥٦ .

وفي قوله تعالى : (**وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ()** ) [1] . قيل : سأل عمرو بن عبيد الباقر ــ عليه السلام ــ عن تأويل هذه الآية ، فقال : غضب الله : عقابه ، يا عمرو ، ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر ، وإنما يغضب المخلوق الذي يأتيه الشيء ، ويستنفره ويغيره عن الحال التي هو عليها إلى غيرها ، فمن زعم أن الله يغيّره الغضب ، والرضى ، ويزول من هذا إلى هذا ، فقد وصفه بصفة المخلوق ، والله منزه عن ذلك .

وسئل الصادق ــ عليه السلام ــ : هل لله رضى وسخط ؟ ، فأجاب : بنعم . ولكن ليس ذلك مما في المخلوقين .

وغضب الله : عقابه ، ورضاه : ثوابه [2] .

عوّل كثير من المفسرين في مواردهم وتأويلاتهم على إجماع الأمة شرط أن يكون قول المعصوم داخلا فيه ، ففي تفسير قوله تعالى : (**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ()** ) [3] . قيل : إن ظاهر الآية يقتضي إتباع المعصومين ، كونهم مؤمنين على الحقيقة ظاهرا وباطنا ، ولا يُحمل ذلك على كل من أظهر الإسلام ، لأنه لا يوصف بذلك إلا مجازا ، والحقيقي من فعل الإيمان ، فيصح أن الإجماع ولا بد أن يكون قول المعصوم داخلا فيه [4] .

واعتـُمد في بعض الموارد على إجماع الإمامية من قبل بعض المفسرين وإن أجماعهم حجة ، لأن المعصومين ــ عليهم السلام ــ من جملتهم ، ففي قوله تعالى :

---

١ ــ طه / ٨١ .

٢ ــ ظ : الأمالي / الشيخ الصدوق ص ٣٥٣ . ظ : متشابه القرآن ١ / ٨٨ .

٣ ــ النساء / ١١٥ .

٤ ــ ظ : متشابه القرآن ابن شهر آشوب ٢ / ١٥٦ .

**(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ () )** [1] ، وقوله تعالى : **(وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ () )** [2] ، أجمعت الإمامية على تفضيل الأنبياء على الملائكة وإجماعهم حجة ، لأن المعصومين من جملتهم ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ () )** [3] . يعني تعظيمه عليهم ، وتقديمه وإكرامه ، ،إذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل ، عُلِم أنه ــ عليه السلام ــ أفضل من الملائكة . وكل من قال : أن آدم أفضل من الملائكة ، قال إن جميع الأنبياء أفضل من جميع الملائكة ، والدليل على ذلك أن تعبدهم بالسجود كان للتعظيم والتقديم وأنفةُ أبليس من السجود ، وتكبره ، عبرّ عنه قوله تعالى : **(قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ () )**[4] ، وقوله تعالى : **(أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ () )** [5] . فمن عظم آدم ــ عليه السلام ــ نعته بسجود الملائكة له [6] .

ويرى الباحث أ ن الروايات والأحاديث الشريفة عن رسول الله ــ صلى الله عليه و آله ــ في اهل البيت كثيرة بما يوصل إلى اكتشاف العمق والغاية من هذه العناية الإلهية في اسباغ الحب والبركات ، ليكون أهل البيت منارا للأمة في حيرتها وسببا لنجاحها في محنتها ، كما نصت الروايات والأحاديث على ذلك ، ولعل مصداق ذلك في وصف الرسول الأعظم ــ صلى الله عليه وآله ــ لأمير المؤمنين وفاطمة وابناؤهما بأنهم من ذريته ومن ابنائه المعنيين ، بدلالة قوله تعالى : **(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ**

---

١ ــ الإسراء / ٧٠ .

٢ ــ الأنعام / ٥٠ .

٣ ــ البقرة / ٣٤ .

٤ ــ ص / ٧٦ .

٥ ــ الإسراء / ٦٢ .

٦ ــ ظ : التبيان ، الشيخ الطوسي ١ / ١٥٠ . ظ : متشابه القرآن ١ / ٢٠٢ .

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ () ) [1] ، والأبناء في الآية الكريمة هم : الحسن والحسين كما يتضح ذلك من أقوال المفسرين وأصحاب السير .

**ب ـ روايات الصحابة :**

تأتي أهمية روايات الصحابة بعد تفسير القرآن بآياته وتفسير النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ وأهل بيته ــ عليهم السلام ــ [2] . لأن الصحابة هم ( أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ) [3] .

إن معرفة ملابسات النص من قبل الصحابة علاوة على ما امتازوا به من ملكة اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، فهم « أعلم الناس بمعاني الألفاظ القرآنية ، لأنهم من العرب ، ومن أعلم الناس بلغة القرآن ، وما يكون غريبا بالنسبة لنا لا يكون غريبا بالنسبة لهم » [4] .

فالتفسير والتأويل المروي عنهم ، إذا صحت طريقته وصح إسناده ، فإنه من التفاسير المعتبرة للقران الكريم [5] . وهذا لا يعني : تفسير الصحابة ، أقوالهم المجردة ، لأنه لا يجوز التفسير بظنون الرأي ، ومجرد الاعتقاد [6] . « فمان كان موافقا لكتاب الله وسنة نبيه ، أُخذ به من أقوالهم ، وما كان مجانبا لذلك يُضرب

---

١ ــ آل عمران / ٦١ .

٢ ــ ظ : المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، د . محمد حسين الصغير ص ٧٦ .

٣ ــ مقدمة في أصول التفسير ، ابن تيمية ص ٩٥ .

٤ ــ المعجزة الكبرى ، أبو زهرة ص ٥٠١ .

٥ ــ ظ : لغة القرآن ، عبد الكريم عبد الجليل ص ٤٤٣ .

٦ ــ ظ : المبادئ العامة لتفسير القرن الكريم ص ٧٥ .

عرض الحائط ، وهذا لا يقدح بمنزلتهم ، وإنما يُرد إلى سند الرواية عنهم ، أو للالتباس الذهني الذي يقع فيه غير المعصوم » [1] .

في قوله تعالى : (**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ()** ) [2] ، فقد أنكر جملة من الصحابة رؤية النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ لربه كما هو ظاهر تلك الآيات الكريمة المتشابهة ، وذلك بردّها إلى الآيات المحكمة ، كقوله تعالى : (**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ()** ) [3] ، فقد روى مسروق عن عائشة ، قال : « يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه ، فقالت : لقد وقف شعري مما قلت ، ثلاث من حدثك بهن فقد كذب ( من حدثك أن محمد رأى ربه فقد كذب ) ، ثم قرأتْ : (**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** ) » [4] . وهو المشهور عن ابن مسعود أيضا [5] .

سأل أبو ذر رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ أرأيت ربك ؟ فقال ــ صلى الله عليه وآله ــ : أنور من أن أراه ، وعن ابن عباس ( ما كذب الفؤاد ما رأى ) ، قال : رآه بقلبه [6] .

وفي قوله تعالى : (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ()** ) [7] ، قال ابن عباس :

أي : أظلم لنفسه ليخرص على الله كذبا ، ويضيف إليه ما لا أصل له [8]

---

١ ــ ظ : المبادئ العامة لتفسير القرن الكريم ص ٧٥ .

٢ ــ النجم / ١١ .

٣ ــ الأنعام / ١٠٣ .

٤ ــ نهاية الأرب في الفنون والأدب ، النويري ١٦ / ٢٩٥ .

٥ ــ ظ : المصدر نفسه ١٦ / ٢٩٥ .

٦ ــ ظ : شرح أصول الكافي،محمد صالح المازندراني ٣ / ١٦٢ . وظ : متشابه القرآن ١ /١٠١.

٧ ــ الأنعام / ٢١ .

١ ــ ظ : التبيان / الشيخ الطوسي ٧ / ١٦ . ظ : متشابه القرآن ١ / ١٨٨ .

روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه ، عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس ، قال : ( كان عمر يدخلني على أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لِمَ تُدخلوا هذا معنا ، ولنا ابناء مثله ، فقال عمر : إنه من قد علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ... قال ما تقولون في قول الله (**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** () )[1] ، قال بعضهم : أُمرنا : أن نحمد الله ونستغفره إذ نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ، فلم يقل شيئا ، فقال لي : أ كذلك تقول يا ابن عباس ، فقلت : لا ، قال فما تقول ، قلتُ : هو ، أجل ، رسول الله اعلمه له (**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ) ، فلذلك علامة أجلك ، ( فسبح بحمد ربك واستغفره ،أنه كان توابا ) ، قال عمر : ما أعلم فيها إلا ما تقول ) [2] .

هذا الامتحان يُظهر تفوق ابن عباس على الصحابة بتأويل القرآن وعلمه من علم معلمه الإمام علي ــ عليه السلام ــ إلا كقطرة من بحر ، فتفسير الصحابة ، هو تفسير ظاهري ، وابن عباس لا يكتفي به ، وإنما أنتقل إلى المرحلة الثانية ، وهو تأويل الآية ، وقد أشارت سورة النصر إلى ارتباط حياة الرسول ( صلى الله عليه وآله ) على هذه الأرض بهذا الدين ، فمهمة الرسول ( صلى الله عليه وآله ) هو تبليغ الإسلام للناس وجهاد أعدائه ، وبما أن هذا الدين لم يتم انتصاره ، وانتشاره في بقاع الأرض ، فما زال في عمره بقية ، أما وقد حقق الله لدينه النصر والفتح ، وساد بقاع الجزيرة ، فقد انتهت مهمته التبليغية ، وبهذا ينصرم عمره ( صلى الله عليه وآله ) من هذه الدنيا ، هذه النظرة التأويلية الغامضة غابت عن باقي الصحابة ، بينما أحسن التقاطها ابن عباس [3] .

---

٢ ــ الفتح / ١ .

٣ ــ صحيح البخاري ، حديث رقم ٤٩٧٠ . ظ : الاتقان ، السيوطي ٢ / ١٨٧ .

١ ــ ظ : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، د . صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ٣١ .

وفـي قولـه تعـالى : (**هَـذَانِ خَـصْمَانِ اخْتَـصَمُوا فِـي رَبِّهِـمْ ()** ) [1] ، قـال بعـض المفسرين : أحد الفريقين : المؤمنين ــ من المهاجرين والأنصار ، والثاني : كفّار قريش ، ومؤدّى اختصام الفريقين هو اقتتالهم في معركة بدر ، وقد أقسم أبو ذر الغفاري [2] ، أن الآية نزلت في حمزة وصاحبيه علي ( عليه السلام ) وعبيدة بن الحارث ، وعتبه وصاحبيه : شبيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة يوم تبارزوا في بدر إذ قُتل الكفار في هذه المعركة .

قال الإمام ــ عليه السلام ــ أنا اوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة [3] ، وقال آخرون : أحد الفريقين : المؤمنين والآخرون : أهل الكتاب ، قال ابن عباس وقتادة [4] ، اختصهم المسلمون وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب للمسلمين نبيّنا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، فنحن أوْلى بالله منكم . فقال لهم المسلمون : نحن أولى بالله منكم ، آمنا بمحمد ( صلى الله عليه وآله ) وآمنا بنبيكم ، وآمنا بكل ما أنزل الله من كتاب ، ونبينا خاتم الأنبياء ، فأنتم تعرفون كتابنا ونبيّنا ، ثم تركتموه وكفرتم به حسدا ، وقال آخرون : هم المؤمنون والكفار من أية ملة كانوا . قال مجاهد وعطاء [5] : هم المؤمنون والكافرون اختصموا في ربهم ، وقال آخرون : المراد بالفريقين : الجنة والنار حين اختصمتا ، قال عكرمة [6] : هم : الجنة والنار فقالت النار ، خلقني الله لعقوبته ، وقالت الجنة : خلقني الله لرحمته .

---

٢ ــ الحج / ١٩ .

٣ ــ ظ : جامع البيان / الطبري ١٧ / ١٧١ .

٤ ــ ظ : سعد السعود / السيد ابن طاووس الحسني ص ٦٧ .

٥ ــ ظ : لباب النقول ــ جلال الدين السيوطي ص ١٣٥ .

٦ ــ التبيان / الشيخ الطوسي ٧ / ٣٠٢ .

١ ــ ظ : تفسير ابن كثير ، ابن كثير ٣ / ٢٢٢ .

وقد رجح ابن جرير الطبري ، القول الثالث الذي قاله مجاهد ، فالقول بأن الآية نازلة في اختصاص المؤمنين والكافرين ، أوْلى وأرجح ، لأنه يشمل الأقوال كلها [1].

والى رأي ابن جرير يميل الباحث لاتساقه مع الواقعة .

روى رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن طاووس عن كتاب أبي عبد الله محمد بن علي السراج في تأويله قوله تعالى : (**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ()** ) [2] . بالإسناد إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : قال النبي ( صلى الله عليه وآله ) « يا ابن مسعود أنه قد أُنزلت عليّ أية ( واتقوا فتنة ... ) و أنا مستودعكها ، فكن لما أقولك واعيا ، وكن له مؤدّبا ، من ظلم عليا مجلسي هذا كمن جحد نبوتي ، ونبوّة من كان قبلي ، فقال الراوي : يا أبا عبد الرحمن أسمعت هذا من رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ قال نعم : قال : فكيف وُلـّيت للظالمين ، قال : لا جرم : حلـّت عقوبة عملي ، وذلك أني لم استأذن إمامي ، كما استأذن جندب وعمار

وسلمان ، و أنا استغفر الله و أتوب إليه » [3] . وقد روي أيضا بالإسناد إلى ابن عباس[4] .

ونختم بالقول ، إن القرآن بحر لا ساحل له ، والناس غواصون فيه بقدر علمهم ، وفهمهم ، ومدى قابليتهم ، في علم الغوص والسباحة وفيه أنواع الجواهر واللآلئ ،

---

٢ ــ ظ : تفسير الطبري / الطبري ١٧ / ١٧٣ ــ ١٧٤ .

٣ ــ الأنفال / ٢٥ .

١ ــ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، أبو صلاح الحلبي ص ٣٦ رقم ٢٥ . وظ : قاموس الرجال ، التستري ٦ / ١٤١ ــ ١٤٢ . وظ : التفسير والمفسرون ، محمد هادي معرفة ١ / ١٩٤ .

٢ ــ ظ : تفسير جامع الجوامع / الطبرسي ٢ / ١٧ .

وأصناف اليواقيت والزبرجد ، والناس مختلفون في إمكانية طلبها حسب معرفتهم ، وتدبرهم وفطنتهم وحدسهم .

# خلاصة البحث

# ونتائجه

إن عناية العلماء بموضوع المحكم والمتشابه في القرآن الكريم قديمة ومستمرة ، وأقوالهم كثيرة ، ومباحثهم واسعة وعميقة ، ذلك لأن البحث في هذا الموضوع المهم في علوم القرآن الكريم ذو صلة مباشرة بفهم المعاني ودلالاتها ، لذلك حظي

موضوع المتشابه في القرآن الكريم بعناية علماء التفسير ، وقد أفرده بعضهم بالكتابة والتأليف منذ وقت مبكر .

وقد أسفر البحث عن النتائج الآتية :

١. وجد الباحث أن التأويل يرتكز أساسا على الأنظمة الدلالية التي يتأسس عليها النص ، وهنا فإن النص القرآني سيكون رهين العلاقات سواء كانت بين الدال والمدلول على مستوى اللفظ أم مهيمنة السياق أو ما يذهب به البعد الدلالي للغة ، أو البلاغة عبر دلالة الحضور والغياب ( الحذف ) أو أساليب البيان المختلفة .

٢. استنتج الباحث من خلال مباحث التأويل ، أن التأويل يكون وسيلة المفسر للنص ، في الوقت الذي يتطلب من المؤول أن يكون على وعي دائم وغير منكفئ ذهنيا عن متطلبات الحوار الفكري ـ الذهني الذي يعود له الفضل في التزام التأويل بوصفه مفهوما موصلا إلى القناعة التفسيرية .

٣. يرى الباحث بعد النظر في المعني الاصطلاحي للمتشابه ، أن العلماء يكادون يجمعون على التقارب في الآراء فيما بينهم ، لأنهم ـــ على أغلب الظن ـــ يصدرون من مشرب الثقافة القرآنية ، وما أجمع عليه السلف الصالح فاللاحقون بهم وإن تمايزت العبارة لدى كل منهم واختلف الأسلوب ، غير أن الاتفاق في المضمون هو السائد .

٤. إن المتشابه الحقيقي لا يدرك معناه دون حقيقته وكيفيته إلا من أودع الله بعض علمه في قلبه من الراسخين في العلم .

٥. استنتج الباحث في مطلب المتشابه النسبي فيما دار حول الآية السابعة من آل عمران . أن الرسوخ في العلم معناه في هذه الحالة امتناع الشبهة ،وهو العصمة نفسها ، وليس من سجايا البشر المعتادين ، كما أن ( العلم ) المقصود

في هذه الآية ، ليس العلم المكتسب وإنما العلم بما يؤول إليه الخبر في نص الآية .

٦. ظهر من خلال البحث أن أسباب التشابه كثيرة ، وما يشتبه على شخص ربما لا يشتبه على آخر ، كما أن ما يشتبه في زمان قد لا يشتبه في زمان آخر ، فالناس متفاوتون في ذلك باختلاف قدراتهم والمؤثرات التي تطرأ عليهم .

٧. يرى الباحث أنه لا بد من بيان معنى محدد للمتشابه ليستطيع المفسر والمؤول أن يصل إلى سبر أغواره وكشف حقيقته وفق ضوابط وشروط أقرها العلماء ، منها : رد المتشابه إلى المحكم ، أو اعتماد رواية المعصوم ، أو إجماع الأمة الكاشف عن رأي المعصوم ، أو من خلال وجوه اللغة وشواهدها وأقوال المفسرين والعلماء .

٨. تحصل من خلال البحث أن المحكم والمتشابه في معناهما العام لا يتنافيان ولا يناقض أحدهما الآخر ، بل تشترك فيهما جميعا آيات القرآن . فالقرآن كله محكم بمعنى متقن لا يتطرق إليه خلل ، والمتشابه يصدّق بعضه بعضا دون اختلاف أو تضاد .

٩. يرى الباحث إن حدود إشكالية ( البيان ) عن المحكم أو المتشابه فيما مرّ بنا من تساؤل الزرقاني ، ليس بالمشكلة الفقهية الحادة ، وإنما الأمر ينحصر في رد المتشابه إلى المحكم وتبيان مصداقه .

١٠. إن الملحظ الإعجازي في باب المتشابه من أكبر التحديات التي واجه بها القرآن المشككين والملاحدة ، حيث تجلت قدرة الله تعالى في إفحامهم وتفنيد حججهم ، وفي ذلك نفهم الدور الأعظم لمتشابه القرآن المتجلي في الحكمة الإلهية من وجوده .

١١. يميل الباحث إلى رأي صاحب الميزان في تقريره لحقيقة إن التأويل لا يختص بالآيات المتشابهة وإنّما كل القرآن له تأويل سواء في ذلك محكمة ام

متشابهه ، لإن القرآن الكريم دستور الحياة في كل زمان ومكان على الرغم من تقلبات الثقافات وتطلعات الإنسان ومسايرته للصيرورة الحضارية ، لذلك فالنص القرآني بمحكمه ومتشابهه به حاجة إلى تعمق فكري دائما ، مسايرة إلى النمو المعرفي وهنا لا بد من إعادة تأويل آي الذكر الحكيم بما يتفق مع إرادة الشارع ومقتضيات التطور المعرفي الحضاري .

١٢. إن القيم والحكم التي تمثل الهدف الأساس من النص القرآني هي الحقيقة التي يتكئ عليها النص ، محكمه ومتشابهه ، وليست معاني مجردة لا تحيطها حتى شبكة الألفاظ ولا تدركها العقول .

١٣. ترشح من خلال البحث الرأي الذي يذهب إلى أن الراسخين في العلم يمتلكون معرفة تأويل المتشابه من خلال اعتمادهم على أسس ثلاثة : هي العقل ، والنقل ، والسياق ، فأكمل بعضها بعضا برهانا وترابطا دلاليا ، ويرى الباحث أن الرأي يمتلك الحجة والقدرة على الإقناع منطقيا وعقليا .

١٤. يرى الباحث أن استثمار الطاقات اللغوية في التأويل هي دائما سبل موصلة إلى طريق التفسير الخفي ، وهو المسار الثاني للتفسير الذي يأخذ التأويل مساحات واسعة منه ، ولأجل أن يكون المؤول ملما مدركا لكل العلوم النقلية والعقلية ، عارفا بالسياقات اللغوية ودلالات الكلام ، وهذه العلوم العقلية والنقلية إنما هي مجرد أدوات تأويل لا بد من استيعابها ويبقى عقل المؤول له الدور الأساس في حقل التأويل .

١٥. كشف البحث عن وفرة أنواع المجاز في القرآن الكريم بوصفه أحدى الوسائل البيانية المساعدة على كشف آليات التأويل والتفسير وصولا إلى مراد الله تعالى في القرآن الكريم .

١٦. كشف البحث إن الآية الأولى من سورة المائدة ( والسارق والسارقة ... ) ليست من آيات التشابه وإن احتجاج الإمام الجواد ــ عليه السلام ــ بها

لاستنباط حكم شرعي حيث أنه دلّ على موضع القطع في اليد مستدلا بالآية (**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ...** () ) في سورة الجن لإزالة التعارض بين حكمين شرعيين .

١٧. أبان البحث إن أسلوب تفسير القرآن بالقرآن من الأساليب التي أعتمد عليها كثير من أئمة العلماء والمفسرين لتفسير النص وبيان دلالته . وهو أسلوب يقوم على حشر الآيات القرآنية لبيان مراد الله منها وتأييد مصاديقها .

١٨. يؤكد البحث تواتر الروايات على أن اهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم عدل القرآن والناطقون عنه والمتلقون علمه من النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهم القادرون على فهم النص وتأويله . ومصداق ذلك قوله ـ صلى الله عليه وآله ـ ( أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت من الباب ) .

١٩. ظهر للباحث من جملة الأقوال وتوثيقها إن علم بعض الصحابة ممن تناولتهم الدراسة قد أكتسب الدرجة الوثقى بسبب أخذهم من آل بيت النبوة ـ عليهم السلام ـ أخذا مباشرا ، منبعا ومآلا .

٢٠. أظهر البحث إن الكناية من أهم الأساليب البيانية التي تتيح للمؤول قول كل شيء ، وهي أكثر التصاقا بالتأويل من أساليب البيان الأخرى كونها تركز على معنى من المعاني .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

# المصادر والمراجع

## أولا ـ المصادر القديمة :

* خير ما نبتدئ به القرآن الكريم .

ـ الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ( جلال الدين عبد الرحمن ) ( ت ٩١١هـ ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم د . ط ، د . ت .

ـ أحكام القرآن ،الجصاص (أبو بكر احمد بن علي الرازي) (ت ٣٧٠هـ)، ضبطه وصححه وأخرج آياته ، عبد السلام محمد علي شاهين ، منشورات ، محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، د . ط ، د . ت .

ـ الاختصاص المفيد ( محمد بن محمد النعمان ) ( ت ٤١٣هـ ) المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ـ ط ٢ / ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

ـ أدب الكاتب،ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم) (ت ٢٧٦هـ ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٦٣م ، د . ط .

ـ أساس البلاغة ، الزمخشري ( أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ) ( ت ٥٣٨هـ ) تحقيق : الدكتور عبد الرحيم محمود ـ دار المعرفة ـ بيروت / د . ط ، د . ت .

ـ أسرار البلاغة ، الجرجاني ( عبد القاهر بن عبد الرحمن ) ( ت ٤٧١هـ )تحقيق : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت / لبنان ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٩م .

ـ الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، الجرجاني ( محمد بن علي بن محمد ) ( ت ٧٢٩هـ ) ط ١ / دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤٢٣هـ .

ـ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ،البلخي (مقاتل بن سليمان) (ت ١٥٠هـ ) تحقيق : عبد الله محمود شحاتة ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة / ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

ـ الأصول في الكافي ، الكليني ( الشيخ ابن جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق ) ( ت ٣٢٨هـ ) دار الكتب الإسلامية ـ طهران ، د . ط ، د . ت .

ـ الأضداد ، أبو بكر ابن الانباري ( محمد بن القاسم ) ( ت ٣٢٨هـ ) تحقيق : محمد ابي الفضل إبراهيم ط ١ / الكويت ١٩٦٠م .

ـ الأضداد في كلام العرب ، أبو الطيب اللغوي ( عبد الواحد بن علي ) ( ت ٣٥١هـ ) تحقيق : د . عزت حسن ، دمشق ، د. ط ، د . ت .

ـ الأضداد ، قطرب محمد بن المستنير ( ت ٢١٠هـ ) مجلة إسلاميكا . مج /٥ ألمانيا ١٩٦٣م .

ـ أعـلام الموقعين عـن رب العالمين،ابـن قيم الجوزي (أبو عبد الله محمد ابن ابـي أيوب ) ( ت ٧٥١هـ ) تحقيق : عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ـ بيروت ١٩٧٣م د . ط ز

ـ الأغاني ، الأصفهاني ( أبو الفرج الأصفهاني ) ( ت ٣٥٦ هـ ) ط ٢ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ١٣٧٤هـ .

ـ الألفين في إمامة أمير المؤمنين ،الحلي (الحسن بن يوسف بن المطهر) (ت ٧٢٦هـ ) ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف / ط ٢ / ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

ـ الأمالي الشجرية : ابن الشجري ، أبو السعدات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي ( ت ٥٤٢هـ ) حيدر آباد ، ١٣٤٩هـ .

ـ أمالي المرتضى ـ غرر الفوائد ودرر القلائد ـ الشريف المرتضى (علي بن حسين الموسوي العلوي ) ( ت ٤٣٦هـ ) تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ـ ايران ـ قم د . ط ، د . ت .

ـ الأمالي ،الشيخ الطوسي ( أبو جعفر محمد بن الحسن ) ( ت ٤٦٠هـ ) تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ـ ط ١ ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ قم ١٤١٤هـ .

ـ الأمالي ، الشيخ الصدوق ( أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بـن بابويـه القمـي ) ( ت ٣٨١هـ ) ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م .

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، تأليف : ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر محمد الشيرازي ( ت ٦٨٥هـ ) ـ دار الكتب العربيـة ـ مصر ١٣٣٠هـ .

ـ أنوار الربيع في أنواع البديع ، الردني ( علي صدر الله بن معصوم ) ( ١١٢٠هـ ) تحقيق : شاكر هادي ـ مطبعة النعمان ـ النجف ١٣٨٨هـ ـ ١٩٨٨م .

ـ الإيضاح في علوم البلاغة ـ الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد ) ( ت ٧٣٩هـ ) ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م . د . ط .

ـ الإيمان ، إبن تيمية ) ( ت ٧٢٨هـ ) ط / بيروت ١٩٧٢م

ـ البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان ( محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي ) ( ت ٧٤٥هـ ) ، دار الفكر ـ بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

ـ البداية والنهاية في التاريخ ، ابن كثير ( عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر ) ( ت ٧٤٧هـ ) مطبعة السعادة ـ مصر ، د . ط ، د . ت .

ـ البرهان في تفسير القرآن، البحراني ( هاشم بن سليمان بن اسماعيل ) ( ت ١١٠٧ أو ١١٠٩هـ ) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان ط١ / ١٤١٩هـ .

ـ البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسين ( إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ) تحقيق : د . احمد مطلوب ، بغداد ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

ـ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ( بدر الدين محمد بن عبد الله ) ( ت ٧٩٤هـ ) خرّج أحاديثه وعلق عليه : مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .

ـ بصائر الدرجات الكبرى ، الصفار ( محمد بن الحسن بن فروخ ) ( ت٢٩٠هـ ) تحقيق : ميرزا محسن كوجه باغي ـ مطبعة الأحمدي ـ طهران ، نشر مؤسسة الأعلمي ١٣٦٢هـ .

ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروز آبادي ( مجد الدين محمد بن يعقوب ) ( ت ٨١٧هـ ) المكتبة العلمية ـ بيروت د . ط ، د . ت .

ـ البيان والتبين ، الجاحظ ( أبو عثمان عمرو بن بحر ) ( ت ٢٥٥هـ ) تحقيق : حسن السندوسي ١٩٣٨م .

ـ تاج اللغة وصحاح العربية،الجوهري ( اسماعيل بن حماد ) ( ت ٣٩٣هـ ) تحقيق : احمد عبد الغفور عطا ، دار الكتاب العربي ـ القاهرة / ١٩٥٦م .

ـ تاج العروس في جوهر القاموس ، الزبيدي ( محمد بن محمد مرتضى الحسيني ) ( ت ١٢٠٥هـ ) مكتبة الحياة ـ بيروت ، د . ط ، د . ت .

ـ تأويل الآيــات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ــ الحسيني الاسترابادي ( السيد شـرف الـدين علـي النجفـي ) ( مـن أعـلام القـرن العاشـر ) ، نـشر مدرسـة الإمـام المهدي ( عج ) ، قم .

ـ تأويل مشكل القرآن ،ابن قتيبة ( أبو محمد عبد الله بن مسلم ) ( ت ٢٧٦هـ )تحقيق: سيد صقر ، دار التراث / ١٩٧٣م .

ـ التبيان في تفـسير القرآن ، الطوسي ( أبو جعفر محمد بن الحسن ) ( ت ٤٦٠هـ ) تحقيق : احمد القصير واحمد شوقي الأمين ، ط ١ / ١٤٠٩هـ / طبع ونـشر مكتب الإعلام الإسلامي .

ـ التحبير في علم التفسير،السيوطي ( جـلال الدين عبد الـرحمن ) ( ت ٩١١هـ ) دار الكتب العلمية ، بيروت د . ط ، د . ت .

ـ تصحيح الفصيح ، ابن درستويه ( عبد الله جعفر ) ( ت ٣٤٧هـ ) تحقيق : د . عبد الله الجبوري ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

ـ التعريفات ــ الشريف الجرجاني (أبو الحسن علي بن محمد بن علي ) ( ت ٨١٦هـ ) تـونس ــ الـدار التونـسية ١٩٧١م ، وطبعـة دار الـشؤون الثقافيـة العامـة بغـداد ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

ـ تفـسير البغوي ، المسمى (معالم التنزيل) ، البغوي ( أبو محمد الحسين بـن مـسعود الفراء الشافعي ) ( ت ٥١٦هـ ) تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ومروان سـوار ، دار المعرفة بيروت ـ لبنان .

ـ تفسير الثعالبي ، ( المسمى : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ) ، الثعالبي ( عبد الرحمن بن محمد بن مخلوق المالكي ) ( ت ٨٧٥هـ )، تحقيق : الدكتور عبد الفتاح أبو سنة ــ والشيخ علي معوض والشيخ عادل احمد ــ مطبعة دار إحياء التراث العربي ط ١ / ١٤١٨هـ .
ـ تفسير روح البيان ، البروسي ( الشيخ إسماعيل حقي ) ( ت ١١٣٧هـ ) تعليق وتصحيح وضبط النص احمد عزو عناية ـ المطبعة العثمانية ، استانبول ١٣٣٠هـ ، د . ط .
ـ تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني (المولى محسن الفيض ) ( ت ١٠٩١هـ ) تعليق الشيخ حسن الأعظمي ، مؤسسة الهادي ـ قم المقدسة ـ ط ٢ ـ ١٤١٦هـ .
ـ تفسير العياشي ، العياشي ، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي ، ( ت ٣٢٠هـ ) تحقيق : هاشم الرسولي ، المكتبة العلمية الإسلامية ــ طهران ، د . ط ، د . ت.
ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري ( نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي ) ( ت ٨٥٠هـ ) ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
ـ تفسير الفخر الرازي، الشهير بمفاتيح الغيب الرازي ، ( فخر الدين بن العلامة ضياء الدين ) ( ت ٦٠٤هـ ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ط ، د . ت.
ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي) (ت ٧٧٤هـ ) طبع ونشر دار المعرفة ـ بيروت ١٤١٢هـ .
ـ تفسير القمي ، أبو الحسن ( علي بن إبراهيم القمي ) ( ت ٣٢٩هـ ) بتصحيح السيد طيب الجزائري ، مطبعة مؤسسة دار الكتب ط ٣ / ١٤٠٤هـ ، قم .

ـ التفسير الكبير ، ابن تيمية ( ت ٧٢٨هـ ) تحقيق وتعليق : د . عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ، د .ط ، د . ت .
ـ تفسير النسفي ، المسمى بـ ( مدارك التنزيل وحقائق التأويل ) النسفي ( عبد الله بن احمد بن محمود ) ( ت ٥٣٧هـ ) دار الفكر العربي ـ بيروت ( د . ط ، د . ت ) .
ـ تفصيل وسائل الشيعة،الحر العاملي ( ت ١١٠٤هـ ) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت / إحياء التراث / قم المشرّفة ط ٢ / ١٤١٤هـ .
ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي ( محمد بن الحسين ) ( ت ٤٠٦هـ ) تحقيق : د . محمد عبد الغني حسن ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة / ١٣٥٠هـ ـ ١٩٥٥م .
ـ تلخيص الشافي،الطوسي ( أبو جعفر محمد بن الحسن ) ( ت ٤٦٠هـ )تعليق: السيد حسين بحر العلوم ـ مطبعة الآداب ـ النجف الاشرف ط ٢/ ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م .
ـ التلخيص في علوم البلاغة ،القزويني ( جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب ) ( ت ٧٩٣هـ )ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتب العربية ، بيروت ـ لبنان ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م .
ـ تنزيه الأنبياء ، الشريف المرتضى ( أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي ) ( ت ٤٣٦هـ ) ط ٢ / المطبعة الحيدرية ـ النجف الاشرف ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .
ـ تهذيب الأحكام ، الطوسي ( أبو جعفر محمد بن الحسن ) ( ت ٤٦٠هـ )تحقيق : حسن الخرسان ـ تصحيح الشيخ علي الخوند ـ مطبعة خورشيد ـ دار الكتب الإسلامية ط ٤ / ١٣٦٥هـ .
ـ تهذيب التهذيب ، العسقلاني ، ( ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي ) ( ت ٩٧٤هـ ) مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ـ الدكن ط ١ / ١٣٢٧هـ .

ـ تهذيب اللغة ،الأزهري ( أبو منصور محمد بن احمد ) ( ت ٣٧٠هـ ) تحقيق : عبد السلام هارون ، وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٤م ـ ١٩٦٧م .
ـ التوحيد ،الشيخ الصدوق ( محمد بن علي بن بابويه ) ( ت ٣٨١هـ ) ، دار المعرفة بيروت ١٣٨٧هـ .
ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ( أبو جعفر محمد بن جرير ) ( ت ٣١٠هـ ) دار الفكر بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
ـ الجامع لأحكام القرآن ( تفسير القرطبي ) القرطبي ( أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري ) ( ت ٦٧١هـ ) خرّج أحاديثه محمد بن عبادي ، وأحمد بن شعبان بن أحمد ، مكتبة الصفا ـ القاهرة / ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م .
ـ جمهرة اللغة ، ابن دريد ( أبو بكر محمد بن الحسن ) ( ت ٣٢١هـ ) دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
ـ حاشية الشريف الجرجاني على هامش الكشاف ، للزمخشري ـ دار الفكر للطباعة والنشر ، ط ١ / ١٩٧٧م .
ـ حاشية محيي الدين شيخ زادة ( محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي الحنفي ) ( ت ٩٥١هـ ) على تفسير القاضي البيضاوي ( ٦٨٥هـ ) ضبطه وصححه وخرّج آياته محمد عبد القادر شاهين ـ منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .
ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، السيد الشريف الرضي ( ت ٤٠٦هـ )شرحه العلامة محمد رضا آل كاشف الغطاء ـ مطبعة الغري بالنجف ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م .
ـ الخصائص ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان ( ت ٣٩٢هـ ) تحقيق : محمد علي النجار ط ٢ / القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .

ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي ( جلال الدين ) ( ت ٩١١هـ ) ط ١ / ١٣٦٥هـ ـ مطبعة الفتح ـ جدة ، دار المعرفة .

ـ دقائق التفسير ـ الجامع التفسير ـ ابن تيمية ( ت ٧٢٨هـ ) تحقيق : محمد السيد الجليند ـ مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ط ٢ ـ ١٤٠٤هـ .

ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثاني ، الآلوسي ( أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي ي) ( ت ١٢٧٠هـ ) ضبطه وصححه :علي عبد الباري عطية ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، د . ط ، د . ت .

ـ زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ( أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ) ( ت ٥٩٧هـ ) المكتب الإسلامي ـ بيروت ط ٤ / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

ـ سعد السعود ، ابن طاووس ( أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد ) ( ت ٦٦٤هـ ) ط ١ / ١٣٦٩هـ ـ المطبعة الحيدرية ـ نجف .

ـ سنن الترمذي ـ الترمذي ( محمد بن عيسى ) ( ت ٢٧٩هـ ) تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، طبع ونشر ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٣هـ ـ د. ط .

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ( أبو الفلاح عبد الحي ) ( ت ١٠٨٩هـ ) مكتبة القدس ، ١٣٥٠هـ ـ١٩٥١م ، د . ط .

ـ شرح الأصول الخمسة ـ القاضي عبد الجبار ( ت ٢١٥هـ ) الشركة الوطنية ـ الجزائر / ١٩٠٩م .

ـ شرح أصول الكافي،المازندراني (محمد صالح ) ( ت ١٠٨١هـ ) تحقيق : الميرزا ابوالحسن الشعراني ـ مطبعة دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط ١ / ١٤٢١هـ .

ـ شرح نهج البلاغة ، ابـن أبي الحديد ( عز الدين أبـو حامد عبد الحميد بـن هبـة الله المدائنـي ) ( ت ٦٥٦هـ ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات مكتبـة آيـة الله العظمى ، المرعشي النجفي ـ دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م .
ـ شروح التلخيص ،التفتازاني ،مسعود بن محمد (ت ٧٩٣هـ) مطبعـة السعادة مصـر ، القاهرة ط ٢ ، ١٣٤٢هـ .
ـ الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس ( عبد الحسين احمد ) ( ت ٣٩٥هـ ) تحقيـق : الشويمي ، بيروت ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م .
ـ الصحاح ، الجوهري ( إسماعيل بن حماد ) (ت ٣٩٣هـ) تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، ط ٤ / دار العلم للملايين ـ بيروت لبنان ١٤٠٧هـ .
ـ صحيح البخاري ، البخاري ( أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ) ( ت ٢٥٦هـ )طبـع ونشر دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
ـ صحيح مسلم ، ( أبو الحسين مسلم بن الحجاج ) ( ت ٢٦١هـ )تحقيـق : محمد فؤاد عبد الباقي ـ البابي الحلبي ، مصر ١٩٥٥م .
ـ الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ، العاملي ( زين الدين أبو محمد ) .
ـ طبقات الشافعية الكبرى ،السبكي (أبو نصر الله عبد الوهاب بن علي) ( ت ٧٧١هـ ) تحقيق : محمد محمود الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة / ١٩٦٥م .
ـ طبقات فحول الشعراء ، ابن سـلام الجمحـي ( ت ٢٣١هـ ) تحقيـق : محمـود محمد شاكر ، القاهرة ، مطبعة المدني ١٩٧٤م . د . ط .
ـ طبقــات المفسرين ، الداودي ( شمس الدين محمد بن علي ) ( ت ٩٤٥هـ ) ط ١ / مطبعة الاستقلال الكبرى ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .
ـ الطرائف في معرفة مـذاهب الطوائف ، ابن طـاوس ( أبـو القاسم علـي بـن موسـى بن جعفر بن محمد ) ( ت ٦٦٤هـ ) ط ١ / ١٣٧١هـ الخيام ـ قم .

ـ العدة في أصــول الفقه ، أبو يُعلي (محمد بن الحسين الفراء) (ت ٤٥٨هـ ) تحقيق : احمد بن علي سير المباركي ط ٢ / مطبعة المدني ـ مصر ١٤١٠هـ .
ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح،السبكي (بهاء الدين احمد بن علي بن عبد الكافي ) ( ٧٧٣ هـ ) تحقيق : الدكتور خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ٢٠٠١م .
ـ العقل وفهم القرآن ، الحارث المحاسبي ( ت ٢٤٣هـ ) تحقيق : حسن القوتلي ، دار الفكر ـ بيروت ط ١ / ١٩٧١م .
ـ علل الشرائع ، الشيخ الصدوق ( أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ) ( ت ٣٨١هـ ) طبع ونشر : المكتبة الحيدرية ـ النجف ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .
ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق ( أبو علي الحسن القيرواني ) ( ت ٤٥٦هـ ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، د . ط .
ـ العين ، الفراهيدي ( أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد ) ( ت ١٧٥هـ ) تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، ط ٢ ، مطبعة صدر مؤسسة دار الهجرة ( ١٤٠٩هـ ) .
ـ عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ للشيخ الصدوق ( ت ٣٨١هـ ) تحقيق : الشيخ حسن الأعلمي ـ مطبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ط ١ / ١٤٠٤هـ .
ـ عين العبرة في غبن العترة ، جمال الدين السيد احمد آل طاووس ( ت ٦٧٧هـ ) دار الشهاب ـ قم ، د . ط ، د . ت .
ـ فتح البيان في مقاصد القرآن،صديق حسن القونجي البخاري ـ عني بطبعه وراجعه : عبد الله الأنصاري ، نشر المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية ط ١ / ١٩٩٩م .

ـ فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني ( محمد بن علي بن محمد ) ( ت ١٢٥٠هـ ) تحقيق : علي بن عبد العزيز الشبل ، ترقيم وكتاب الأبواب والأحاديث ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار السلام ، الرياض ط ١ / ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
ـ الفروق اللغوية ، العسكري ( أبو هلال الحسن بن سهل ) ( ت ٣٩٥هـ ) تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، ط ٦ ، د . ت ، وطبعة مكتبة القدسي ـ القاهرة / ١٣٠٣هـ ، د . ط .
ـ فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ، ابن رشد ( أبو الوليد محمد بن احمد ) ( ت ٥٩٥هـ )، المؤسسة العربية ، للدراسات والنشر ، بيروت ط ٣ / ١٩٨٦م .
ـ فقه الرضا ( عليه السلام ) ، لـ ( علي بن بابويه ) ( ت ٣٢٩هـ ) تحقيق : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، نشر : المؤتمر العلمي للإمام الرضا ( عليه السلام ) ط ١ / ١٤٠٦هـ ، مشهد المقدس .
ـ الفوائد ( المشوق ) إلى علوم القرآن ، وعلم البيان ، ابن قيم الجوزية ( شمس الدين أبو عبد الله محمد ) مطبعة السعادة / القاهرة / ١٩٧١م .
ـ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ( أبو طاهر مجد الدين ) ( ت ٨١٧هـ ) المطبعة الأميرية ط ٣ / ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م .
ـ القضاء والقدر ، الرازي ( محمد بن عمر بن الحسين ) ( ت ٦٠٦هـ ) ضبط نصه وصححه وعلّق عليه ، محمد المعتصم بالله البغدادي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ط ١ / ١٩٨٤م .
ـ الكافي ، الكليني ( أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق ) ( ت ٣٢٨ ـ ٣٢٩هـ ) تحقيق : علي أكبر غفاري ، المطبعة : حيدري ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ـ اخوندي ط ٣ / ١٣٨٨هـ .

ـ الكتاب : سيبويه ( أبو بشر عمرو بن عثمان ) ( ت ١٨٠هـ ) طبعة بولاق ١٣١٦ـ ١٣١٧هـ ، تحقيق : عبد السلام هارون .
ـ كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الأعتقاد ،الجويني (عبد الملك بن عبد الله ـ إمام الحرمين ) ( ت ٤٧٨هـ ) علّق عليه ،وخرّج آياته وأحاديثه ، زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط ١ / ١٩٩٥م .
ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦هـ) تحقيق : الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني ، نشر الهادي ط ٢ / ١٤١٦هـ .
ـ كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة عيسى البابي ، وشركاه ، القاهرة / ١٩٧١م د . ط .
ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ( أبو القاسم محمد بن عمر ) ( ٦٨٣هـ )رتبه وضبطه وصححه ، محمد عبد السلام شاهين ـ منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ط ٣ / ١٤٢٤هـ .
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ( مصطفى بن عبد الله ) ( ت ١٠١٦هـ ) ط ٣ / ١٣٧٨هـ ـ ١٩٦٧م .
ـ لباب النقول في أسباب النزول ، السيوطي ( جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ) ( ت ٩١١هـ ) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان د . ط ، د . ت .
ـ لسان العرب ، ابن منظور ( محمد بن مكرم ) ( ت ٧١١هـ ) دار صادر ـ بيروت ط ١ / د . ت .
ـ ما اتفق لفظه وأختلف معناه ، المبرد ( محمد بن يزيد ) ( ت ٢٨٥هـ ) تحقيق : الميمني ـ مطبعة السلفية ، بمصر ـ ١٣٥٠هـ ، د . ط .

ـ مبادئ الوصول إلى علـم الأصـول ، الحلـي ( جمـال الـدين الحسن بـن يوسـف بـن المطهر ) ( ت ٧٢٦هـ )تحقيق : عبد الحسين محمد علي ـ منشورات مركز النشر ـ مكتبة الإعلام الإسلامي / قم ١٤٠٤هـ .
ـ متشابه القرآن ومختلفه ،ابن شهر آشوب (محمد بن علي المازندراني) ( ت ٥٨٨هـ ) ط ٣ / مطبعة أمير قم ، د . ت .
ـ متن ألفية بن مالك في النحو والصرف للعلامة ابن مالك محمد بن عبد الله الاندلسي ، ط / دار ابن حزم . د . ت .
ـ المثـل السـائر فـي أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ( ضـياء الـدين نـصر الله بـن محمـد ) ( ت ٦٣٧هـ ) تحقيـق : د . احمـد الحـوفي ، و د . بـدوي طبانـة ـــ مكتبـة النهضة ، الفجالة ط ١ / ١٩٦٢م .
ـ مجاز القرآن ، أبو عبيدة ( معمـر بـن المثنـى ) ( ت ٢١٠هـ ) تحقيـق : محمـد فـؤاد سزكين ،مطبعة السعادة ـ بمصر ١٩٥٤م ـ ١٩٦٢م .
ـ مجمع البحـرين ، الطريحـي ( الشيخ فخرا لـدين ) ( ت ١٠٨٥هـ ) تحقيق : احمد الحسيني ، الناشر : مكتبة الثقافات الإسلامية ط ٢ / ١٤٠٨هـ .
ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي (أبو علـي الفضل الحسين) ( ت ٥٤٨هـ ) تحقيق : هاشم رسولي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٣٧٩هـ .
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي ( نور الدين علي بن أبي بكر ) (ت ٨٠٧هـ) ، طبع ونشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، د . ط .
ـ مجموع فتاوى أحمد بن تيمية ، إبن تيمية ، ( احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ) ( ت ٧٢٨هـ ) ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ـــ مجمـع الملـك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المدينة المنوّرة ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .
ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ ابـن عطيـة ( أبــو محمـد عبـد الحـق بـن غالب ) ( ت ٥٤١هـ ) تحقيق : المجلس العلمي بـ ( فاس ) ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

ـ المحلى : ابن شقير ( أبو بكر احمد بن الحسن ) ( ٣١٧هـ ) تحقيق : د . فائز فارس ، مؤسسة الرسالة ، ودار الأمل ـ بيروت عمان ١٩٨٧م .

ـ مختصر الصواعق المرسلة ، ابن قيم الجوزية ( أبو عبد الله شمس الدين محمد بن بكر ) ( ت ٧٥١هـ ) اختصره : محمد الموصلي ، وصححه : زكريا علي يوسف ، مطبعة الإمام ـ القاهرة ، ودار الكتب العلمية ـ بيروت د . ط ، د . ت .

ـ المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات،مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير ( ت ٦٠٦هـ ) تحقيق : د . إبراهيم السامرائي ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .

ـ ألمزهر في علوم اللغة وأنواعها ،السيوطي ( جلال الدين ) ( ت ٩١١هـ ) تحقيق : محمد احمد جاد المولى وآخرين ، ط ٤ ـ دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٨م .

ـ المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ( محمد بن عبد الله ) ( ت ٤٠٥هـ ) ط ١ / دار الكتب العلمية ـ بيروت د . ت .

ـ المسترشد في إمامة أمير المؤمنين ـ علي بن أبي طالب ، الطبري ( محمد بن جرير ) ( ت ٣١١هـ ) تحقيق : احمد المحمودي ـ منشورات مؤسسة الثقافة ـ مطبعة سلمان الفارسي ـ قم ... الطبعة المحققة الأولى .

ـ مسند احمد بن حنبل ( احمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ) ( ت ٢٤١هـ ) شرح احمد محمد شاكر ط ٣ / دار المعارف للطباعة والنشر ـ مصر ، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م .

ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الفيّومي (احمد بن محمد) ( ت ٧٧٠هـ ) المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان د . ط ، د . ت .

ـ معاني القرآن ، الفراء ( أبو زكريا يحيى بن زياد ) ( ت ٢٠٧هـ ) تحقيق : احمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، وعبد الفتاح شلبي ، والهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٥٥م ـ ١٩٧٢م .

ـ معاني القرآن وأعرابه ، الزجـاج ( أبو إسحاق إبراهيم بن السري ) ( ت ٣١١هـ ) شرح وتحقيق : د . عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .
ـ المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن محمد (ت ٣٦٠هـ) تحقيق : احمد عبد المجيد السلفي ـ مطبعة الزهراء الحديثة ـ الموصل ط ٢ / ١٩٨٩م .
ـ معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (احمد بن فارس بن زكريا) ( ت ٣٩٥هـ ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ / ١٤٠٤هـ .
ـ المفـردات فـي غريـب القرآن ، الاصفهاني ( أبو القاسم الحسين بن محمد ) ( ت ٥٠٢هـ ) تحقيق :محمد خليل ، ط ٣ /دار المعرفة ـ بيروت ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
ـ مفتاح العلوم ، السكاكي (أبو اليعقوب يوسف بن ابي بكر) ( ت ٦٢٦هـ ) المطبعة الأدبية ـ القاهرة / ١٣١٧هـ .
ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، الأشعري ( أبو الحسن علي بن إسماعيل ) ( ت ٣٣٠هـ ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة / القاهرة / ط ٢ / ١٩٥٤م .
ـ مقدمة التفسير ، الاصفهاني ( أبو القاسم الحسين بن محمد ) ( ت ٥٠٢هـ ) مطبعة الجمالية ـ مصر ط ١ / ١٣٢٩هـ .
ـ مقدمة في أصول التفسير ، ابن تيمية ( ت ٧٢٨هـ ) تحقيق : د . عدنان زر زور ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٢م .
ـ مناقب الإمام أمير المؤمنين ( ع ) لمحمد بن سليمان الكوفي القاضي ( كان حيا إلى ٣٠٠هـ ) تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمدي ــ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ــ ط١ / ١٤١٢هـ / إيران ـ قم .

ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ) ( ت ٥٩٧هـ ) مطبعة دار المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ـ الدكن ط ١ / ١٣٩٥هـ .

ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، للراوندي ( قطب الدين بن الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسين ) ( ت ٥٧٣هـ ) طهران / ١٣٥٦هـ .

ـ الموافقات في أصول الشريعة ، الشاطبي ( أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ) ( ت ٧٩٠هـ ) ، شرحه وأخرج أحاديثه ، عبد الله دراز ، ووضع تراجمه : محمد عبد الله دراز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، د . ط ، د . ت .

ـ موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية ، المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون ، للشيخ المولوي محمد أعلى بن علي التهانوي ، شركة خياط للكتب والنشر ، بيروت ، د . ت .

ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ( برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر ) ( ت ٨٨٥هـ ) خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه ، عبد الرزاق غالب المهدي ـ منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، د . ط ، د . ت .

ـ النكت الإعتقادية ، الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان) ( ت ٤١٣هـ ) ، المكتبة العصرية ـ بغداد ١٣٤٣هـ .

ـ النكت في إعجاز القرآن ، الرماني (علي بن عيسى) ( ت ٣٨٦هـ ) ضمن ( ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ) ، تحقيق : د . محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة / ط ٢ / ١٣٨٧هـ .

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، النويري ( شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ) ( ت ٧٣٣هـ ) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، القاهرة / ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .
ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ( أبو السعادات مبارك بن محمد ) ( ت ٦٣٠هـ ) ، تحقيق : محمود الطناحي ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ١٩٦٣م ـ ١٩٦٥م ، وطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت . د . ت .
ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،الرازي (فخر الدين محمد بن عمر) ( ت ٦٠٦هـ ) مطبعة الآداب ، القاهرة / ١٣١٧هـ ـ د . ط .
ـ نهج البلاغة : وهو مجموعة ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين ( ع) ضبط نصه : الدكتور صبحي صالح ، منشورات ، دار الهجرة ـ قم ، د . ت .
ـ النوادر في اللغة ، أبـو زيد الأنصاري ( سعيد بن أوس بن ثابت ) ( ت ٢١٥هـ ) تحقيق : سعيد الخوري الشرتوني ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٩٤هـ .
ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، الحر العاملي (محمد بن الحسن) ( ت ١١٠٤هـ ) تحقيق : عبد الرحمن الرباني ـ مطبعة / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٩١هـ . د . ط .
ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، للواحدي ( تفسير الواحدي ) تحقيق : احمد عبد الموجود وإخوانه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت د . ط ، د . ت .

## ثانيا ـ المراجع الحديثة :

ـ آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي النجفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان .

ـ أبو بكر بن الانباري وجهوده اللغوية والنحوية في كتابه :الزاهر . الدكتور : موسى حسن الموسوي ـ ط ١ / دار الصادق للطباعة والتوزيع ـ بابل ـ العراق ٢٠٠٨م .
ـ الاتجاه العقلي فــي التفسير ، نصر حامد أبو زيد ، نشر المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط ٦ / ٢٠٠٧م .
ـ أثر البواعث فــي تكوين الدلالة البيانية ، الدكتور : صباح عباس عنوز ط ١ / دار الضياء ـ النجف الأشرف ـ العراق ١٤٢٨هـ .
ـ الأداء البياني فـي شعر الشيخ علي الشرقي ، الدكتور : صباح عباس عنوز ـ دار الضياء للطباعة والنشر ـ النجف الأشرف ـ العراق ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م .
ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، الشوكاني ( محمد بن علي بن محمد ) ( ت ١٢٥٠هـ ) ط : الحلبية ، القاهرة / ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .
ـ أساليب البيـان فــي القرآن ، جعفر الحسيني ، مؤسسة الطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ ط ١ / طهران ١٤١٣هـ .
ـ أصول البيان العربي ـ رؤية بلاغية معاصرة ـ الدكتور محمد حسين الصغير ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ العراق / ١٩٨٦م .
ـ أصول التفسير والتأويل ـ كمال الحيدري ـ مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ـ لبنان ط ١ / ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .
ـ أصول التفسير وقواعده ، الشيخ خالد عبد الرحمن العك ـ ط ٤ دار النفائس ـ بيروت ١٤٢٤هـ .
ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي ( ت ١٣٩٣هـ ) ط ١ / عالم الكتب ـ بيروت ، د . ت .
ـ الإعتصام ، الشاطبي ( أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي ) دار المعرفة ، د . ط ، د . ت .
ـ أعيان الشيعة ، محسن الأمين ، دار التعارف ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل ، الشيرازي ، الشيخ ناصر مكارم ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ، د . ط ، د . ت .

ـ بحار الأنوار ، المجلسي ، محمد باقر ( ت ١١١١هـ ) مطبعة مؤسسة الوفاء ، ١٤٣٢هـ ـ ١٩٨٣م ، بيروت ـ لبنان .

ـ بحوث في علم الأصول ، تقريرا لأبحاث الشهيد السعيد ، السيد محمد باقر الصدر ، للسيد محمود الهاشمي ١٤٠٥هـ .

ـ بحوث في القرآن الكريم ـ السيد محمد تقي المدرسي ، نشر : دار محبي الحسين ( ع ) ط ٣ / ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م ـ العراق ـ كربلاء المقدسة .

ـ البلاغة العربية ـ أسسها وعلومها وفنونها ـ عبد الرحمن جبنكة الميداني ، ( ت ٢٠٠٤م ) ، دار القلم ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

ـ البلاغة والتطبيق ، الدكتور احمد مطلوب والدكتور كامل حسن البصير ط ٢ / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ العراق ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

ـ البيان في تفسير القرآن ـ الإمام الخوئي ( قدّس سره ) ( أبو القاسم ) ( ت١٤١٣هـ ) دار الزهراء ـ بيروت ط ٤ / ١٣٩٥هـ .

ـ تاريخ التفسير ، القيسي ( الشيخ قاسم ) مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م . د . ط .

ـ التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ، وليد قصاب ، نشر وتوزيع : دار الثقافة ، قطر ـ الدوحة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م . د . ط .

ـ تطور البحث الدلالي ـ دراسة في النقد البلاغي واللغوي ، د . محمد حسين الصغير ، منشورات دار الكتب العلمية ، بغداد ط ١ / ١٤٠٨هـ .

ـ تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، د . صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق ـ ط ٢ / ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

ـ التفسير بالمأثور وتطوره عند الشيعة الإمامية ،إحسان الأمين ، دار الهدى للطباعة والنشر ط ١ / ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م .
ـ تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ( محمد الطاهر ) ، نشر دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ، د . ط ، د . ت .
ـ تفسير سورة الحمد ، محمد باقر الحكيم ( ت ١٤٢٣هـ ) المطبعة ــ شريعت ط ١ / ١٤٢٠هـ ، قم .
ـ تفسير شبر ، المسمى : تفسير القرآن الكريم ، السيد عبد الله شبر ( ت ١٢٤٢هـ ) مراجعة الدكتور حامد حفني داود ، مطبوعات القاهرة / ط ٣ / ١٣٨٥هـ . ودار إحياء التراث العربي .
ـ تفسير القاسمي ،المسمى :محاسن التأويل ،القاسمي (محمد جمال الدين) ( ١٣٣٢هـ ) ضبط وتصحيح محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ــ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، د . ط ، د . ت .
ـ تفسير القرآن الحكيم ،الشهير بتفسير المنار ،محمد رشيد رضا ، دار الفكر للطباعة ولنشر والتوزيع ، د . ط ، د . ت .
ـ تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت ، د . ط ، د . ت .
ـ تفسير القرآن ، منصور محمد عبد الجبار أبو مظفر السمعاني ، تحقيق : أبي تميم ياسر إبراهيم ، وأبي بلال غنيم بن عباس ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ / ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .
ـ التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ( ت ١٩٧٩م ) ، نشر دار الكتاب الإسلامي ، ط ١ / ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .
ـ تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم / حيدر الآملي ، حققه وقدم له السيد محسن الموسوي التبريزي / وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ إيران ـ ١٠١٤هـ .

ـ التفسير والمفسرون،د . محمد حسين الذهبي ـ مكتبة وهبة ،القاهرة ط ٦/ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .
ـ التفسير والمفسرون ، الشيخ محمد هادي معرفة ، مؤسسة الطبع والنشر / الاستانة ، ط ٢ / ١٤٢٦ف ـ ١٣٨٤ش .
ـ التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، حماد صمود ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية د . ط / ١٤٠١هـ .
ـ التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة ــ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المشرفة .
ـ جواهر البلاغة ، احمد الهاشمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
ـ الحماسة البصرية ، علي بن حسن البصري ، المكتبة الشاملة موقع الوراق .
ـ الحج الأول ، الإمام الخوئي ( قدس ) ( أبو القاسم الموسوي ) ( ت ١٤١٣هـ ) نشر لطفي ١٤٠٧هـ ـ المطبعة العلمية ـ قم .
ـ دراسات في علوم القرآن الكريم ، د . محمود البستاني ، الناشر : مدينة العلم ، ط ١ / إيران ـ قم ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م .
ـ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، د . عرفان عبد الحميد مطبعة أسعد ، بغداد ، د . ط ، د . ت .
ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار ،الشيخ عباس القمي ، المطبعة العلمية ــ ألنجف ١٣٥٢هـ .
ـ صفوة البيان لمعاني القرآن،الشيخ حسنين محمد مخلوف ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، طبع شركة ذات السلاسل ـ الكويت ط ٣ / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
ـ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د . جابر عصفور دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢ / ١٩٨٣م .

ـ الصــورة الفنية فـي المثل القرآني ، د . محمد حسين علـي الصغير ــ دراسـة نقديـة بلاغية ، دار الرشيد ، للنشر ــ بغداد ١٤٠١هـ .
ـ الظــاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، ترجمة عبد الصبور شـاهين ، ط ٣ / دار الفكـر بيروت ١٩٦٨م .
ـ علم البيان ، الدكتور عبد العزيز عتيق ، بيروت ١٩٧٤م ، د . ط .
ـ علـم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ـ الدكتور : هـادي نـهر ، دار الأمـل للنشر والتوزيع ، الأردن ـ إربد ، د . ط ، د . ت .
ـ علوم القرآن ، حسين عبد الله دهنيم ، دار المحجة البيضـاء ، د . ط ، د . ت .
ـ علوم القرآن ، د . رشــدي عليان والـدكتور قحطـان عبد الرحمن الـدوري ، مطـابع مؤسسة دار الكتب ، للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٨٠م ، د . ط .
ـ علوم القرآن ، فرج توفيق الوليد / وفاضـل شـاكر النعيمـي ، دار الحريـة للطباعـة ، بغداد ١٩٧٨م ، د . ط .
ـ علوم القرآن ، محمد باقرا لحكيم ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ـ لبنـان ط ٣ / ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م .
ـ فصول في فقه العربية ، د . رمضـــان عبـد التواب ط ٢ / القـاهرة مكتبـة الخـانجي ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٣م .
ـ فلـسفة الفكــر الديني بين الإســلام والمسيحية ، لــويس غردبـة ، ترجمـة : صـبحي الصـالح ، دار العلم للملايين ، بيروت د . ط .
ـ في البنية والدلالة ـ رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، د . سعد أبـو الرضـا ، منشأ المعارف في الإسكندرية ، د . ط ، د . ت .
ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ،ط ٧ / ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م.
ـ قاموس الرجال ، محمد تقي الدستري ـ منشورات ـ مركز نشر الكتاب / طهران / ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م .

ـ القاموس الفقهي ـ لغة واصطلاحـا ، سعدي أبـو الجيب ، مطبعة دار الفكر ط ٢ / دمشق ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
ـ القرآن في الإسلام ، محمد حسين الطباطبائي ، تعريب الشيخ احمد وهبي ، نشر : دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ لبنان ـ بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
ـ القواعد الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مطبعة دار بن الجوزي ـ ط ١ / ١٤١٣هـ ، الدمام .
ـ لغة القرآن ، د . عبد الجليل عبد الرحيم ، الناشر : مكتبة الرسالة الحديثة ، الأردن ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، د . ط .
ـ مباحث في علوم القرآن ، د . صبحي الصالحي ، منشورات الرضا ط ٥ / ١٣٧١هـ / قم .
ـ المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، د . محمد حسين علي الصغير ـ دار المؤرخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ / ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .
ـ مجاز القرآن ، خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، د . محمد حسين علي الصغير ، ط ١ / ١٩٩٤م ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد .
ـ المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع ـ عبد العظيم إبراهيم المطعني ، عرض وتحليل ونقد المصدر ـ مكتبة الإسكندرية ط ١ / ١٩٠٥م ، الناشر : مكتبة وهبة للطباعة والنشر .
ـ مختصر الميزان في تفسير القرآن ، سليم الحسيني ، مؤسسة دار الإسلام ومؤسسة العارف للمطبوعات ـ بيروت ،لبنان ، ط ٢ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
ـ مختصر التمهيد في علوم القرآن ، الشيخ محمد هادي معرفة ، تأليف : محمود الملك الأصفهاني ، د . ط ، د . ت .
ـ مشاهد القيامة ، سيد قطب ، دار الكتاب الإسلامي ، قم ـ إيران ، د . ط ، د . ت .

ـ المعجزة الخالدة ، الشهرستاني ( هبة الدين الحسيني ) مطبعة النجاح ، بغداد / ١٩٥٠م ، د . ط .
ـ المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م ، د . ط .
ـ معجم علوم اللغة العربية ،د . محمد سليمان الأشقر ،ط ١ /مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .
ـ المعجم في فهم القرآن وسر بلاغته ، إعداد : قسم القرآن بمجمع البحوث القرآنية ، بإشراف : محمد واعظ الخرساني ، مؤسسة الطبع التابعة للإستانة الرضوية المقدسة ، د . ط ، د . ت .
ـ مفهوم النص ، دراسة في علوم القرآن ، نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب ط ٦ / ٢٠٠٥م .
ـ مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي ـ محمد حسين الطباطبائي ، ترجمة : جواد علي الكسار ، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر ، د . ط ، د . ت .
ـ المقدمات في كتاب نص النصوص في شرح فصوص الحكم ، السيد حيدر الآملي مع تصحيحات : هنري كرين ، طهران ١٩٧٤م .
ـ المناهج التفسيرية في علوم القرآن ،جعفر السبحاني ، نشر :مؤسسة الإمام الصادق ( ع ) ١٤٢٢هـ ، إيران ـ قم .
ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ٣ / ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م .
ـ منهاج اليراعة في شرح نهج البلاغة ، الحاج ميرزا حبيب بن الحاج سيد محمد بن هاشم الموسوي العلوي الخوئي ( ت ١٣٢٤هـ ) طبع ـ قم ١٣٧٩هـ .
ـ منهج التأويل في الفكر الصوفي ،نضلة الجبوري ،مكتبة ابن تيمية ط ١ / ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

ـ مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السبزواري ( السيد عبد الأعلى السبزواري ) ( ت ١٤١٤هـ ) مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف ١٤٠٤هـ .
ـ الميزان في تفسير القرآن ـ السيد محمد حسين الطباطبائي ( ت ١٤١٢هـ )مؤسسة الإمام المنتظر ( عج ) إيران ـ قم ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .
ـ النص الأدبي من التكوين الشعري إلى أنماط الصورة البيانية وهيمنة التلوين الشعري ، د . صباح عباس عنوز، المطبعة الدار البيضاء والتصميم ، ط ١ / ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م ، النجف الاشرف .
ـ الواضح في علوم القرآن ، مصطفى ديب البغا ، ومحيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، ط ١ / ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

## البحوث والمقالات :

ـ البيان من مهمته البلاغية إلى الوظيفة التأويلية ، د . صباح عباس عنوز ، مجلة جامعة القادسية ع ١ ـ ٢ / مج ١١ / ٢٠٠٨م .

ـ التأويل وتفسير النص ـ مقارنة في الإشكالية ، د . عبد الأمير زاهد ـ مجلة السدير ، عدد / ٤

ـ التأويل بين النص القرآنـي وأقـوال المفسرين ، د . حكمت عبيـد الخفاجي ، مجلة جامعة القادسية ع ٤

ـ تفسير القرآن بالقرآن ، نشأته وطوره ، د . كاصد الزيدي ـ بحث منشور ـ مجلة كلية آداب الرافدين ـ جامعة الموصل ع ١٢ / ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

ـ دلالة البيان في تفسير النص القرآنـي ، د . صباح عبـاس عنوز ، مجلة الدراسات الإسلامية ـ العدد ٢ / ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

---

## الرسائل الجامعية :

ـ منهج المتكلمين في فهم النص القرآني . د . ستار الأعرجي ، رسالة دكتوراه .

Holy Quran have been gathered to clarify the intention of the Almighty God.

18. The study has shown that "Ahlulbait" (peace upon them) are the people who have the capacity to speak on the behalf of it since they have received its science from the prophet (God pray upon him) and therefore they are able to understand the text and interpret it.

19. It is evident from the sayings and documentations of the scientists that scientific knowledge of some of the companions of the prophet are valid because they directly have been delivered their knowledge from "Ahlulbait" (peace upon them).

20. the study has shown that the metonymy is one of the most rhetorical devices which enables the interpreter to say whatever idea or opinion the interpreter wants, and it is the closest way to hermeneutics since it focuses on one of the senses.

21. Finally, the researcher wants to state the truth that: The Holy Quran is a coastless sea, and people, with their relative knowledge, are just divers in it, and it is full of different types of jewelry; and the chance of these people to get these jewelry depends heavily on their knowledge, wittiness, and intuitions.

12. The values and the prudent statements are the main goal of the Quranic text, and they constitute the essential fact on which the whole Quran is built. In fact they are not just mere incredible senses, out of the net of the vocabulary.

13. The conversant with the sciences of the Holy Quran can attain the knowledge of the hermeneutics of the dubious through three bases:

a) the mind

b) the tradition

c) the text

These three bases have integrated each other in proving and giving semantic connection. The researchers believes that the conception has the power of convincing both logically and rationally.

14. It is evident that the use of linguistic faculties is one of the ways to the interpretation of the implicit, others are the traditional and rational sciences, the linguistic contexts and the significance of the speech, but the interpreter's mind remains the most important factor in the process of interpreting the holy text.

15. This study has revealed the fact that the Holy Quran has so many metaphors and figurative expressions which can help pointing out different types of mechanisms of hermeneutics and interpretation which could lead to achieving the ultimate goal by revealing the meaning intended.

16. The study has shown that the first verse of "al-Maida" (And those who theft, whether man or woman…" is not one of the dubious verses, and Imam al- Jawad's (peace upon him) expostulation to deduct a legitimate rule in which he has shown that this verse could be interpreted by the verse of "al-Jin" ( … the mosque is for Allah) to delete the superficial contradiction between the two legitimate rules.

17. The study has pointed out that the procedure of interpreting part of the Holy Quran by referring to other parts has been one of the methods adopted by many scholars in their exegeses, and it is a procedure in which the verses of the

versed in science means the impossibility of dubiousness. This is very near to the concept of infallibility (al-Ismatu).

6. It is demonstrated that there are several reasons which might cause dubiousness. Yet, in different times and circumstances, a verse which may seem dubious for one scientist may not seem so for another.
7. It is very vital to build up consensus among Moslem scholars on a concept of the dubious Quranic text. This will help attaining a better view of it according to the terms put by the scientists. Among these terms are: rendering the dubious to the coherent, depending on the account of the infallible, the consensus of the nation, or the language manifestations.
8. It is noted that the coherent and the dubious do not contradict each other, and that all the verses of the Holy Quran can not be skeptical since one part of it can be interpreted by another.
9. The problem of clarifying the coherent and the dubious, in the researchers opinion, is not an incisive juristic issue since the entire issue can be solved by rendering the dubious to the coherent.

10. The characteristic of inimitability of the Quran, in the Section of The Dubious, is one of most serious challenges put forward to confront the skeptic and atheist. In (The Dubious) the Almighty God's Ability has been explicit and it has refuted their argument and pleas. This shows the great role of the dubious and the divine wisdom in its presence.

11. The investigator is in full congruence with the opinion of the author of "al- Maizan" which states that the hermeneutics covers not only the dubious texts but also the whole Quranic verses whether they are dubious or coherent. This is so because the Holy Quran is the institute of life in every place and time regardless of the changes of cultures and the processes of civilization. As a result, the Quranic text is always in need for rational efforts to deduct the decrees which go side by side with the epistemological growth.

## SUMMARY

The topic of the coherent vs. dubious ordinances in the Holy Quran has been constantly given special and continuous care by the interpreters. Their researches and treatises in this respect are both comprehensive and penetrating since the investigation in this important topic of the Quranic sciences has very close relationship with understanding the senses and significance of the holy text. As a result, the valid interpretation of the dubious ordinance in the Holy Quran has been investigated thoroughly by the scientists and they have written many treatises devoted for it since the 2nd century of Hijra.

The following results have been attained throughout the study:

1. The hermeneutics of the Holy Quran is basically based on the semantic systems on which the text is built. It is noticed here that the Quranic text is bound to the relationships whether they exist between the signifier and the signified on the level of vocabulary, or in the dominant item of the context throughout different rhetorical devices on the level of the whole text.
2. It is concluded, in the sections devoted for hermeneutics, that the hermeneutic process is the means of the interpreter of the text. Yet, he ought to be completely aware of the requirements of the rational dialogue which has the merit of considering hermeneutics a concept leading to interpretive contentment.
3. Throughout studying the conceptual meanings of the dubious texts, it is noticed that the scientists almost agree on the closeness between their opinions. This is so because they depend on the same Quranic culture even when their expression differ.
4. The meaning of the real dubious text could be conceived only by those who have been given the divine knowledge or the versed.
5. In the section devoted for the relative dubious text of the seventh verse of (Al-Omran) sura, it is noted that being



The Ministry of Higher Education and Scientific Research
The University of Kufa
Faculty of Jurisprudence

# The Hermeneutics of the Dubious Ordinance in the Works of the Interpreters

A dissertation submitted to the council of the Faculty of Jurisprudence/ The University of Kufa in partial fulfillment of the requirements for the degree of Ph. D. in Sharia and Islamic Sciences

By:
Mohammed Abbas Numan al- Jubouri

Supervised by:
Dr. Sabah Abbas Anouz

Muharrem 1429 Hijri　　　　January 2009 A.D.